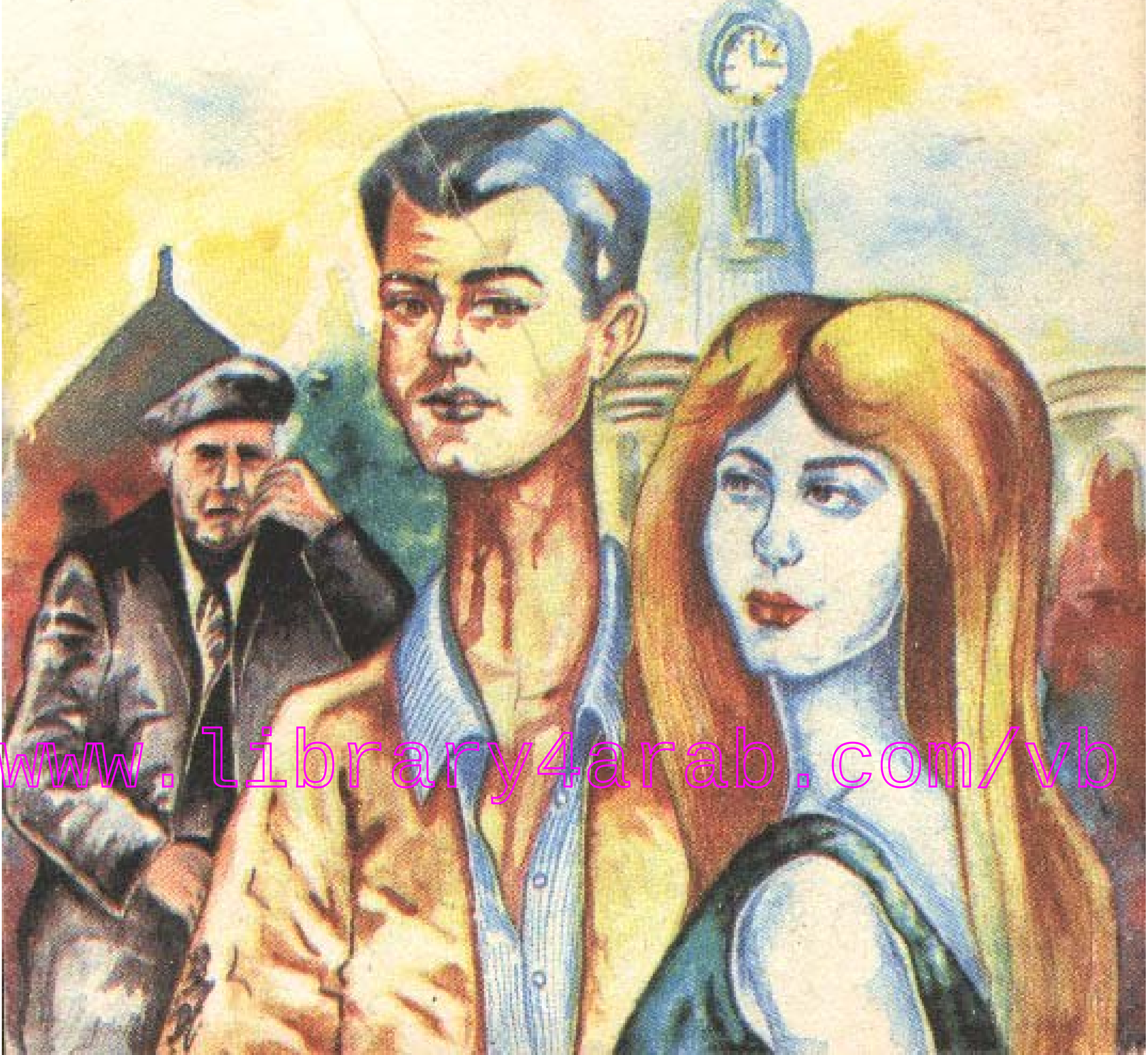
الساخن والبارد

فتحي غانم



www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

الساخن والبارد

الناشر

مكتبة روزاليوسف

رئيس مجلس الإدارة

عبد العزيز خميس

المدير العام

محمد مصطفى سعد

المراسلات

٨٩ (أ) ش قصر العيني بالقاهرة
مؤسسة روز اليوسف

السابق واللاحق

الطبعة الثانية

ديسمبر ١٩٨٨

الغلاف للفنان : توفيق الحو

الساخن والبارد

www.library4arab.com/vb

فتحي غانم

www.library4arab.com/vb

الفصل الأول

www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

اكتشف

الفصـــل الأول

يوسف منصـــور ، أنــه منـــذ ســـاعتين ·· ولا عمل له سوى محاولة قراءة الاعلان الملصق على جدران المسرح القائم أمامه ، عبر الشارع ·· ومع ذلك لم يفهم من الاعلان شيئا ، فهـــو مكتوب باللغة السويدية ،

وكل ما استطاع أن يتبينه فى الاعلان ، هو صورة راقصة باليه شـــقراء ، تقف على أطراف أصابعها ، ومكتوب تحت قدميها بخط عريض ، أصفر اللون ، كلمات ســـويدية غير مفهومة تقول : « سيم سيلابم » ··

وحول يوسف عينيه عن الاعلان ، وجال ببصره فى المقهى الذى يجلس فيه ، كانت الموائد خالية ، والخادم يقف على بعد خطوات منه ، وقد ارتدى « جاكت » أبيض ، وبنطلونا أسود ·· لا يتململ فى وقفته ، وينظر امامه فى جمـــود ·· وكأنه دمية من خشب ··

ولعن يوسف غباءه ، لأنه تسرع ورفض دعوة مستشـــار السفارة للعشاء الليلة . انه لا يدرى كيف توهم ان هـــذه الدعوة ، ستعطله عن الذهـــاب لمقابلة « ايف » بعد منتصف الليـــل ··

هذا الصباح ، فتح يوسف عينيه ، وتقلب فى فراشـــه ، ثم قرر ان يذهب الى « ايف » ويتحدث معها . و ·· من يدرى ما قد يحدث بعد هذا ··

ومنذ اتخذ قراره ، أحس بأنه يجب أن يبتعد هذا اليوم من مقابلة اى احد من رجال السفارة ، أو اى مخلوق يعـــرفه فى استوكهولم ··

وكان اليوم « الاحد » فخرج يطوف بالشـــوارع .. يمشى متسكعا هنا وهناك ، ويخترق الحـــدائق المنتشرة فى داخـــل المدينة ، قد ازدحمت بالأطفال والناس .. ويتفـــرج وهـــو واقف على المســـارح المقامـــة فى الهواء الطلق ، تقدم مجانا « اسكتشات » غنائية فكاهية ، ثم يضيق بالنكات السويدية التى يسمعها ، ولا يستطيع أن يشـــارك الناس فى الضحك عليها ، فينصرف الى الأركان البعيدة ، حيث يجلس كهول يقرءون الصحف فى اهتمام ، ويجلس على دكة خشبية بضع دقائق ، ثم ينتفض قائما ، ويمشى مسرعا لا يلوى على شيء..

وعند القناة الكبيرة التى تشق المدينة ، وقف يتفرج على المراكب تحمل أفواج البنات والشبان فى نزهات نهـــرية الى جزر فى ضواحى استوكهولم ..

وفكر فى أن يقفز الى واحدة من هـــذه المراكب .. وتقدم خطوتين ، ولكنه عاد ووقف جامدا فى مكانه · وقد خطر لـــه أن المركب قد تبتعد به ، ويحدث شيء ما يعطله فلا يعود الليلة لمقابلة « ايف » ..

وواصل السير ، وهو يعجب كيف استطاع أن يمشى كـــل هذه المسافات الطويلة دون أن يشعر بتعب ، انه لا يتحرك خطوة فى القاهرة الا بسيارته « الفيات » واذا تعطلت السيارة استعمل التاكسى لأقصر مشوار · ولكنـــه هنـــا لا يفكـــر فى الركوب ، ربما لأنه لا يعرف كيف يتفاهم مع سائق التاكسى وربما لأنه لايريد الذهاب الى مكان معين بالذات ، وعلى أية حال أنه لايصدق أنه قطع كل هذه المسافات على قدميه ·

وكان بين وقت وآخر ، تصادفه فتاة سويدية جميلة .. كل السويديات جميلات .. انهن جميعا يذكرنه بصور البنـــات فى اعلانات « معجون الأسنان » التى يراها فى صحف القاهرة · وكان يتذكر ماسمعه وقراه عن بنات السويد ، ويتوقع

انه لو نظر الى فتاة سويدية . ستبادله النظرات ، ولو ابتسم لها ستبتسم له ، ثم يكلمها وتكلمه .. ويضيف الى مغامراته مغامرة جديدة يرويها لأصدقائه عندما يعود الى القاهرة ..

ولكنه لم يحاول أن يطيل النظر الى واحدة ممن صادفهن فى الطريق ، ورفض أن يبتسم لهن ، اكتفى بأن يمشى جادا وقورا ، ويشاهدهن يعبرن الطريق مسرعات ، مدخرا كل نظراته وابتساماته لـ « ايف » ..

ولما بلغت الساعة الواحدة بعد الظهر ، احس بالجوع ، فمضى الى احد المطاعم فى حديقة كبيرة ، ووقف فى الطابور يرقب الذين قبله ، وكل من يجيئه الدور ، يرفع صينية خشبية ويطلب من العاملة ، فنجان قهوة وقطعة « كيك » ، ويضعهما فوق الصينية ، ثم يتجه الى احدى الموائد ، ليتناول طعام غدائه .

ورفض يوسف أن يكون غداؤه فنجان قهوة وقطعة «كيك» أنه يموت جوعا ، وعندما فرغ الطابور أمامه ، ووصل الى العاملة ، مد يده ورفع صينية خشبية ، ووضع عليها ملعقة وشوكة وسكينا وأشار بيده الى السجق المحمر والى كفتة « الهامبورجر » وملأ صينيته بأطباق الطعام ، ولم ينس أن يطلب أيضا فنجان القهوة وقطعة « الكيك » ، ودفع تسعة « كرونر » ثمنا لطلباته ، وهو يقول لنفسه فى غيظ ، انها تساوى جنيها مصريا بسعر السوق السوداء . وحمل الصينية وقد ثقلت بها يداه ، وتقدم خطوتين ، تذكر أنه نسى « السكر » فاستدار فجأة ، واذا بيده ترتجف ، وتسقط الصينية على الأرض ..

وكل ما حدث لحسن الحظ ، هو أن القهوة انسكبت فوق السجق و « الهامبورجر » وفى ارتباك شديد ، رفع الصينية وتلفت حوله ، فلم يجد أحدا يعيره انتباها ، وذهب الى أقرب مائدة ، وبدأ يأكل السجق بصلصة القهوة ، وقد غمره شعور حزين ..

انه يعلم أن هذا الحادث الذى وقع ، ليس صـــدفة ، لأن فى يده اليمنى عاهة خفية لا يلحظها أحـد . اصبعه البنصر مشلول ، ملتو دائما على هيئة خطاف معقوف ، ولا يستطيع أن يبسطه .. وكلما سقط من يده شىء ، تذكر عاهته ، وبذل محاولة يائسة لتحريك بنصره ، ثم يشعر بحزن غامض يطبق على صدره ..

ولما فرغ من تناول طعامه ، اسرع بمغادرة المطعم . كان لا يريد الجلوس فى هذا المكان ، بين العيـون التى شـاهدت الحادث ، كان الجميع يعلمون بعاهته ، ومشى مسرعا ، يريد الفرار من الحزن الذى يكتم أنفاسه ..

وفى الشوارع ، تحول الشعور الحزين ، الى شعور بالغربة والوحدة ، وحاول أن يتذكر « ايف » وأنه سيذهب اليها بعد منتصف الليل ، ولكنه افتقد الرغبة التى كان يشعر بها نحو « ايف » وهو يتقلب فى فراشه هذا الصباح ..

انه يشعر الآن ، برغبة فى العودة الى القاهرة .. يريد أن يعود الى بيته الصغير المطل على النيل ، من الطابق الرابع والأخير باحدى عمارات الزمالك ، يريد أن يرى وجه خادمه « جمعة » وهو يبتسم ، فيكشف عن أسنانه البيضاء تلمع فى وجهه الأسمر ، يريد أن يسمع « جمعة » يقول له :

— مدموازيل سعاد .. ومدموازيل هدى .. والست نادية .. سألوا عنك ..

وضحك يوسف ، وهو يتذكر اصرار «جمعة» على أن يقول الست « نادية » ولا يقول مدموازيل « نادية » .. ربما لأن جمعة يشعر بأنه قريب منهما ، فهى لاتعرف اللغات الأجنبية ولاترطن امامه بالفرنسية او الانجليزية ، مثل سعاد وهدى ..

ما الذى جعله يتذكر البنات الثلاث ؟

عندما ارتفعت الطائرة محلقة فوق مطار القاهرة فى طريقه

الى السويد ، وهنأ نفسه بالاخلاص منهن . كانت علاقته بهن غير طبيعية .. كان يحب الثلاث فى وقت واحد .. واذا غابت عنه واحدة شعر بنقص كبير ..

نادية كانت تقضى معه الليل ، وكان يشعر بالاطمئنان وهو راقد على السرير جانبها ، فينام ملء جفونه ، ويستيقظ فى الصباح نشيطا مرحا ..

وسعاد ، كانت تخرج معه فى السهرات ، ترقص معه فى الميناهاوس و « البافيون دى جولف » وقاصد خير ، ويشعر بنشوة كبيرة ، وهى تدخل الى جانبه أى مكان عام ، فتلفت اليها الأنظار ، انها تعرف كيف تلبس ، وتعرف كيف ترقص وتستطيع أن تخلق جوا مرحا حولها فى اى مكان تذهب اليه ، ومع أية شلة تختلط بها ..

اما هدى ، فعاطفية جدا ، وهى تجيد الكلام فى التليفون وتسأله عن عمله ومشاغله ، وتحيطه بجو من الأمومة ، ولكنها ماكرة ، تعامله بحساب ، ولا تسمح له بأكثر من قبلة سريعة على خدها ، ثم تبتعد عنه ، وتدفعه بعيدا عنها فى حنان ، وتدبر الخطط ليتزوجها ..

انه كلما فكر فى حياته مع هؤلاء البنات الثلاث ، خاف أن يكون قد تحول الى انسان شاذ ، أدمن النوم الى جانب نادية، والرقص مع سعاد ، والكلام فى التليفون مع هدى ..

لقد بلغ الثلاثين ، وأصبح مسئولا عن عمل كبير فى مكتب الاستيراد والتصدير ، وهم يرسلونه الآن ليعقد صفقات هامة فى الخارج ، وهو يعلم أن نصف رأس مال رجل الأعمال الناجح هو سمعته ، ولابد له أن يتزوج ، وأن يكف عن هذه الحياة الفارغة ، وقرر أن يشرع فورا فى البحث عن زوجة ، وأن يقطع علاقته بالبنات .. حتى هدى التى تريد أن تتزوجه قرر أن يقطع علاقته بها ، ويختار واحدة لا صلة لها بحياته

قبل الزواج ، ليبدأ عهدا جديدا يقنع فيه نفسه ويقنع الجميع أنه أصبح عاقلا وقورا ، وبعد ذلك اذا أراد أن يقدم على مغامرة فليكن ذلك فى السر وفى تكتم شديد .

وكان سفره الى السويد ، هو الفرصة التى ينتظرها ليقطع علاقته بالبنات الثلاث ، فأخفى عنهن سفره ، وفى صباح الليلة التى سافر فيها رفض أن يتكلم مع هدى عندما طلبته فى التليفون وهو فى المكتب ، وأمر جمعة أن يقول لكل صوت نسائى يسأل عنه ، أنه غير موجود ..

ولكنه الآن ، وهو يسير فى شوارع استوكهولم ·· يشعر بحنين جارف لحياته السابقة فى القاهرة ، ويشعر بوحشة الى نادية وسعاد وهدى وجمعة ··

ووصل فى سيره الى مقهى أنيق ، له « تراس » ملىء بالورود وصعد الى التراس ، وطلب قدحا من الشاى ، وعندما جاءه الخادم بالشاى ، تذكر فجأة أمه وأباه · وشعر بندم كبير لأنه لم يزر قبريهما قبل سفره ..

وفى هذه اللحظة اصطدمت عيناه بالاعلان الملصق على جدار المسرح فى الناحية الأخرى من الشارع ، وحاول أن يفهم ماذا يعنيه هذا الاعلان ·· هل هى مسرحية أم باليه أم استعراض راقص ، ولكن الكلمات السويدية استعصت عليه ·· وتمتم وهو يقرأ الكلمات تحت أقدام صورة الراقصة الشقراء « سيم سيلابم » وهز رأسه يائسا من أن يفهم معناها · وتلفت حوله ، ثم عاد يقرأ الاعلان من جديد ·· « سيم سيلابم » ·· « سيم سيلابم » وأدرك أنه يعيد قراءة الاعلان ليتخلص من شعوره بالغربة والوحدة .

ونظر يوسف الى ساعته ، فوجد عقاربها تشير الى السادسة والربع ، فانزعج وكأنه اكتشف أن أمامه عملا

خطيرا يجب أن يقوم به ٠٠ أمامه ست ساعات أخرى يقضيها فى انتظار « ايف » ٠٠

« ايف . ايف » ٠٠

لماذا هو مصمم على الذهاب الى «ايف» فليعدل عن المشروع كله ، اذ ما يدريه أنه بعد انتظاره الطويل ، سترضى « ايف » بمقابلته ، وما يدريه أنها ستفرح بلقائه ٠٠

بالأمس رأى « ايف » لأول مـرة ، وكانت ليلتـه الأولى فى ستوكهولم وفى السويد ٠

هبط من الطائرة بعد ظهر الأمس ، فوجد فى انتظـاره مندوب شركة الورق التى جاء ليتفاوض معها ، وقاده الرجل فى الحال الى مكتب الشركة ، حيث قابله المدير « مسـتر بوسفلت » رجل مهيب ضخم ، طوله حوالى المترين ، لـه هيئة قائد عسكرى يتكلم الانجليزية بصوت أجش ويستعمل عبارات فخمة فى حديثه ٠

وقدم له « بوسفلت » كأسا من الشيرى ، وتناول كأسـا أخرى ثم صك قدميه بحركة عسكرية ، وأحنى رأسه فى انحناءة جافة وهتف :

ـ سكول ٠٠

ورفع « بوسفلت » كأسه ، وقد أغمض عينيه ، وشربه دفعة واحدة ، ثم خفض الكأس ونظر اليه وأحنى رأسـه مـرة أخرى ٠ ويوسف ينظر اليه كأنه يشـاهد ممثلا يؤدى دور جنرال ألمانى فى أحد الأفلام ٠

ولم يضع « بوسفلت » وقته ، سأله عن نوع الورق الذى يريده والكميات التى يريد شراءها ، وأخبره بالبرنامج الذى

أعده له ، لزيارة بعض مصانع الورق ٠ ثم نظر فى ساعته ، وقـال :

- أمامك ساعة تذهب فيها الى الفندق ، وسأحضر هنـاك لأصحبك الى مكان نتناول فيه العشاء .

وشمخ « بوسفلت » بأنفه ، وقال فى زهو كأنه يعلن نبـأ عظيمـا .

- أنت ضيفى الليلة .

وكانت الساعة الثامنة تماما ، عندما خـرج يوسف مع « بوسفلت » من فندق « أركاديا » المواجه لمحطة السـكة الحديد . وذهبا الى ناد ليلى فخم اسمه « الامبسـادور » وكان كثير من الزبائن يقفون أمام الباب ، ينتظرون السماح لهم بالدخول ، ولكن « بوسفلت » اخترق الحشد ، وتقـدم من الحارس الذى يقف أمام الباب ، وقدم له بطاقته ، وذكر له اسم الشركة التى يمثلها وأشار الى يوسف ، ولعله قـال للحارس أنه ضيف قادم من الجمهورية العربية . فأفسح لهما الحارس الطريق .

وكان « الامبسادور » واسعا ، فيه مئات الموائد ، وفى صدره منصة الأوركسترا تقودها امرأة شقراء ترتدى فستانا ورديـا .

وطلب « بوسفلت » من الميتردوتيل أن يضع على مائدتهما علم الجمهورية العربيـة ، ونفذ « الميتردوتيل » الأمـر فى الحال ، والجالسون على الموائد القريبة ينظرون الى يوسف ويتهـامسون ولمح يوسف احدى السيدات تجلس على مائدة قريبة ، تهمس فى أذن « الميتردوتيل » وهى تنظر ناحيتـه ، وألقى الميتر بنظرة سريعة ناحية يوسف ، ثم همس فى أذن السيدة . لاشك أنها كانت تسـأله عن العلم المرفوع على المائدة ، ولأى بلد هذا العلم .

وفى أثناء تناولهما طبق « البفتيك » تخلى « بوسـفلت »

فجأة عن غطرسته ، وبدأ يروى نكاتا جنسية فاضحة ، وهو يضحك كطفل مرح ضحكات تكاد تزلزل المكان ٠

وغمز « بوسفلت » بعينه ناحية الأوركسترا ، وأشار الى قائدتها قائلا :

ـ انظر الى ايف ٠

ورفع يوسف بصره عن طبق « البفتيك » ونظر الى « ايف » لم يكن يرى الا ظهرها ، وجسمها الرشيق وشعرها الأشقر ، وكان يقول لنفسه ان هذه هى أول مرة فى حياته يرى فيهـــا قائدة أوركسترا ٠

ونظر يوسف الى « بوسفلت » منتظرا بقية كلامه ٠

واستنشق « بوسفلت » الهواء الذى انتشر فيه الدخـــان ، بقوة وقـــال :

ـ كم هى جميلة ٠٠ اتعرف أنها أحبت شابا من بلدكم منذ أربع ســـنوات ٠

فســـأله يوســـف فى دهشـــة ، وهو يعيد النظر الى « ايف » فلا يرى الا ظهرها وقوامها الرشيق الذى يتماوج مع حركات يديها وهى تقود الأوركسترا ٠٠

ـ وماذا حدث لهما ؟

وضـحك بوسفلت ، واهتز جسمه الضخم ، كأن بركانا انفجر فى داخله وقال :

ـ ماذا تتوقع أن يحـــــدث ٠٠ لقـــد عاد الى بلده ، وبقيت « ايف » هنـــا ٠٠

وأحس يوسف بالامتنان نحو « بوسفلت » لأنه جاء به الى مكان فيه امرأة أحبت واحدا من بلده ٠ أحس أنه على صلة بايف ٠٠

واستأنف « بوسفلت » قائلا :

ـ ولكنها مازالت تذكره ٠٠ انها تسأل كل واحد يأتى من بلدكم عنه ٠٠

وسأله يوسف فى لهفة :

ــ هل تعرف اسمه .. ؟

فصاح « بوسفلت » ضاحكا :

ــ ايف تذكر اسمه طبعا ، ولا تنساه ، لقد سمعت الاسم منها ، ولكنى لا أستطيع أن أحفظ أسماءكم .. انها صعبة على .. ثم سارع يقول فى تودد ظاهر ..

ــ ولكن اسمك سهل .. يوسف « جوزيف » انه اسم معروف عندنا ..

ومال بوسفلت برأسه ناحية يوسف وقال :

ــ سأناديها بعد أن تفرغ من عملها .

ثم رفع رأسه .. ونفش صدره ، وقال :

ــ هذا هو السر فى اختيارى لهذا المكان .. قلت لنفسى ان هناك قصة مسلية أستطيع أن أرويها لك ، ونحن نتناول الطعام ..

وتمنى يوسف لو أن بوسفلت لم يقل له ، انه جاء به الى « الامبسادور » عامدا ، وضايقه هذا التصنع فى الحفاوة به ، انه عندما يرحب بضيف فى القاهرة ، لا يرسم له الخطط ، ويعد المناسبات ليروى له القصص ..

لقد شعر أن « بوسفلت » يؤدى عملا وهو يحتفى به ..

وحول يوسف بصره بعيدا عن « بوسفلت » وهو يتساءل ، لماذا لا يحاول هذا الرجل أن يخفى أنه يقوم بعمل ، لماذا لايتظاهر بأنه يرحب به شخصيا ..

ونظر « بوسفلت » الى ساعته فجأة ، ثم هتف :

ــ أوه .. انها الحادية عشرة .. يجب أن أستيقظ مبكرا ، لأقضى مع زوجتى وأولادى يوم الأحد خارج المدينة ..

ورفع « بوسفلت » أصبعه مشيرا الى يوسف وقد ضاقت عيناه وعلى شفتيه ابتسامة واسعة ..

ـ ولكننا لن نترك المكان قبل أن أقدمك الى « ايف » ٠

وطلب « بوسفلت » من المتردوتيل « كشف الحساب ، وراجعه بدقة ، ودفع الحساب ، وطوى الكشف بعناية ، ووضعه فى محفظته ليحاسب عليه الشركة ٠٠

ثم نهض وقال ليوسف :

ـ اتبعنى ٠٠

واخترق الاثنان صفوف الموائد ، حتى وصلا الى منصة الأوركسترا ٠ فصعدا درجات الى جانب المنصة ، وانتحيا جانبا ٠٠

وزأر « بوسفلت » بصوت صاخب حتى تسمعه « ايف » ٠٠

ـ « ايف » ٠٠ « ايف » ٠٠

والتفتت « ايف » الى مصدر الصوت الصاخب ، كان وجهها مستديرا متوردا ، لها وجنتان بارزتان وعينان واسعتان ، وفم دقيق ، وكان شعرها مقصوصا يكشف عن رقبتها النحيلة ، أما جسمها فضئيل ولكنه يبدو طريا مليئا بالحيوية والأنوثة ٠

ورأت « ايف » بوسفلت ، وهو يشير اليها بيده ، فابتسمت وغمزت له بعينها ، وألقت نظرة سريعة على يوسف ، ثم عادت تنظر الى الأوركسترا وتقودها بحركت يديها ٠٠

وقبض « بوسفلت » على ذراع يوسف قائلا فى انفعال :

ـ ستأتى بعد أن تفرغ من هذه المقطوعة ٠٠

ونظر الى ساعته فى قلق ، كأنه يريد أن يفرغ من مهمته فى أسرع وقت ليعود الى بيته ٠٠

وهمس يوسف وهو لا يحول عينيه عن « ايف » :

ـ انها فعلا جميلة ٠

فخبط « بوسفلت » على كتفه فى عنف ، وقال وجسمه يرتج بضحكات قوية :

ـ هيه ٠٠ أعجبتك ٠٠ انها شقراء ٠٠ وعيونها زرقاء ،

أنتم تعشقون هذا الصنف من النساء .. انه متوافر عندنا بكميات هائلة . أكثر من الورق الذى تريد شراءه .. كل ما عليك هو أن تأمر .

وضاعت بقية كلماته وسط هدير ضحكاته العالية ..

وفرغت « ايف » من قطعة الموسيقى الراقصة التى تعزفها . فأومأت برأسها الى العازفين، وانسحبت متجهة اليهما وعيناها لاتتحولان عن يوسف . وعينا يوسف لا تفارقان عينيها .

وصاح « بوسفلت » :

– ايف » .. هذا الشاب قادم من مصر .

وتهلل وجه ايف ولاحظ يوسف أن فمها أوسع مما كان يظن ، وأن شفتيها ممتلئتان أكثر مما كان يتوقع ودهمته عيناها بجمالها المفرط .. كانتا تشعان بجاذبية لا تقاوم ..

وقالت « ايف » فى لهفة :

– أوه .. أنت من مصر .. أوه .. كلكم شبان أقوياء جمال .. كلكم شعركم أزرق .. انى أحب هذا الشعر الأزرق ..

وقال يوسف فى أدب شديد يخفى به ارتباكه :

– تقصدين .. أسود .. ان شعرنا أسود ..

فقاطعته « ايف » فى حماس :

– لا .. لا .. انه أزرق .. انظر الى اللمعة الزرقاء التى تشع منه .. انى أحب هذا الشعر ..

و خفضت عينيها من شعره ، وواجهته فى عينيه ، وكأنها تغرس فى قلبها مسمارين من النشوة الدافئة .. وسألته :

– هل تعرف حمدى ؟

فردد يوسف الاسم فى غير فهم .. ثم سألها :

– حمدى .. ما هى بقية الاسم ..

قالت فى بساطة وهى تهز كتفها :

لا أذكر بقية اسمه .. لقد غادر استوكهولم منذ أربع

سنوات ، ولم يعد .. أوه .. كم هو رائع .. لذيذ ، ألا تعرفه .. لابد أنك تعرفه .. انه من القاهرة .. ألست من القاهرة ..

وأجابها يوسف فى حيرة ..

– ان فى القاهرة أكثر من ثلاثة ملايين ، وبينهم مائة ألف اسمهم حمدى ..

– ولكن حمدى الذى أعرفه .. ليس مثل أى حمدى آخر ..

وسألها يوسف :

– ماذا كان يصنع هنا ؟

قالت فى لهجة غير الواثق من كلامه :

– أظن أنه كان يدرس هنا فى الجامعة ..

وقطعت كلامها .. ونظرت الى شعر يوسف من جديد ، وقالت فى لهفة :

– هذا الشعر جميل .. جميل جدا ..

ومدت يدها تتحسس شعر يوسف .. فلامس ذراعها الطرى أذنه، والتهب رأسه بسخونة مفاجئة ، وكاد يمد يده ويطوقها من خصرها ويقبلها ، أحس برغبة عنيفة فى أن يحتويها بين ذراعيه ، ويضمها الى صدره . ولكنه لم يتعود أن يفعل هذا أمام مئات العيون ، ووسط مكان عام كالامبسادور ..

وارتفع صوت « بوسفلت » :

– يجب أن أنصرف الآن يا أولاد ..

فسحبت « ايف » يدها من شعر يوسف ، وقالت :

– وأنا أيضا .. يجب أن أعود الى عملى ..

وابتسمت « ايف » ليوسف ومدت أصبعها الى فمه ، وضغطت به على شفتيه قبلة :

– انى الليلة مشغولة .. ولكنك تستطيع أن تمر على بعد منتصف أية ليلة ، فنجلس معا ، وأحدثك عن حمدى ..

وقبل أن يجد يوسف الكلمات التى يرد بها عليها ، كانت

قد ابتعدت ، وذهبت الى مكانها أمام الأوركسترا ، وبقيت الكلمات الضائعة محبوسة فى صدر يوسف ..

ولم ينتبه يوسف الى صخب « بوسفلت » وسار وراءه حتى خرجا من « الامبسادور » وركب معه عربته ، ولم يفق من أحلامه الا أمام فندق « أركاديا » و « بوسفلت » يقول له :

– سأنتظرك فى المكتب الساعة التاسعة صباحا يوم الاثنين

وصعد يوسف الى حجرته ، وخلع ملابسه ، ودخل السرير وأطفأ النور ، وظل يحلم بـ « ايف » أحلاما مختلطة غير مفهومة ، ثم غلبه التعب ، فنام ..

وفتح عينيه فى الصباح ليجد أنه ما زال يفكر فى « ايف » وقرر أن يذهب للقائها الليلة ..

ألقى يوسف بنظرة أخرى على الاعلان ، وتمتم من جديد : سيم سيلابم » ثم نهض فجأة ، ودفع حسابه للخادم ، وترك المقهى ، وعبر الشارع ، ووقف وجها لوجه أمام الاعلان ثم قرر أن يدخل المسرح ، ليشاهد « سيم سيلابم » هذه وليكن ما يكون . فليست أمامه وسيلة أخرى يقطع بها الوقت حتى يحين موعد ذهابه الى « ايف » ..

ووقف يوسف أمام عاملة شباك التذاكر حائرا ، لا يعرف ماذا تقول له بالسويدية . وأخيرا حسمت العاملة الموقف ، فأشرت على مقعد بالصف الأول ، وناولته التذكرة ، ومد لها يوسف يده وفيها بعض الأوراق المالية ، فأخذت منها ثمن التذكرة وأعطته الباقى ..

كانت قاعة المسرح تشبه الى حد كبير دارالأوبرا فى القاهرة المقاعد من القطيفة الحمراء ، والمقصورات تحيط بالقاعة فى ثلاثة طوابق ، وبين مقعد يوسف فى الصف الأول وخشبة المسرح ، مساحة تحتلها الأوركسترا ، وقد بدأ العازفون

يدخلون واحدا واحدا ، ويصلحون آلاتهم ، فتخرج أصوات متنافرة كضوضاء طريق مزدحم بالسيارات ..

وبدأ يوسف يشعر بالملل ، قبل أن تعزف الأوركسترا .. وترفع الستار ، وشعر أنه سجين مقعده فى الصف الأول لا يستطيع أن يتفرج على الناس . الا اذا أدار رأسه ناحيتهم فى وقاحة ، وأمامه عشرون عازفا يرتدون ملابس السهرة ، ولهم وجوه الفنانين الشاحبة ، ينفخون فى آلاتهم ، أو يحركون أوتارها فى عصبية واهتمام . كأنهم أطفال يعبثون بلعب جديدة فى يوم العيد .

وخفتت أضواء القاعة ، ودخل من ستار تحت خشبة المسرح رجل نحيف ، له وجه وقور ، شعره أشيب ، ويضع على عينيه نظارات سميكة ، واتجه الرجل الى منصة المايسترو وخفتت أصوات العازفين ، وأظلمت القاعة وأضاء ستار المسرح ورفع المايسترو يده ، ايذانا ببدء العزف ..
وفى هذه اللحظة ، دلفت من خلف الستار الذى دخل منه المايسترو ، امرأة لها عينان تلمعان كأنهما عينا قطة .. وجلست على مقعد الى جانب الستار ، ووضعت يدها على خدها ، وكأن هذه المرأة قد وضعت يدها على قلب يوسف .. مست قلبه هذه الحركة البسيطة بيدها ، ونظراتها المستكينة الى المايسترو ، وجلوسها بين العازفين بلا عمل ..

وحدق يوسف بعينيه مخترقا الظلام ، فى وجه المرأة الذى بدأ يتضح له شيئا فشيئا ، كانت على بعد ثلاثة أو أربعة أمتار منه ، وجهها طيب حنون وكأنه يعرف هذا الوجه ، ورآه من قبل فى القاهرة . انه وجه مألوف ، هذه التقاطيع الدقيقة ، والملامح الحزينة ، والعينان الناعستان المستكينتان ، اللتان تشعان فى نفس الوقت ببريق حاد . كأن فى داخلهما حريق مأساة ..

وتذكر يوسف صورة أمه ، التي يحتفظ بهـــــا في درج « الكومودينو » الى جانب سريره في بيته بالقاهرة ..

وقال لنفسه في تأثر « انها تشبه أمي » .

ولم يحول عينيه عنها ..

كانت تنظر الى « المايسترو » في ألفة ، وكأنها تعرفه منذ سنين ، ثم تنقل عينيها بين العازفين دون أن ترفـــع خدهــا المستقر فوق كفها ، وكانيبدو عليها الاستسلام لما تقــع عليه عيناها .

وقفز الى رأس « يوسف » خاطر مفاجىء ، ولكنه صدقه في الحال ..

انها زوجة هذا المايسترو .. هو أكبر منها في السن ، هي في سن ابنته ، ومع ذلك فلا شك أنها زوجته . لو كانت ابنته لـذهبت ترقص مـــع صــديق ، أو خــرجت مع شلة في احدى السهرات ، والزوجة وحدهـــا هي التي ترضى بأن تقضي يوم الأحد مع زوجها في المسرح .. لم تجد مكانا آخر تذهب اليه فحضرت معه الى هنا ، ووضعت يدها على خدها ، تنعى حظها الذي جعل زوجها يعمل في اليوم الذي يستريح فيه الآخرون .

وكان المايسترو ، يلوح بيديـــــه في حـــــدة ، ومــوسيقى الافتتاحية تنطلق في حماس ، وأصوات الأبواق النحاســـية والطبول تطغى على أصوات الآلات الوترية ..

وانفتح الستار ، فحول يوسف عينيه لأول مرة عن زوجة المايسترو ..

وظهر على خشبة المسرح ، رجل سويدى ضخم مثل بوسفلت يرتدي ملابس هندية ، وفوق رأسه عمامة مهراجا ، وكـــان الرجل يتظرف ويتحسس كرشه ، ويلقى بنكات يضحك لهـــا المتفرجون في غير حماس .. ثم أعطى الهندى السويدى ظهره للمتفرجين ، ونظر الى حائط مرسوم على شكل صخور ..

ولوح بيديه فى حركات سحرية ·· وجعل يردد فى صوت غريب ··

ــ « سيم سيلابم » ··

وانشق الجدار الصخرى ·· عن راقصات باليه ، يرقصن شبه عاريات ، والساحر البدين يخترق صفوفهن ، ويمد يده الى صدر واحدة ، وساق أخرى فى حركات سمجة ثقيلة الدم ·

ووجد يوسف نفسه ينظر الى زوجة المايسترو وكأنه يستغيث بها · وكانت هى ما تزال تضع يدها على خدها وتنظر الى زوجها فى برود وضجر ··

ومضت دقائق طويلة ، ويوسف لا يحول عينيه عن المرأة ، ويختلس بين وقت وآخر نظرة خاطفة الى الراقصات ، ثم يعود وينظر اليها ·

وبينما هى تنقل عينيها عن يدى زوجها وتحولهما الى قارع الطبول التقت عيناها بعينيه ·

وفتحت فمها نصف فتحة فى دهشة · لم تتوقع أن ترى واحدا من المتفرجين يترك منظر الراقصات العاريات، والهندى وكل هذه الضجة فوق المسرح ، وينظر اليها ··

ولم تطل نظراتها الى يوسف ، حاولت أن تبدو طبيعية ، وحولت عينيها الى قارع الطبول ·

ولكن لم تمض لحظات ، حتى حولت عينيها فجأة الى يوسف والتقت عيناها بعينيه ·

انه مازال ينظر اليها ··

ورفعت خدها عن يدها ، ونظرت الى المايسترو ، وزاد يقين يوسف ، انها زوجة المايسترو بلا أى دليل جديد ·

وعادت تنظر الى يوسف ، وأطالت نظرها اليه كأنها تسأله لماذا تحدق فى ، لماذا لاترفع عينيك الى الراقصات ، من انت ·· ماذا تريد ·· ماذا بينى وبينك ؟

أحس يوسف بهذه الأسئلة تصل اليه مع ذلك البريق الحزين الذي يخترق الظلام اليه .. ورفض أن يحول عينيه من عينيها ..

لقد أمضى النهار كله ، بلا حديث ، ساعات النهار ذهبت وهو وحيد ، وهو فى حاجة الى حديث عينيها ، انه لا يريد سماع الموسيقى ، ولا يريد رؤية الراقصات ، كل ما يريده ، هو عينان وديعتان تذكرانه بعينى أمه ، وتنظر اليه ، وينظر هو اليهما ..

ورفع يوسف يده الى خده .. وهو مازال ينظر اليها .. فابتسمت ..

وأضاءت ابتسامتها فى قلبه ..

وابتسم لها ..

فأشاحت بعينيها عنه ، ونظرت فى قلق الى زوجها . ثم نقلت عينيها الى عازفى الكمان . ثم الى عازفى الآلات النحاسية ، ثم الى قارع الطبول .. ثم الى سقف المسرح . وأخيرا .. أخيرا عادت ونظرت اليه ..

وكان مازال ينظر اليها ..

ولم تحول عينيها عنه . وعلم يوسف أنها تحاول أن تجيب على أسئلة كثيرة فى رأسها . انها تعرف أنه أجنبى ، ولكن من أى بلد فى العالم ، ولماذا يغازلها ، ألا يعلم أن زوجها أمامه ، وهل جاء الى المسرح من أجلها وحدها ، وما هى خطوته التالية ؟

كانت الأسئلة تقفز الى رأس يوسف ، فيخيل اليه ، أنها أسئلتها ، ولا يجد ما يقوله سوى أن يستمر فى النظر اليها ..

وارتفع صوت الموسيقى ، وعلا صياح الساحر فوق خشبة المسرح ، وقامت ضجة هائلة ، ويوسف يرفض أن يرفع عينيه عنها ، حتى أسدل الستار ودوى تصفيق المتفرجين ، وأضيئت

قاعة المسرح · وعيناه مازالتا فى عينيها ، وعيناها ما زالتا فى عينيه ·

ورآها فى النور ، كان جمالها أكبر من طيبتها ، ولم تفلح الأضواء الباهرة فى اخفاء بريق عينيها ورأته هى فى النور ·· فوقفت واتجهت الى الستار وقبل أن تختفى وراءه ·· التفتت اليه وابتسمت ··

ولم يستطع يوسف البقاء فى مقعده · قام وخرج الى البهو الخارجى للمسرح ونظر فى ساعته فوجدها السابعة والنصف ·· وأشعل سيجارة ، وبينما هو يبحث عن مكان يلقى فيه بعود الكبريت ·· رآها قادمة نحوه ·· والابتسامة مازالت على شفتيها ··

لا يدرى يوسف كيف كان لقاؤهما فى لحظاته الأولى ، شدته ابتسامتها ، فتقدم منها بلا وعى ·· وعلى شفتيه هو الآخر ابتسامة بلهاء ··

كان يقول فى انفعال « هاللو » ويشم بأنفه عطرا يلفح وجهه ويمد يده يريد أن يصافحها ·· ثم يسحبها لأنها لم تنتبه الى يده الممدودة ·· كانت تنظر فى عينيه ··

كانت كل حواسه تتحرك بسرعة وانفعال ، عيناه تحدق فى عينيها ، وشفتاه تنفرجان عن ابتسامة عصبية ، وصوت مبحوح يخرج من فمه مرددا :

ـ هاللوا ··

وسمع صوتها الدافىء ، يردد بعض الكلمات السويدية ، فارتبك وهز رأسه فى حيرة ، وقال بالانجليزية :

ـ انى آسف ·· هل تتكلمين الانجليزية ··

قالت وعيناها تلمعان بضياء مشرق ، والسعادة تمرح على شفتيها المفتوحتين :

ـ نعم ·· نعم ··

وأردفت تسأله بالانجليزية :

– أنت غريب هنا ..

– نعم ..

وسألته فى فضول كأنه الشوق :

– من أى بلد أنت ؟

قال وقد بدأ يسترد هدوءه :

– قولى أنت ..

قالت وهى تتأمله بعينيها الواسعتين :

– أنت من أمريكا اللاتينية ..

وضحكت عيناه ، وهز رأسه بالنفى قائلا :

– لا ..

قالت وقد زاد فضولها .. زاد شوقها :

– شكلك أسبانى ..

ولمحت النفى فى عينيه فأسرعت تقول :

– ايطالى .. هيه ..

– ولا ايطالى ..

وراقب عينيها تنقبان فى شعره ، وفى قسمات وجهه عن المكان الذى جاء منه .. كانت الطيبة المرتسـمة فى وجهها طابعا من الجمال الريفى .. جمال امرأة تسكن فى بيت وسط المزارع ، وتعيش مع صياح البط والأوز والدجاج .. وكان فى عينيها الرماديتين هدوء حقل برسيم .. حتى القلق الذى يلعب فى عينيها وهى تحاول معرفة المكان الذى جاء منه .. انه قلق هادىء .. مجرد نسمة هواء تداعب عيدان البرسيم

وأطلقت هى ضـحكة متهدجة اهتز لهـا صـدرها .. كان قلبها يقهقه ، ومالت برأسها على كتفها .. وقالت بصـوت أكثر دفئا :

– أوه أنا أدرى .. كل ما أعرفه أنك غريب .. وحيد .. وكنت ..

وقطعت كلامها فجأة ، وسألته فى براءة طفلة :

ـ لماذا كنت تنظر الى ؟

وأومأت برأسها ناحية المسرح ، وقالت :

ـ هناك ··

قال على الفور ودون أن يفكر :

ـ لم يعجبنى ما أراه على المسرح ··

ـ أوه ··

وأعقب بسرعة قائلا :

ـ وأعجبتنى عيناك ··

ـ أوه ··

وتزاحمت الكلمات على شفتيه ··

ـ لقد أمضيت النهار كله ، متسكعا فى بلدكم مشيت على اقدامى ألف ميل وجلست فى مائة مقهى ·· ولكنى لم احس بالراحة ، حتى رأيتك ·· والتقت عيناى بعينيك ··

ونظرت اليه فى وجوم ، لاتفهم ماذا يعنيه بكلامه ··

وسألته فى صوت جاد :

ـ من أى بلد أنت ؟

ونظر فى عينيها وقال :

ـ من القاهرة ·· جمهورية مصر العربية ··

ولم يبد عليها أنها سمعته ··

فعادت تسأله من جديد :

ـ من أين ؟

ـ أنا عربى ·· من جمهورية مصر العربية ··

وهتفت فى دهشة :

ـ هذه بلاد بعيدة ··

ـ بعيدة جدا ··

وفحصته كأنها تبحث عن شىء غريب فيه ، ورفعت عينيه

الى شعره ، ثم خفضتهما الى وجهه ، وجالت بهما فى عرض كتفيه .. ثم قوامه .. وهبطت بعينيها الى حذائه ..

وعادت ترفع عينيها اليه .. قائلة فى عجب :

– هذه أول مرة ، أرى فيها عربيا ..

قال بصوت لا يخلو من السخرية :

– ماذا كنت تتوقعين ؟

قالت فى حيرة :

– لست أدرى !

– هل أفزعتك ؟ ..

قالت فى ارتباك :

– لا .. ولكنك قادم من بلاد بعيدة .. وهذه أول مرة اخاطب فيها رجلا قادما من الشرق ..

وسألته فى اهتمام :

– هل هذه هى طريقتكم فى الكلام ؟

– ماذا تقصدين ؟

واحمرت وجنتاها وقالت :

– هذه الأشعار « مشيت الف ميل .. ووجدت الراحة فى عينيك ..

وضحكا معا ..

وســـألته :

– منذ متى وأنت فى استوكهولم ؟

– جئت بالأمس ..

– لأول مرة ؟

– نعم .. لأول مرة ..

– ولم تعجبك استوكهولم ؟

ونظر فى عينيها ، وابتسم قائلا :

– بدأت تعجبنى ..

وضحكت قائلة :

ـ الم اقل أن لك طريقة غريبة في الكلام .. ما اسمك ؟

ـ يوسف منصور ..

ورددت اســـمه بصعوبة ، كانت تحاول أن تنطقه مثلما نطقه هو ..

وسمع اسمه ..

ـ مستر .. يوهسيفماننصوور ..

قال يساعدها على نطق اسمه ..

ـ تستطيعين أن تقولى « جوزيف » انها أسهل ..

فنظرت اليه نظرة جادة .. وقالت فى اصرار :

ـ لا .. يجب أن أنطق اســمك كما هو .. يوهسيف ..

وأوشــك أن يسألها عن اسمها ، ولكن خطر له خاطر ، فقال فجـــأة :

ـ أنت زوجة المايسترو .. أليس كذلك ؟

وبدت الدهشة على وجهها .. وســألته بعينيها .. كيف عرف .. ثم سألته بيدها .. وأخيرا فتحت فمها وســـألته بصوتها :

ـ كيف عرفت ؟

ـ من نظراتك اليه ..

وسألته فى لهفة :

ـ كيف كنت انظر اليه ؟

ـ كنت تنظرين اليه .. وأنت تضعين يدك على خدك ..

وضحك قلبها .. وهتف فى حماس :

ـ انت مدهش ..

وقطع حديثهما دوى الجرس الكهربائى ، يدعو الناس الى العودة الى مقاعدهم فى قاعة المسرح ، لمشـــاهدة الفصـــل الثـــانى ..

والتفتت هى ناحية باب الدخول ، الذى تزاحم حوله الناس
ثم نظرت اليه وسألته فى حيرة :

ـ لا تقل لى انك تعرف اسمى ؟ ..
قال فى خبث :
ـ نعم أعرفه ..
وصدقته .. وسألته فى عجب :
ـ كيف ؟
وقال :
ـ اسمك .. أجمل عيون فى السويد ..
وهتف :
ـ أوه .. ظننت أنك تعرفه .. كنت سأقول انك ساحر ، أليس فى بلدكم سحرة ؟
ـ عندنا ســحرة مثل ذلك الرجل البدين الذى يقف على خشبة المسرح ..
قالت فى غير تصديق :
ـ لا لا تقل هذا .. ان الشرق ملىء بالسحرة ..
ـ هذا أيام زمان .. كان فى الشرق أنبيــاء ومعجزات وســحرة ..
ـ وأين ذهبوا ؟
ـ لا أدرى ..
قالت فى أسف حقيقى :
ـ خسارة .. اذن فلن تعرف اسمى ؟

ـ لابد أن تقولينه أنت ..
ورفعت رأســها ، ونظرت فى عينيــه ، وقالت بصـــوت دافىء :

ـ جوليا .. جوليا جونارد .. جونارد اســم زوجى .. اسمه يلمار جونارد ..

قال ببساطة وهو لا يفكر فى عواقب كلامه :

ـ جوليا .. انى أحب هذا الاسم ..

ـ هل سمعته من قبل ..

ـ سمعته كثيرا ..

ـ أين ؟

قال باسما :

ـ لا أذكر ..

وضحكت قائلة :

ـ حقا ان لك طريقة غريبة فى الكلام يا مستر يوهسيف ..

وحاولت أن تبحث عن بقية اسمه ، ولكنها كانت قد نسيته ..

وصاحت :

ـ أوه .. لقد نسيت ..

قال يذكرها مرددا اسمه ببطء :

ـ يوسف منصور ..

ـ نعم .. منصور .. والآن يا مستر منصور ، هل ستدخل المسرح ؟ ..

ـ اذا دخلته أنت ..

ـ يجب أن أعود الى زوجتى ..

ـ وأنا سأعود .. لأنظر الى عينيك ..

ـ ستضحكنى ..

ـ هذا يسعدنى ..

قالت محذرة :

ـ ولكنى أخشى أن يضايق هذا زوجى .. انه يؤدى عمله كما ترى ..

قال وعلى وجهه ملامح الجد :

ـ لا أستطيع أن أمتنع عن النظر اليك ..

– الا تعجبك الراقصات ..

– لا ..

وتلفتت جوليا حولها .. كان الجميع قد دخلوا .. وأطفئت معظم أنوار الصالة التى يقفون فيها .. وسمعا صوت الموسيقى ياتى من الداخل ..

وصاحت جوليا :

– لقد بدأ العرض .. ولم يبق سوانا فى هذا المكان ..

وتقدمت خطوتين نحو باب المسرح ، فتبعها ، ثم وقفت ، والتفتت اليه ، وقالت فجأة :

– مارأيك .. سأترك زوجى حتى لا تضايقه .. وساصحبك فى جولة فى استوكهولم .. أمامنا ساعتان قبل أن ينتهى بلمار من عمله .. وسنعود اليه واقدمك له ..

قال وهو يتذكر موعده مع « ايف » لأول مرة منذ دخل المسرح ..

– فكرة مدهشة ..

وتركته جوليا ، وهى تجرى ، وعادت فى لحظات لاهثة ، وفى يدها حقيبتها ، وجذبته من يده وخرجا الى الشارع ، وهى تسرع فى خطاها .. كأنها تعرف الى أين هى ذاهبة أو ربما كانت تخشى أنتعدل عن قرارها بالخروج معه ..

واستوقفت جوليا تاكسى ويوسف لا يدرى الى اين هما ذاهبان ، ولكنه احس عندما تحركت بهما السيارة ، وكأنه سلطان فى المدينة ، لقد قضى طوال النهار بهما وهو يلف ويدور، وحيدا ، يجهل الى أين تقوده قدماه ، كان تائها فى استوكهولم، ولم يكن تائها عن مكان ، أو ضل الطريق الى مكان .. كان تائها داخل نفسه ، تخنقه الوحدة والغربة ، اما الآن فمعه فتاة سويدية جميلة ، من أهل البلـــــد ، تتكلم لغتهم .. وتستطيع ان تتفاهم معهم ..

ورأى يوسف بطرف عينه ، جوليا وهى تتظر من نافـــذة السيارة عن يمينها ، وكانت السماء ملبدة بالسحب الرمادية ، تحجب وراءها شمس الأصيل .. ان الغروب لايبدأ فى هذه المدينة قبل العاشرة، وسأل يوسف نفسه .. من أقرب البنات اللاتى عرفهن الى جوليا .. كان يفكر فى البنات الثلاث اللاتى تركهن فى القاهرة .. هل هى تشبه هدى أم سعاد ؟ ولم يحاول أن يقارن بينهما وبين نادية التى ينام معها ..

وضحك فى سره ، انها لا تشبه أية واحدة منهن أن ملابسها أبسط بكثير من ملابس سعاد المتأنقة ، التى تســـهر معه فى كباريهات القاهرة ، وهى لاتشبه هدى التى تكلمه فى التليفون وتموت فى الأحاديث العاطفية الحالمة ، ان جوليا تدهش من الكلام العاطفى ..

وعبرت السيارة ميدانا كبيرا ، يتوسطه تمثال رجل نبيل يمتطى صهوة حصان ، فالتفت يوسف الى جوليا ، ليسألها عن صاحب التمثال ، وقبل أن يقول لها شيئا ، كانت قد شعرت به ينظر اليها ، فحولت عينيها عن النافذة فى لفتة حـــــادة مفاجئة ، وشعر يوسف برجفة فى صدره .. كانت عيناهــــا قريبتين منه .. عينان حالمتان ، كأنها تنظر اليه ولا تراه ..

ونسى يوسف سؤاله ، وكاد يهمس « ماذا بك ؟ »

ولكنه لم يقل شيئا ، وجد نفسه يطيل النظر فى عينيهـــا الرماديتين فى لون السحاب المنعقد فى السماء .. وغرق فى عينيهـــا ..

وسمعها تقول وعلى شفتيها ابتسامة مرحة .. وفى عينيها تأثر حقيقى لا تنقصه الا الدموع :

ـــ انى سعيدة لأنى سأقوم بهذه الجولة .. انك لاتدرى كم كنت أتمنى أن أفعل هذا ..

سألها فى صوت خفيض .. اذ لم يجرؤ أن يرفع صوته ،

وهو غارق فى عينيها .. كان لابد أن يتكلم برقة وفى صوت هامس ..

— وما الذى كان يمنعك ؟

وأجاب على سؤالها بينه وبين نفسه ، بأنها كانت فى انتظار غريب مثله لتقوم معه بهذه الجولة ..

ولكنها رفعت كتفها وخفضته فى حيوية، وقالت بكل قسمات وجهها ..

— لست أدرى .. كنت أؤجل الفكرة .. ربما لأن «يلمار» كان يسخر منى لو سألته ان يصحبنى الى « سوليدن » ..

— سوليدن ؟

قالها يوسف فى غير فهم ..

فوضعت يدها على يده ، وضغطت عليها ، واغمضت عينيها وهى تشرح له :

— انه المكان الذى سنذهب اليه ..

وخيل الى يوسف أنه ذاهب معها الى الجنة ، وتمنى لو استطاع أن يرى الصورة التى تخيلتها وهى تغمض عينيها .. وتمنى لو كان يستطيع حقا أن يغرق فى عينيها .. ان تضعه فى عينيها وتغمضهما عليه ..

وتذكر القنال الذى كان يقف أمامه فى الصباح وهو يتفرج على المركب الذى يحمل الشبان والبنات فى نزهة الى الجزر البعيدة فى ضواحى المدينة .. لقد رفض أن يهبط الى المركب حتى لايحدث شىء يعطله عن الذهاب الى « ايف » فى منتصف الليل . وها هو يتساءل . هل ستعطلنى هذه المرأة عن الذهاب الى « ايف » ، ثم صحح سؤاله ، انه يخدع نفسه ، ان السؤال الحقيقى الذى يدور فى راسه الآن ، هو سولين ام ايف ؟

وقررت فى الحال أن يطرد هذا السؤال من راسه .. انه يجب الا يتردد ، وهو يعلم أن هذه المراة التى تجلس الى

جانبه ، زوجة ستعود الى زوجها بعد قليل ، وهى تعامله كمجرد غريب تريد أن تفرجه على المدينة ، وتقضى معـــه ساعتين حتى يفرغ زوجها من عمله ، انه لو جرى وراء وهم كاذب ، فسيضيع وقته .. وستضيع منه جوليا ، وستضيع منه ايف ..

ولكن .. ماذا جرى له ؟ .. انه يشعر بارتباك فى عقله ، كلما نظر فى عينيها ، أحس وكأنه يعرفها منذ ســـــنين ، ان جمالها الذى يمتزج بالطيبة ، هذا الجمال الريفى البسيط ، يعوضه عن وحدته وغربته ، فى هذا البلد البعيد ..

خيل اليه ، انه يستطيع أن يحدث جوليا عن أى شىء ، فتسمعه وتفهمه وتصدقه ، يستطيع أن يحدثها عن أمه ، وعن مشاغله ، وعن البنات الثلاث اللاتى تركهن فى القاهرة ، وعن رغبته فى الزواج ، وعن خادمه جمعة ، وعن أصبعه الذى لايستطيع تحريكه ..

ودارت مناقشة محمومة فى رأسه ..

قال لنفسه : « ايف هى التى أحبت شابا من بلدى ، ولاشك انه روى لها كل شىء ، وهى التى تستطيع أن تفهمنى » ..

وقاطع نفسه : « ولكن ايف نظرت الى شعرى الأسود واصرت على ان لونه أزرق .. لقد نظرت الى كما لو كنت مخلوقا سحريا قادما من بلاد العجائب ، ان فى رأسها ذكرى مغامرة .. ذكرى عواطف ملتهبة ، وليالى ساخنة ، انهـــا لاتريد ان ترى ولا أن تسمع .. انها تريد أن تنفجر .. تريـــد ان تنطلق فى جو من الخيال .. مع شاب أزرق الشعر » ..

وعندما فكر فى الذهـــاب الى ايف ، لم يخطر بباله انه سيحدثها عن حقيقة نفسه ، كان يفكر فى المغامرة المثيرة ، وهو يمثل دور ساحر .. دور شاب شرقى لذيذ، كان سيخترع لها قصصا عجيبة ، وكان سيهمس فى أذنها بكلمات حـــارة

وهو يمرغ شفتيه فوق أذنها وشفتيها .. كان من المستحيل ان يحدث ايف عن أمه وعن خادمه جممة

وضبط يوسف نفسه ، وقد عاد من جديد الى المفاضلة بين جوليا وايف ، فشعر بغصة فى حلقه ، واتهم نفسه بالهذيان ، وبأنه فى حالة غير طبيعية ، لأنه قضى ساعات طويلة وحده طوال النهار ..

وقرر أن يعامل جوليا بأدب شديد وان يكف عن أسلوب الغزل فى كلامه معها ، لقد غازلها بمجرد أن قابلها ، لأنه كان سعيدا بها ، فرحا لأنه وجد من يكلمه بعد ساعات من الوحشة والصمت ، ولكنه لا يستطيع أكثر من هذا ..

كانت السيارة قد اخترقت شارعا واسعا يمر فيه الترام ، ونفذت فى طريق مرتفع وسط حدائق واسعة ، ووصلت أخيرا الى ساحة وسط الحدائق ، تقع فوق هضبة تطل على مدينة استوكهولم ..

ووقفت السيارة ، وتقدم منها حارس يرتدى قميصا أزرق وبنطلونا أسود ، وفى يده تذاكر .. وأخرجت « جوليا » من حقيبتها قطعا من النقود المعدنية ، وأعطتها للحارس ، واخذت منه تذكرتين ..

وكان يوسف قد أسرع باخراج كل النقود التى فى جيب بنطلونه الى جوليا ، فضحكت قائلة :

— انت تدفع لسائق التاكسى ..

وهبطا من التاكسى ، وتقدما مسرعين نحو نهاية الهضبة ، يجذبهما منظر المدينة المترامية تحت اقدامهما ، شعر يوسف وكأنه سلطان المدينة .. الى جانبه فتاة جميلة ، وهو اجنبى يستطيع أن يفعل ما يشاء ، يستطيع أن يضحك ويرقص ، وان يهلل بأعلى صوته ، دون أن يجد من يعرفه ، ويهمس قائلا انظروا ماذا يفعل يوسف منصور ..

وكانت استوكهولم تمتد فى خط أفقى عريض ويمتد وسطها نهر واسع ، وكل شيء يغلفه اللون الرمادي ، تتناثر فيه المبانى المتراصة وبقع داكنة بنية اللون .

واستمع يوسف الى جوليا ، وهى تشرح له تفاصيل المدينة وأحياءها المختلفة ، وهو ينظر لها ، ولا يتبع بعينيه اشـــارة أصبعها ، وكأن استوكهولم هى وجه جوليا ..

وكان يقول لنفسه : «هل أورط نفسى مع امرأة متزوجة» .
ثم يقول لنفسه وهو يتنهد . « وهل ترضى هى أن تتورط معى » ..

وظنت جوليا وهو يتنهد ، أنه يستنشق الهواء ..

وســــألته :

ــ ألا تشعر بالبرد ؟

ــ لا ..

قالها بسرعة وحدة ، كأنه غاضب منها ..

وقالت له :

ــ ان بلادكم حارة .. اليس كذلك .. وهذا الجو غريب عليك ..

ــ بالعكس ، انه يشبه يوما جميلا من أيام الشـــــتاء فى القـــاهرة ..

ونظرت اليه فى غير تصديق ، وقالت باسمة :

ــ انك لم تر الشتاء فى بلدنا ، كل شيء أمامك يكســـــوه الثلج ، وهذا اليوم من أندر أيام الصيف ، تصور أن الســـماء لم تمطـــــر حتى الآن ..

وسألته فجـــاة :

ــ أين معطفك ؟

ــ فى الفندق ..

وضحكت وهى تنظر اليه فى حنان وقالت :

لا تترك معطفك أبدا ، ان معطفى فى حقيبتى ، وانظــر حولك تجد الجميع معهم معاطفهم .. انك لاتريد ان تعود الى الفندق وقد بلل المطر ملابسك ..

ولمحت جوليا الحيرة فى عينى يوسف ..

فصاحت فى مرح ، وكأنها تحدث طفلها الصغير ..

— لا تنزعج ان السماء لن تمطر من أجلك ..

وجذبته من يده ، وسارت به فى منحدر بين الأشجــار ، وترامت الى أذن يوسف أنغام موسيقى راقصة ..

وأمسكت جوليا بذراعه ، والتصقت به قائلة فى لهفة :

— لم أرقص فى هذا المكان منذ سنوات .. قبل زواجى من يلمار كنت أحضر الى هنا كل أحد ، أظــل أرقص حتى منتصف الليل .. ولكنى أصبحت زوجــة عاقلة .. لا يصح ان ترقص مثل البنات الصغيرات ..

كانت تتكلم بسرعة ، وهى تكاد تجرى ، وتشد يوســـف من ذراعه ، حتى وصلا الى نهاية المنحدر . فبرز لهما فجأة ، كشك متسع يرقص داخله مئات من البنات والشــبان ، وفى نهاية الكشك منصة للأوركسترا .. من خلفها غرفة زجاجية مضيئة بالكهرباء ، وفى داخلها مكاتب وآلات ورجال يروحون ويجيئون .

وكان أمام الكشك زحام شديد من البنـــات والشبان ، يراقبـــون الرقص ، وقد وقف بعضهم فى طابور أمام ســـلم صغير من درجتين يصعد الى كشك الرقص ..

وأحس يوسف فى الحال بشعبية المكان ، فالجميع يبدو عليهم أنهم من العمال والعاملات ، ملابسهم متواضعة ، ولكنها نظفت وكويت خصيصا من أجل سهرة الأحد ، وكان كثير من الشــبان يقفون وحدهم ، وكثير من البنــات يقفن أيضا وحدهن ، يرقبن الرقص فى صمت او يمشين على مهل امــام

الكشك ، والبعض يجلس فى مدرج مكشوف قريب ويدخن سيجارة ، ويحدق أمامه فى سكون • وليس بين الجميع كهل واحد ، كأنه محرم على العجائز أن يدخلوا هذا المكان • وتذكر يوسف صورة زوج جوليا ٠٠ الرجل الأشيب الوقور الذى يقود الأوركسترا ، وأدرك فى الحال لماذا يرفض أن ياتى الى هنا ٠٠ انه لن يجد واحدا فى سنه • أما جوليا ، فكثيرات فى مثل سنها ، يرقصن داخل الكشك ٠٠ أو يقفن خارجه يرقبن الرقص •

وقال يوسف لجوليا :

ـ هيا بنا نرقص ٠٠

فنظرت اليه نظرة غريبة ٠٠ وكأنها تفكر فى شيء معقد ٠٠ وقالت :

ـ يجب أن أعلمك شيئا •

ـ أى شيء ؟

ـ سأعلمك كيف تتقدم وتطلبنى الى الرقص ٠٠

وصدمت كلماتها يوسف ، ظن أنه أخطأ أو أهانها فى شيء وبدا عليه الارتباك وقال فى انفعال ٠٠

ـ انى آسف ٠٠ لم أقصد أن أسيء اليك ٠٠

فتهال وجهها وهتفت ٠٠

ـ أنت لم تفهمنى ٠٠ انى أريد أن أعلمك عاداتنا ، سأرقص معك ، كما كنت أرقص هنا منذ خمس سنوات ٠٠ أنظر الى هذه البنت هناك ٠٠ التى تقف وحدها ، انها فى انتظار من يتقدم اليها ليرقص معها ٠٠ انها تذكرنى بنفسى ، كنت أجيء الى هنا وحدى ، وأقف فى نفس هذا المكان وأنتظر من يتقدم الى ٠٠ هل تعرف ماذا يفعل الشاب « أوه » لن أشرح ، سترى بنفسك عندما تنتهى هذه الرقصة ٠٠

وكفت الأوركسترا عن العزف ، وانتهت الرقصة ، وبدا

أغلب من فى داخل الكشك يخرجون منه ، واشـــــارت جوليا
وهى تهتف ..

ــ انظر .. ها هو شاب يتقدم للفتاة ..
ورأى يوسف شابا طويلا ، ينحنى أمام الفتاة برأسه ، وقد
وقف أمامها وقفة عســـــكرية ، دون أن ينبس بكلمة ، والفتاة
ترفع عينيها اليه ، ثم تخفضهما وتبتسم ، وتسير أمامه الى
الطابور الواقف فى انتظار الدخول الى الكشك ..
وقالت جوليا فى حماس :
ــ هل رأيت ماذا فعل .. ؟
قال يوسف فى حيرة :
ــ نعم ..
وقالت جوليا فى دلال :
ــ ستتقدم منى وتطلبنى للرقص تماما كما فعل هذا الشـــاب
وضحك يوسف ، وشد قوامه .. استعدادا للانحناء برأسه
.. ولكنها رفعت يدها ضاحكة وقالت :
ــ لا .. يجب أولا أن تذهب الى هناك .. الى ذلك الشـــباك
خلف الكشك ، حيث يقف الشبان وتشترى بضـــع ماركات ،
لأنهم لن يسمحوا لنا بالرقص بغير الماركات ..
وتقدم يوسف ناحية الكشك .. واذا بها تصيح فى شـــقاوة
طفلة سعيدة ..
ــ يوهسيف .. ساختفى منك ..
ورآها يوسف لدهشته ، تندفع وسط الزحام ، وتختفى ،
وفكر فى أن يجرى وراءها ، وخطر له أنه ربما لن يراها بعـــد
ذلك ، وأنها ستضحك عليه وتعود الى زوجها ، وأحس فى لحظة
واحدة ، أنه وحيد من جديد ، ثم عاد يطمئن نفســـــه بأنها
تريد أن تلعب ، وأنها فرحانة فعلا ، وسعيدة ..

واشـــترى عشر ماركات ، وقبض عليها فى يده ، وهو يقول

لنفسه .. انها طيبة ، ومسكينة ، لأن زوجها لا يســـمح لها بالحياة التى تريدها ..

واقتحم الزحام باحثا عنها ، ولم يجدها ، كيف يجدها وسط مئات البنات ، واندفع الدم الى رأسه ، وكاد يصيح وســط الحشد .. جوليا .. وأحس أن العيون كلها ترقبه ، وتسـخر منه . ومضت ســنوات طويلة .. فقد كانت كل ثانية تنقضى دون أن يراها ، بسنة من عمره .. وشـعر باليأس ، وفكر فى أن يكف عن البحث عنها فى هذا المكان ، ويعود فــورا الى المسرح ، وهو واثق أنه سيجدها هناك .. وفكر فى أن يغادر استوكهولم والسويد الى القاهرة ..

شريط طويل من الصور المختلطة بالمشــاعر ، كان يجرى مسرعا من رأسه الى قلبه الذى يخفق بشدة ، وتلاحقت أنفاسه واصطدم بأكثر من كتف ، وداس على قدم فتاة ، ولم يعد يرى شيئا أمامه ..

وفجأة رآها على بعد شبرين منه .. كانت الفتاة التى داس على قدمها ..

ـ جوليا .. أين ذهبت ؟

فلم تكلمه ، وتجاهلته .. وقد أشاحت برأسها بعيدا عنه .

ونظر اليها من جديد وفهم أنهـا تمثـل دور الفتاة الغريبة عنه .. وابتسم قلبه ، ووقف متســمرا يتأملها ، وقد عادت رئتاه تتنفسان الهواء من جديد .. وتقدم منها ، ووقف أمامها وقفة عسكرية ، وأحنى رأسه بشــدة ، حتى كادت تنخلع عن رقبته ..

ورفعت عينيها اليه ، وابتسمت ، وسارت أمامه الى كشك الرقص ..

وأحس يوسف وهو يرقص معها ، بشعور غريب لا يستطيع أن يحدده ، أراد أن يفتح فمــه ويتكلم ولكن الصــمت كان

مسيطرا عليه ، وأراد أن يسمع اللحن الذى تعزفه الأوركسترا ولكن اللحن كان يطن فى أذنه كأنه ضـــجة ، وأراد أن يرى الراقصين من حوله ، ولكن عينيه كانتا مبهورتين بالنور ..

كانت الشمس قد غربت ، وجاء الليل وأضـيئت الأنوار داخل الكشك .. متى حدث هذا ؟ انه لا يدرى ..

وكان يلف ويدور والراقصون من حوله يلفون ويدورون ، والاحساس الغريب يتزايد فى صدره ، انه احساس جديد لم يشـعر به فى حياته من قبل . وكان فى دورانه يلمح فجـأة البنات والشـبان الواقفين خارج الكشـك ، وقد غطاهم ظـلام الليل ، ثم يرى فجأة النور السـاطع ، ومن تحتـه البنات والشـبان يرقصـون .. ظلام ونور .. ثم ظلام ونور .. والموسيقى تعزف ، وكفه حول خصر جوليا ، وكفه الثانية فى كف جوليا ، ولسـانه عاجز عن الكلام ، وقدماه تتحركان وكأنهما ترقصان رغم أنفه ..

وكفت الموسيقى عن العزف ..

ووقفت قدماه ، واختفى الطنين من أذنيه،واستطاع أن يرى وجه جوليا محددا أمام عينيه ، واسترد قدرته على الكلام .. قال لها :

ــ أحسست بشىء غريب ونحن نرقص ..

فرفعت عينيها الى عينيه وقد ارتفعت الابتسامة من شفتيهـا الى عينيه .. واستأنف قائلا :

ــ أحسست كأنى داخل فترينة فى دكان لعب أطفـال ..

وضحكت جوليا وسألته :

ــ لماذا ؟

ــ لست أدرى ..

وتلفت حوله ، يتفحص المكان ثم قال مشيرا الى الواقفين خارج الكشك ..

ـ وهؤلاء ·· هناك ·· كانوا يتفرجون على الفترينة ··

وعزفت الموسيقى من جديد ··

ومد يده الى خصرها ، ودار بها ، وهى تسأله :

ـ هل تحب لعب الأطفال ··

ـ أحبها جدا ··

ـ وهل تشتريها لتلعب بها ··

ـ لا ·· أقف أمام الفترينة وأتفرج عليها ··

فقالت بحماس :

ـ هذه هى الجريمة التى نرتكبها نحن الكبار ·· لماذا نحرم أنفسنا من لعبة ، انى أفعل نفس الشيء ، اقف امام فترينة اللعب ولا أشترى لعبة ، وأقول لنفسى « جوليا كونى بنتا عاقلة ، لماذا تشترين لعبة وليس لك طفل يلعب بها ·· ولكن من قال ان اللعب للأطفال فقط » ·

وسكتت برهة ، وعلى وجهها علامات تفكير عميق ، وهو يفكر جادا فى كلامها ، وكأنها تروى له مشكلة خطيرة ، ثم سمعها تهتف :

ـ سأشترى لك غدا لعبة ··

وجذبها من خصرها نحوه ، وهمس فى أذنها :

ـ أريد عروسة ··

وصاحت فى حماس :

ـ عروسة كبيرة جدا ··

قال وهو ينظر فى عينيها :

ـ عروسة مثلك ··

فقالت وهى تبتعد عنه وقد بدا على وجهها وجوم مفاجىء ·

ـ ظننتك تحب لعب الأطفال ··

فقال فى ارتباك وكأنه يعتذر :

ـ انى احبها فعلا ··

وساد بينهما صمت ثقيل .. ضايقه انه تسرع وغازلها

وضايقه أكثر أنها رفضت غزله ، ولام نفسه لأنه لم يتمسك بالعهد الذى قطعه على نفسه بأن يعاملها بأدب ، كمجرد سيدة غريبة ، تحاول أن تقضى وقتا مسليا معه ، حتى يحين موعد انتهاء زوجها من عمله ، فتذهب اليه ، ويذهب هو الى « ايف » ..

ونظر اليها وقال فى صوت حزين ..

— لاتشترى لى لعبة ..

فقالت فى دهشة :

— لـمـــــاذا ؟

قال وكأنه طفل غاضب :

— ماذا سأصنع بها ..

ونظرت اليه بوجهها الطيب وقالت فى حنان :

— منظرك الآن يؤكد الى أنك فى حاجة الى لعبة ..

وانفجرت ابتسامة فى وجهه وقال :

— أذن لاتشترى لى عروسة .. اريد أتومبيل ..

وكفت الموسيقى عن العزف ..

وكان لابد ان يخرجا ليفسحا المكان للآخرين الواقفين فى الطابور .. وأسرعا خارج الكشك ووقفا فى نهاية الطابور وعادا الى الرقص من جديد .

واســــتمرا يرقصـــــان حتى فرغت العشر ماركـات التى اشتراها يوسف ، فقال لها :

— سأذهب وأشترى ماركات أخرى ..

ثم أمسك بذراعها قائلا :

— تعالى معى .. لن أتركك تختفين منى ..

فقالت له فى مرح :

— هيا نذهب الى مكان آخر ..

— الى أين ؟

قالت وهى تجذبه ..

ــ التيفولى .. انه عبر الشارع .. سنذهب علــى أمامنا ..

وسار يوسف مستسلما ليدها التى تجذبه ، وهو يختلس نظرة سريعة الى ساعته .

وخفق قلبه ، وهو يجد ان كل مابقى لهما من الوقت هــو ساعة واحدة .. وبعدها تتركه ، ويذهب هو الى « ايف » .. احس كأن هذه الساعة ، هى كل مابقى له فى الحياة ..

★★★

كانت كلمة « تيفولى » مضاءة بالنيون الأحمر فوق بوابة كبيرة ، وما كاد يوسف يجتاز البوابة حتى وجد نفسه داخل مدينة الملاهى ، واراد ان يسأل جوليا عن معنى كلمة «تيفولى» .. ولكنه تردد ، خشى ان يتحول الى سائح لحوح يسأل عن كل مايراه ، وتتحول جوليا الى دليل يلقى محاضرات فى شرح معالم المدينة، انه يحس بجوليا وكأنه يعرفها منذ كانا طفلين، انه يشعر معها بالألفة ، وبأنها قريبة منه ، ومنذ صحبته فى هذه الجولة وهو يتحرك وينصرف وكأنه عاش فى استوكهولم منذ سنوات كيف يسألها اذن كغريب عن البلد .. كيف يذكرها بأسئلته بأنه أجنبى قادم من بلاد بعيدة ، انه يريد أن ينسى هذه الحقيقة ، يكفيه أن يعرف استوكهولم وبلاد السويد كلها ، فى معرفته بجوليا .

وانطلقا فى الساحة الكبيرة المزدحمة بالمراجيح والسيارات الكهربائية واكشاك ألعاب النيشان والطوق وســباق الخيل وسباق القطارات .

انها كأى مدينة للملاهى رآها يوسف فى القاهرة ، نفس الألعاب ونفس الصخب والضجة ، ونفس صراخ البنات فى المراجيح العالية التى تدور بهم فى سرعة مجنونة .

آخـــر مرة رأى فيها يوسف مدينـــة الملاهى ، كانت فى القاهرة ، منذ عشر سنوات .. لا .. منذ اربعة عشر عاما ، كان يومها طالبا فى الجامعة ، وذهب مع بعض اصدقائه ليعاكسوا البنات .. فى الحقيقة عاكسوا الخادمات ، وكان معهم صديقه ابراهيم ، انه يذكره الآن بوضـــوح وهو يتبع صبية فى الخامسة عشرة من عمرها ، كان شعرها احمر وفى وجهها نمش ، وقال لها ابراهيم كلاما كثيرا،والبنت تكاد تجرى أمامه ، وقد أصـبح وجهها فى لون الدم ، وهم يضـحكون ويهرجون ثم برزت لهم الخادمة فجاة وشـتمتهم مدافعة عن صيدتها الصغيرة .. وترك ابراهيم الصـبية وبـدأ يعاكس الخـــادمة .

كانت علاقات يوســـف بالبنـــات فى ذلك الوقت علاقات محصـــورة .. كلمات سريعة مع فاطمة زميلته فى كليـــة التجارة ، يحدثها عن المذكرات والاساتذة ، ثم يعود لأصحابه ليروى لهم كل كلمة قالتها له ، وكل كلمة قالها لها ، ويبذلون محاولة مضحكة ليفسروا كلام فاطمـــة على انها وقعت فى غرامه .. واجلال الطالبة فى كليـــة الآداب التى كان يتعمد ركوب الأتوبيس كل يوم من أجل نظرة من عينيها الجميلتين .. ثم البنات اللاتى كان يقابلهن فى مدرسة « البير » للرقص ، مساء كل خميس ، أيام كان يتعلم رقصة « الكونجـــا » .. ولا شيء غير ذلك ، أحيـانا عندما تكون معه بعض النقود ، يذهب مع ثلاثة أو أربعـــة الى بيت ابراهيم فى الجيـزة ، ويحضرون امرأة من الشارع ، يدفعون لها جميعا خمســين قرشـــا .

من كان يصـــدق فى ذلك الوقت ، ان أول مدينة للملاهى سيدخلها بعد ذلك ستكون فى السويد ، وبصحبة امرأة مثل جوليـــا .

ترى أين ابراهيم الآن ٠
انه لا يعرف مصيره منذ ترك الجامعة ، ولم يعد يسمع عنه ، أو يذكره ٠٠ حتى تذكره الآن ٠٠ وأين ؟ في السويد ٠

وسمع يوسف صوت جوليا ٠٠ ولم يسمع كلامها ، فالتفت اليها وفي عينيه نظرة غريبة وأدركت هي على الفور انه سرحان ، فسألته :

ـ مالك ؟ ٠٠
ـ لا شيء ٠٠
ـ أنت لا تسمعني ٠٠
ـ كنت أتفرج ٠٠
ـ يبدو انها لم تعجبك ٠٠
ـ بالعكس ٠٠ أعجبتني جدا ٠٠

قالت وهي تنظر اليه في تأنيب ، كأنها لا تصدقه :

ـ ولهذا عيناك حزينتان ؟

وابتسم يوسف وعيناه مازالتا حزينتين ، وقال :

ـ صدقيني ، انا سعيد جدا في هذا المكان ٠

فقالت وهي تضغط على كلماتها في انفعال :

ـ ولكنك حزين ٠٠ حزين ٠

ولو قالت « حبيبي ٠٠ حبيبي » لما احتاجت لأن تغير صوتها أو انفعالها ٠٠ كانت ملهوفة عليه ، كأنها قررت أن تحارب الحزن الذي يخيم عليه ٠٠

وقال لها يوسف :

ـ تذكرت مدينة الملاهي في القاهرة ٠٠ هذا هو كل ما حدث

واستأنف يقول حتى يطرد كل شك في نفسها :

ـ وتذكرت زملائي في الجامعة ، وحياتي منذ عشر سنوات ٠٠ وظلت صامتة وهي تحدق في عينيه ، ثم قالت

في هدوء مثير : هذا غريب ٠٠ أنا أيضا كنت أذكـــر زملائى في الجامعة ٠٠ وضحكت في وجهه وقالت :

– ولكن هذه الذكريات تفرحنى ٠

– قلت لك أنى سعيد ٠

وسألته فجـــأة :

– هل أنت شاعر ؟

وضحك يوسف ٠٠ لم يكن يتوقع سؤالها ، وأجـــاب كأنه يعتـــذر :

– أنا رجل أعمـــال ٠

قالت وكأنها لا تقبل اعتذاره ٠

– كان يجب أن تكون شاعرا ٠

ثم أردفت في مرح ٠

– ولكن مادمت رجل أعمال ، فاسمع ما كنت أريد أن أقوله لك والتمعت عيناها ببريق ساخر ٠٠ قائلة ٠

– أنا جوعانة ٠٠

وتلفت يوسف حوله في ارتباك ، كأنه مسئول عن العثور في الحال على مكان فيه طعام ٠

وهتفت جوليا :

– ألست جوعانا مثلى ٠

وأحس بالجوع فجاة ، كأنهـــا أمرته بأن يجـــوع فأصـــابه الجوع في الحال تنفيذا لأمرها ٠ وقال :

– جوعان جـــدا ٠

وشدته من يده ، وذهبت به الى دكان خشبى يقف فيه رجل يقلى السجق ، وظن يوسف أن الرجل سيقدم لهما سندويتشات ولكنه ناولهما السجق ملفوفا في ورق شفاف ، ومعه ورقة أخرى سكب عليها بعض المسطردة ٠

واحتار يوسف كيف يأكل السجق بهذه الطريقة ، ولاحظت

جوليا حيرته فطلبت منه أن يفعل مثلها وغمســــــت طرف السجق في المسطردة ولعقتها بلسانها ثم قضمت قطعة صغيرة من السجق وقالت له تشجعه :

ـ كل ٠٠ انه لذيذ ٠٠

وقلدها يوسف ، ولعق المسطردة بلسانه ، وســألها وهو يشعر بحرقة فى فمه ٠٠

ـ هل أستطيع أن أجد خبزا ٠

ـ لمــــاذا ؟

ـ تعودت أن آكل كل شىء بالخبز ٠٠

فنظرت اليه فى حنان ، وقالت :

ـ تعود هذه المرة أن تأكل مثلنا ٠٠

قالتها وكأنها تحدث طفلها الصغير ، وتعلمه كيف يأكل ، ونفذت نظرتها الحنونة الى قلبه ، فضــاع فجأة احســـاسه بالجوع ولم يعد يفكر فى الخبز ٠٠

ورفعت جوليا يدها الممسكة بورقة السجق ولوحت مشيرة الى بعيد وهى تهتف :

ـ انظر الى المراجيح هناك ٠٠ هيا نركبها ٠٠

كانت تشـــير الى مرجيحة كبيرة ، فى شـــكل دائــرة حـديدية ضـــخمة ، معلقة فيها صـــناديق ملونة ، ترتفع وتنخفض مع دوران الدائرة ٠ ونظر يوسف الى أعلى صندوق ، كان يرتفع عن الأرض حوالى عشرين مترا ، ويكـــاد يختفى فى ظـــلام السماء ، وقضم قطعة كبيرة من السجق ، وقال لنفسه « لو صعدت معها الى هناك فســـوف أضـــمها الى صـــدرى ، واقبلها » ٠٠

وشعر يوسف بمغص خفيف فى بطنه ، كان خائفا من قراره وخشى أن يحاول تقبيلها فتلطمه على وجهه ، وينتهى كل شىء ولكن ماذا يصنع ؟ وشىء فى نفسه يرغمه على أن يحاول ٠٠

وسار الى جانب جوليا نحو المرجيحة ، وهو لا يستطيع أن ينظر اليها ..

واعترضت طريقهما آلة غريبة لم يرها يوسف من قبل فتلكأ أمامها ، كان يبحث عن بعض الوقت ، لعله يقنع نفسه بأن يعدل عن قراره .. خيل اليه أن المرجيحة ستكون نهاية الخط .. نهاية الطريق الذى سيسير فيه مع جوليا ، وبعد ذلك سيفقدها الى الأبد ..

وكان يقف أمام الآلة ، رجل فى الأربعين من عمره ، يرتدى « جاكت » من الجلد ، ويبدو عليه أنه عامل فى أحد المصانع ، وكان الرجل يضع فى أحد الثقوب قطعا من النقود المعدنية الصغيرة ، قطعة وراء قطعة ، وهو يحرك فى كل مرة ذراعا معدنيا ، كان منهمكا فى عمله ، كأنه مازال فى المصنع ، ووجهه جامد ليس فيه أثر للانفعال ، ويده تعلو وتهبط بالذراع المعدنى فى سرعة منتظمة ، غير ملتفت الى يوسف وجوليا وهما يرقبانه ..

وهمس يوسف :

— ماذا يفعل هذا الرجل ؟

فأجابت :

— انه ينتظر أن يحرك الذراع أحد المرات ، فينفتح درج فيه كل النقود التى وضعها ، وكل النقود التى وضعها آخرون غيره ..

وصاح يوسف :

— انها ثروة ..

فهزت جوليا كتفها قائلة :

— سيلعب بها من جديد ..

ورمقته بعينيها تدعوه الى أن يسير نحو المرجيحة ، فوقعت عيناه على شفتيها ، وشعر برجفة مثلجة فى بطنه ، وبخفقان

ساخن فى قلبه ، ومشى الى جانبها ، وهى تحدثه عن العامل الذى تركاه ٠٠ قالت :

ـ لا أشك أنه زوج ، وله بيت وأطفال ، ولكنه تركهم يوم الأحد ، وجاء ليقضى عطلته أمام هذه الآلة ، انه أحد مدمنى هذه اللعبة ٠٠ انى أعجب كيف يدمن أحد على شيء ٠٠

وسألته فى صوت رقيق ، فيه رنة جزع ٠٠ جزع عليه ٠٠

ـ هل ادمنت على شيء فى حياتك ٠٠

وأجاب بسرعة :

ـ لا ٠٠

وبدا على وجهها الارتياح وقالت :

ـ لا يجب أن نكون عبيدا لشيء ٠٠

وكانا قد اقتربا من المرجيحة وقلب يوسف يدق ، وهو يقول لنفسه انه قد كذب عليها ٠٠ لقد ادمن على علاقته بالبنات الثلاث فى القاهرة ، نادية التى ينام معها وسماد التى يخرج معها وهدى التي يكلمها فى التليفون ، وهو ينتهز فرصة غيابه عنهن ، ليتخلص من ادمانه ، وشعر فى هذه اللحظة انه تخلص فعلا من علاقته بهن ، ولو ظهرن أمامه بغتة الآن لما اهتم بأية واحدة منهن ٠٠

وقرر يوسف الا يصعد الى المرجيحة ، لا يمكنه أن يجازف بالصعود معها ، لينفرد بها فى ظلام السماء ، انه لا يستطيع أن يسيء اليها ، وتلفت حوله باحثا عن مخرج ، وهو يسمع صوتا فى داخله يسخر منه ويتهمه بأنه جبان ، وأنه يصلح فعلا لأن يكون شاعرا تافها ٠٠ لا رجل أعمال ٠٠

ووقعت عيناه على بناء خشبي صغير ، رسمت على جدرانه صورتان كبيرتان لفتاة شقراء ، وأخرى زنجية ، وهما عاريتان تماما من ملابسهما وكان فوق باب البناء بوق يطلق كلاما

باللغة الســويدية ، وامام البنــاء يقف بعض البحــارة ا ملابسهم الزرقاء .

وتقدم يوسف خطوة من البناء مبتعدا عن المرجيحة ، وهو يسأل جوليا فى لهفة مصطنعة ..

– ما هذا البناء .. ماذا يقول الرجل فى الميكروفون ؟

واجابته جوليا وهى تبتسم ابتسامة غريبة ..

– الم تر هذا من قبل ؟

– ما هو ؟

قالت وقد اتسعت ابتسامتها ..

– فتاة شقراء وفتاة زنجية تتجردان من ملابسهما ..

واحمر وجه يوسف ، وحول عينيه بعيدا عن البنــاء ، فاطلقت جوليا ضحكة عالية وقالت تداعبه بصوت فيه دهشة :

– انت مرتبك ..

فقال بسرعة وهو لا يجرؤ على النظر فى وجهها ..

– أبدا ..

لا تنكر .. ان وجهك يفضحك ..

قال وقد ازداد ارتباكه ..

– ماذا ترين فى وجهى ؟

قالت على الفور ..

– وجهك يقول انك شرقى يغضب ويقتل المرأة التى تبــدو عارية أمام الغرباء ..

وفوجىء يوسف بكلامها ، وبالصورة التى ترســمها فى خيالها للرجل الشرقى .. انه يشك فى أنه ارتبك لمجــرد أنه علم أن فى داخل المبنى شــقراء وزنجية تعرضان جســدهما العــارى .. واذا كان ارتبك فربما لأنه كان قــد أعــتزم تقبيلها . كان يريد أن يحتويها بين ذراعيه ، كان قد اتخــذ قراره ، ولما أراد أن يعدل عنه ، وجــد نفسه يتورط معهــا

فى الحديث عن ذلك المبنى الذى اكتشف ان فى داخله اجسادا عارية ، فارتبك وقد أحس أن ما يحدث داخل هذا المبنى شيء مخجل ، تماما كالرغبة المخجلة التى تضطرم فى داخل نفسه

وهمس يوسف بصوت مبحوح ..

ـ ان هذه الأشياء غير مألوفة عندنا ..

فقالت له ببساطة :

ـ تعال ندخل ونتفرج ..

ورأته ينظر اليها مترددا ، فقالت بصوت شعر يوسف بأن فيه فضولا وسخرية ..

ـ انت مكسوف ؟

فقال فى حدة كأنه يدافع عن نفسه ..

ـ أبدا ..

وأطلق ضحكة عصبية ، واندفع نحو شباك التذاكر واشترى تذكرتين ، ودخلا المبنى ..

جلسا فى صالة ضيقة ، ولكنها مكتظة بحـــوالى ثلاثين شخصا أغلبهم من البحارة ، وأمامهم مسرح صغير ، وكانت أنوار الصالة مطفأة .. وقد انبعثت أنوار حمراء خافتة تلقى أضواء متوهجة على ستارة المسرح الخضراء ، وسمعا صوت دق طبول المفروض أنها تصور جو أفريقيا ، ورقصات الزنوج فى غاباتها .. ثم انفرجت الستارة عن منظر غابات من الورق ، صنعت فى غير عناية ..

ودخلت المسرح فرقة من النبات الزنجيات ، يرقصن على دق الطبول ولا يغطين سوى مساحة صغيرة بين أسفل الخصر وأعلى الفخذ . وسكتت الطبول فجأة ، وكفت الزنجيات عن الرقص ، وانطلقت صرخة بعيدة ، وتلفتت الزنجيات فى هلع ثم فررن مذعورات ، وظل المسرح خاليا لبرهة قصيرة ، ثم جاء رجل أبيض يمسك البندقية ، ويرتدى الشورت ، وعلى رأسه قبعة بيضاء كبيرة ، وتلفت الرجل حوله كأنه صياد يبحث عن

فريسة ، ثم أسرع بالاختفاء وراء شجرة ودخلت المسرح زنجية تسير فى حذر ، وتحولت خطواتها الحذرة الى رقصة بطيئة ، ثم سريعة ، وانتهت الرقصة بخلع الفتاة القطعة القماش التى تغطى تلك المساحة الصغيرة بين خصرها وفخذها .. ووقفت جامدة مكانها كتمثال من الطين الاحمر المحروق ..

كان المفروض أن يصفق المتفرجون ، ولكنهم لم يفعلوا ، وسادهم صمت ثقيل ، كأنهم مختبئون فى مقاعدهم لايريدون الكشف عن وجودهم ، كان كل متفرج ينظر أمامه ، ولا يتلفت يمينا أو شمالا ، ولا يصدر عنه سوى صوت أنفاسه المتلاحقة .. كان الجميع فى حالة شهيق وزفير ..

ولاحظ يوسف بطرف عينه أن جوليا تنظر اليه ، فالتفت اليها ، فرآها تحرك أنفها كأنها تغمز بهـا بـدلا من أن تغمز بعينيها ، وقالت له فى صوت خفيض :

– أظن أنها أعجبتك ..

ونظر اليها محاولا أن يبدو هادئا متمالكا لنفسه وقال فى برود مصطنع :

– لم أجد شيئا مثيرا ..

فهمست :

– ربما تفضل الشقراوات ..

فقال وهو يتظاهر بالضيق ..

– أتذكرين المسرح الآخر .. لم انظر الى الراقصات هناك

فقالت وفى عينيها شقاوة طيبة :

– لأنك فضلت أن تنظر الى ..

قال وهو يبتسم ابتسامة حزينة ..

– مازلت أفضل ان انظر اليك ..

وقربت وجهها من وجهه ، كأنها ستهمس فى أذنه بسر ، وقالت :

ـ أنت مدهش .. دخلت مسرحين لتنظر الى .. لو فكرت طويلا فيما فعلت لأصابني الغرور ..

وضحكت عيناه وقال :

ـ لو كنت مكانك لأصابنى الغرور ..

ورأى السعادة فى وجهها كان وجهها نضيرا كأن ضوء القمر قد تسلل الى داخل الصالة ليشرق على وجهها وحده وسمعها تقول :

ـ لا تقل هذا .. لن أصاب أبدا بالغرور ..

وكان المنظر على المسرح قد تغير ، وظهر الصياد الأبيض، وقد قبض على الزنجية العارية ، ووضعها داخل قفص حديدى ووقف يتفرج عليها وهى ثائرة تحاول كسر القضبان والفرار من القفص وبينما الصياد مشغول بفريسته ، دخلت المسرح شقراء ترتدى البنطلون « الكاكى » الطويل ، وبلوزة حريرية بيضاء ، وتضع على رأسها قبعة بيضاء ينسدل من تحتها شعرها الأشقر .

وذعرت الشقراء لمنظر الصياد ، ويبدو أنها كانت زوجته ، وغارت من الزنجية العارية ، فهجمت على الصياد محاولة ابعاده عن القفص الحديدى ..

ونظرت الى جسد الزنجية فى حسد ، ثم بدأت ترقص رقصة عنيفة ، وطوحت بقبعتها ، ثم خلعت البلوزة والبنطلون وانتهت الرقصة وقد تجردت من ملابسها قطعة قطعة ، ووقفت أخيرا كتمثال من الشمع الأبيض وهى عارية تماما ..

ولم يصفق أحد من المتفرجين ..

والتفت عينا يوسف بعينى جوليا .. ورآها ترفع أنفها وتمط شفتيها ، ثم همست :

ـ لك حق .. انه منظر غير مثير ..

وسألها فى دهشة :

– ألم تريه من قبل ؟
– لا .. هذه أول مرة ..

وابتسما .. وكانا يودان لو استطاعا الضحك بصوت مرتفع ..

وقال يوسف :
– هيا بنا نخرج من هنا ..
ولكنها تمسكت بالبقاء قائلة :
– لقد دفعنا التذاكر .. فلنشهد البرنامج حتى آخره .
وتتابعت المناظر ، كلها رقصات الزنجيات أو شقراوات ، وتنتهى دائما بأن تتجرد الراقصة أو الراقصات من الملابس ..

واستسلم يوسف للمناظر التى يشاهدها ، ولكنه اكتشف أن خاطرا غريبا بدأ يتسلل الى رأسه ويلح عليه . كان الخاطر يقول له «أنت غبى يايوسف ، لماذا تعقد الأمور ، ما الذى جعلك تتردد فى محاولة تقبيل جوليا ، هل تظن أنها شريفة الى هذا الحد ، ما الذى سيجرى فى الدنيا لو أنك قبلتها ، وحتى لو غضبت منك وتركتك ، ماذا يهمك ، أنت ستتركها على أية حال ولو تماديت فى أدبك معها ، فربما خاب أملها فيك ، لا تصدق أنها بريئة الى درجة أنها خرجت معك لمجرد أن تقضى الوقت فى انتظار زوجها ، هذا الزوج العجوز الأشيب الذى لا يقوى على ارضاء فتاة فى مثل سن جوليا ، أنت عبيط .. عبيط .. ستضيع فرصة مغامرة لن تنساها ، وستتحدث عنها عندما تعود الى القاهرة .. هل تتصور أن جوليا لم تخرج مع شاب قبلك .. أنت فى السويد حيث كل شىء مباح .. يكفى أن تستلطفك أية امرأة حتى تسلم لك نفسها .. لا يهم اذا كانت متزوجة أو غير متزوجة ، فكر بعقلك ، لو حدث أنك رويت ما وقع حتى الآن بينك وبين جوليا لأحد أصحابك ، ثم سألك « وبعدين » فقلت له « ولا حاجة » ألن يسخر منك ، ويشتمك

ويتهمك بالخيبة . أنك تتصرف معها كما لو كنت تحبها ، وهل هذا هو وقت الحب يا مغفل ..

وتململ يوسف فى مقعده ، ونظرت اليه جوليا فى تساؤل فابتسم فى وجهها ، ولم يقل شيئا ..

كان قد اتخذ قراره ..

سيخرج من هنا الى المرجيحة ، وسيحتضنها ويقبلها عندما يرتفع بهما صندوق المرجيحة فى ظلام السماء ..

وازدحمت رأس يوسف بصور مختلفة ، لجوليا وهو يقبلها فى شفتيها ، وهى تقبله ، وهو يأخذها معه الى الفندق ، ويصعد بها الى غرفته هناك ، وهى راقدة الى جواره فى السرير ، وهى عارية من ملابسها ..

ولم يعرف يوسف كيف انتهى البرنامج ، احس بالضوء فى الصالة يبهر عينيه ، وبطرقعة المقاعد الخشبية ، والبحارة ينهضون من فوقها ، ووجد نفسه يقف ويتبع جوليا الى الخارج حيث لفحه نسيم منعش بارد ، ورأى أمامه المرجيحة الكبيرة تدعوه الى الصعود ..

وصعدا الى احد صناديق المرجيحة ، كان لونه أصفر ، وفيه مقعد خشبى يتسع لجلوس اثنين جنبا الى جنب . وقالت جوليا وهى ترفع رأسها الى السماء ثم تنظر تحتها الى الناس الواقفين على الأرض ..

ــ عندما نرتفع الى فوق ثم نبدأ فى الهبوط ، أنصحك بأن تمد قدميك وتثبتهما امامك على جدار الصندوق ، حتى لا تشعر بالدوار ..

ومدت جوليا قدميها قائلة :

ــ هكذا ..

وفعل يوسف مثلها ، وهو يفكر كيف سيقبلها .. هناك جسر هائل بين القرار الذى يتخذه الانسان ، وتنفيذ هذا

القرار هل يقبلها فجأة ، هل يهجم عليها بغتة ، ان هذا أسلوب وحشي ، لن ترضاه حتى ولو كنت راغبة في قبلاتنا كيف يبدأ القبلة ، هل يمد ذراعيه حول كتفيها ، ومتى .. الآن ؟ أو ينتظر حتى يتحرك الصندوق ويرتفع ، وماذا يقول لها . أم لا داعي لأن يقول شيئا ، يكفيه ان ينظر في عينيها ، ويقترب بوجهه من وجهها برفق ، ويقبلها ، وماذا يفعل لو كانت مشغولة عنه بتثبيت قدميها ، وماذا يفعل لو قالت له انها تشعر بدوار .

ووجد نفسه يسألها فجأة :

— ما معنى كلمة تيفولي ؟

وقالت له :

— مدينة الملاهي ..

لماذا سألها هذا السؤال ؟

لقد رفض ان يوجه اليها نفس هذا السؤال وهما يدخلان المدينة ، كان لا يريد أن يسألها كسائح ، وتجيبه كدليل يرشد السائح الى معالم المدينة ، كان لا يريد ان يشعرها بأنه غريب عنها وعن بلدها ..

لماذا .. لماذا انطلق السؤال من فمه قبل أن ينتبه الى انه نطق به ؟

وتحرك الصندوق في بطء مرتفعا في الفضاء وبدأ الناس من تحتهم ينكمشون الى اقزام صغار ، وقبل أن يرتفع الصندوق الى أقصى مداه ، كانت جونيا قد التصقت به ، ودفنت رأسها في صدره وكانت ذراعه تطوق خصرها .. حدث كل هذا فجأة بلا تفكير وكأنه شيء طبيعي ..

وأحس بجسمها الطري يذوب في صدره ، ويسري في جسده شيء لذيذ .. منعش .. ويعطل تفكيره ، وكأنه مخدر ..

وارتفع بهما الصندوق الى السماء ، وهبط بهما ، دون ان

يدرى . ودون أن يفعل شيئا . وهما متلاصـــــقان ، هادئان يستريحان الى جسديهما وكأنهما عصفوران يتعانقان فوق غصن شجرة يهب عليها نسيم بارد ..

وارتفع الصندوق من جديد .. وهبط .. وارتفع وهبط .. وهما صامتان لايتحركان ، وذراعه الذى يضمها يشد عليها بقوة أكبر وأكبر .. وهى تندس فى صدره أكثر وأكثر ..

وارتفع الصندوق ، ووقفت المرجيحة ..

ورفعت جوليا عينيها ، وراسها مازال فى صـــــدره وقالت لعينيه :

ـ أوه .. انى أريد أن أنام ..

وهمس ..

ـ لماذا توقفت المرجيحة ..

وابتسمت فى وداعة قائلة :

ـ ليعطوا العشاق فرصة ..

وخفضت عينيها ، وكأن الأمر لايعنيها . وكل ماتريده هو أن تغفو وتنام . وظل يحدق فى شعرها وعنقها برهة . ثم مال وقبلها خلف أذنها ..

ولم تتحرك جوليا ، ولكنه أحس أنها منتبهة متيقظة .. أحس ذلك من ارتفاع رموش عينيها ، وكأنها تحدق أمامها فى شىء تريد أن تراه ..

وقبلها من جديد ، خلف أذنها وفوق شعرها .. ووضـــع شفتيه على عنقها ، وأحس بجسدها يرتجف تحت ذراعه .. وقبلها على خدها ، ومد يده يرفع راسها ، ورأى عينيها ، كانتا ساهمتين واقترب بشفتيه من شفتيها . وقبل أن يصل اليهما ، حولت راسها عنه ، فالتصقت شفتاه بخدها ..

وحاول من جديد أن يقبلها فى شفتيها ، ورفع راسها ومال عليها فتراجعت براسها قليلا ، وانحرفت به ، ولكن شفتيه

وصلتا الى طرف شفتيها .. وقبلها فى شـــفتيها . فرجعت براسها الى الوراء ، ونظرت اليه وعيناها مازالتا ساهمتين ودفنت رأسها فى صدره ، وقبلها خلف أذنها وفى شـــعرها وعنقها ، ثم رفع رأسها وقبلها فى شفتيها ، وقبلها وقبلته ..

وتحرك الصندوق وهما مازالا يتبادلان القبـــلات ، حتى أحس يوسف بالنور المنبعث من الأرض ، يصل اليهما وقـــد هبط الصندوق ، وتوقف عن قبلاته . وابتعدت هى برأسها عنـــه ، ثم ارتفع الصندوق فالتصقت شفتاهما واختلطت أنفاسهما .. وتهدج صدرها فى صدره ولفهما الظلام .. ثم عاد الصندوق الى النور ، فابتعدت عنه ، وقالت له بصوت خافت سريع :

— كفى ..

ونظرت فى ساعتها ثم صاحت فى انفعال طبيعى :

— أوه .. لقد انتهى يلمار من عمله منذ نصف ساعة ..

وصك اسم « يلمار » أذن يوسف ، ولكنه لم يفهم مـــاذا تعنيه ، كان قد نسى كل شىء .. نسى زوجها واسمه .. ولو سأله أحد عن اسمه هو لما عرف الجواب ..

وارتفع الصندوق ، ولكن جوليا كانت قد تخلصت مـــن ذراعه وابتعدت عنه ، وهى تقول بصوت طبيعى ، كأن لـــم يحدث بينهما شىء ..

— يجب أن أذهب الآن .. يلمار ينتظرنى .. لقد تأخرت عليـــه .

وقال يوسف فى غير وعى ، وهو يمد يده ليطوقها ..

— وماذا يهم ..

— انه ينتظرنى ..

ـ وتتركينني ؟ ··

وحاول تقبيلها ، فتراجعت مبتعدة عنه ، ثم عادت واقتربت منه وعيناها باسمتان سعيدتان فقبلها وقبلته ·

وهبط الصندوق ، وتوقف عن الحركة ، وكان لابد أن يتركاه ، فقد انتهت الدورة ··

وأسرعت جوليا فى اتجاه البوابة الكبيرة ، وهى تسأله :

ـ أين أنت ذاهب الآن ؟

ـ لا أدرى ··

ـ أين تسكن ؟

ـ فندق أركاديا ··

ـ سأوصلك ··

ـ لا أظن أنى سأذهب اليه ··

ـ يجب أن تستريح وتنام ··

ـ لا أستطيع النوم ··

ـ ماذا تريد أن تصنع ··

ـ لا شيء ·· أريد أن أكون معك ·

ـ زوجى فى انتظارى ·· لا أستطيع ··

وتلفت يوسف حوله يائسا ، كان لا يرى شيئا من حوله ·· وقال فى ألم :

ـ سأذهب الى الامبسادور ··

ـ ماذا تفعل هناك ··

ـ سأقضى بقية الليل ··

ـ هل تعرف أحدا هناك ··

ـ قائد الأوركسترا تريد أن أحمل لها رسالة الى صديق فى القاهــــرة ··

ـ أوه ··

وكانا قد وصلا الى البوابة ، وخرجا منها ، ورأيا أمامهما موقف التاكسيات .. فاتجها اليه ، ووقفا أمام التاكسى وفوجىء يوسف بنظرات جوليا اليه ، كانت تنظر اليه فى حنان كبير ، والتأثر باد فى عينيها ، وفهم من نظراتها ومن حركة خفيفة فى شفتيها أنها توشك أن تقبله ، ومدت يدها الى ذراعه واقتربت حتى كادت تلتصق به ، وقالت وكأنها اتخذت قرارا حاسما ..

— لن أتركك الآن .. يلمار لن ينتظرنى كل هذا الوقت .. انه فى البيت الآن . سأذهب معك الى الامبسادور .. وركبا التاكسى ، وأمرت جوليا السائق بأن يذهب بهما الى الامبسادور ، ويوسف لايصدق ما حدث ، كان فرحانا لأنها رفضت أن تتركه ، ولكنه شعر فى نفس الوقت بأنه قد وقع فى ورطة ..

كان قلقا من لقاء جوليا بايف ، وكان قلقا من تصرف جوليا الجرىء ، التى تركت زوجها ورضيت بالسهر معه .. ودفعه القلق الى أفكار غريبة ، فتساءل بينه وبين نفسه ، هل جوليا زوجة المايسترو حقا ، ما أدراه أنها لا تخدعه ، ما دليله على أن اسمها الحقيقى « جوليا جونارد » .. أليس من المحتمل أن تكون امرأة مغامرة ، اصطادته بطريقة ذكية ، ومن يدرى ماذا ستصنع به .

كان فرحا وقلقا ، ومترددا ومندفعا .. وقال لنفسه يطرد خواطره السوداء .. هل هذا معقول .. مستحيل .. هذه أفكار سخيفة .. ان قلبى لا يصدقها ..

والتفت الى جوليا وسألها :

— هل ترغبين فى الذهاب الى مكان آخر ..

فقالت :

ـ وأين نذهب ؟ ..

ـ أنت تختارين المكان ..

ـ لنذهب الى الامبسادور ، لقد سـمعت عنـه ، ولكنى لم أدخله أبدا ..

لم يعرف يوسـف ماذا يقول .. ونظر الى وجهها فنسى قلقه ، وكبرت الفرحة فى قلبه ، ومد يده وقبض بها على يدها وضغط عليها .. وخفضت جوليا رأسها ، ورفعت اليه عينيها الباسمتين .. وقالت له بصوت خجول :

ـ أنت فرحان بهذه اللعبة ..

ـ أية لعبـة ؟

ـ ما نفعله الآن ..

قال وهو يضفى على صوته نبرة جادة ..

ـ أنا لا ألعب ..

فقالت ورأسها مازال منخفضا ، كأن الخجل يثقله ..

ـ وماذا تسمى هذا ؟ ..

ـ جوليا .. لست أدرى ماذا حدث لى .. انى أشعر بحب جارف نحوك ..

وأطلقت ضحكة عصبية خافتة .. وقالت بصوت سـاخر حـزين ..

ـ هكذا .. بسرعة ..

قال فى صوت متهدج ..

ـ قلت لك .. لست أدرى ماذا حدث لى ..

فقالت فى مرارة .. وبصوت كالهمس ..

ـ وأنا أيضا لا أدرى ماذا حدث لى ..

وألقت بنظرة سريعة من نافذة السيارة ، ثم عادت ونظرت اليه ، وقد رفعت راسها ، وجذبت يدها من قبضـة يده .. وقالت :

– اننا نلعب .. لا شىء أكثر من هذا .. اننا نلعب لعبة ليست لنا .. اننا كبار ..

فقال لها فى انفعال :

– ألا تثقين بى ..

وخفضت رأسها وقالت :

– هذه ليست المشـــكلة .. انى خائفة من نفسى .. كأنى شخص آخر .. لست أنا جوليا التى كنت أعرفها هذا الصباح .. انى أنظر حولى فكان كل شىء جديد ، كأنى لم أر استوكهولم من قبل .. انى أفكر فى ايقـــاف التاكسى ، والقفز منه .. ولكنى لا أفعل .. لماذا .. لماذا .. ؟

وسكتت .. وأطرقت برأسها .. فلما وجدته صـــامتا . التفتت اليه ، ورأته مهموما وفى عينيه حزن ، وفى أنفاســـه انقباض .. فسألته :

– ماذا تريد منى ؟

ورفع عينيه الى عينيها .. وقال بصوته الحزين ..

– جوليا .. اذا أردت أن تتركينى فاتركينى .. أنا لا أعرف كيف أقول للسائق أن يقف .. قولى له أنت .. لا أســـتطيع أن أكون سببا فى أى قلق لك ..

ومدت يدها الى يده ، وضغطت عليها ، وقالت :

– يوهسيف .. لن أتركك .. سأذهب معك الى الامبسادور .. لا يمكننى أن أتركك فى هذه الحال ..

★★★

كان جمهور ليلة الأحد فى الامبسادور ، أقل بكثـــير من الجمهور الذى رآه يوسف بالأمس .. ليلة السبت .. وكانت ايف واقفة مكانها تقود الاوركسترا التى تعزف رقصة النار ، والفرقة من الراقصات الأسبانيات تحتل بيست الرقص .. واســـتطاع رئيس الخدم أن يجلس جوليا ويوسف الى مائدة

قريبة من الراقصات الأسبانيات ، وقدم لهما قائمة الطلبات ووقف ينتظر أوامرهما ..

وألقت جوليا نظرة سريعة على القائمة ، ثم حولت عينيها الى الأوركسترا حيث تقف ايف ولاحظ يوسف اتجاه نظراتها فتجاهلها ، وشغل نفسه بقراءة القائمة .. وهو يحس بأنه ارتكب ذنبا لا يغتفر باحضار جوليا الى هذا المكان ليواجهها بايف التى كان يعتزم قضاء الليلة معها ، شعر بأنه يخدع جوليا ويهينها ، وكان يتساءل بينه وبين نفسه .. هل ستدرك جوليا الحقيقة ، ان للمرأة حاسة غريبة نحو هذه الأشياء .. ومهما كانت تبدو ، الا أن قلبها سيحدثها بكل شىء ..

والتفت يوسف الى الخادم وسأله وهو يتصنع المرح :

ـ ماذا تقترح علينا ؟

فانحنى الخادم قائلا :

ـ هل تتناولان العشاء يا سيدى .. أم أقدم لكما الشراب

وفرح يوسف باقتراح الشراب ، انه فى حاجة اليه ليواجه جوليا وايف . وهتف :

ـ آه .. الشراب .. هذا اقتراح مدهش ..

وسرد الخادم أسماء المشروبات .. ويسكى .. كونياك .. بيرة ..

وقاطعه يوسف :

ـ هل عندكم شراب خاص بالسويد ..

فقال الخادم على الفور :

ـ اكوافيت يا سيدى ..

وسمعت جوليا كلمة « اكوافيت » فحولت عينيها عن ايف وتدخلت فى الحديث قائلة ليوسف :

ـ هذا شراب قوى ..

فسألها يوسف وهو مازال يتصنع المرح :
– أليس هو مشروبكم الوطنى ؟
وضحكت جوليا قائلة :
– نعم ..
فقال فى حماس :
– اذن فلنشربه ..
والتفتت جوليا الى الخادم وخاطبته بالسويدية ، والرجل يحنى رأســـه مع كل كلمة تقولها ، ثم ضـــحك مبتهجا .. وانصـــرف ..
وقالت جوليا وهى تنظر الى يوسف فى حنان :
– يجب أن تكون على حذر فهذه أول مرة تشرب فيهـــا الاكوافيت ..
وشعر يوسف برغبة فى أن يعاندها ، كان حنانها يضايقه ويشعره بذنبه .. وقال فى غير اكتراث كالطفل الذى يتحدى نصيحة أمه :

– وماذا سيحدث لى ؟
قالت له فى صوت رقيق :
– أخشى أن تسكر ..
– من كأس واحدة ؟
– من نصف كأس .. اذا لم تكن معتادا عليه ..
وقال فى تحد :
– أنت تبالغين ..
فنظرت اليه فى عتاب وقالت :
– ســـترى ..
وسادت بينهمـــا فترة صمت ، وانشـــغلا بمراقبـــة الراقصات الاسبانيات ، وفكر يوسف فى أن يقوم ويجذبها من يدها ويخرج بها من هذا المكان ، ولكنه سمعها تسأله فجأة :

ـ ما اسمها ؟

كان يعرف أنها تسأله من ايف ، ولكنه يسألها وكأنه لم يفهم :

ـ مـن ؟

قالت وهى تنظر ناحية ايف :

ـ صديقتك قائدة الأوركسترا ..

وخفق قلب يوسف .. لماذا تصفها بأنها صديقته ؟ .. هل تظن أن بينه وبينها صلة ، أم هى أصبحت تغار عليـه ، وابتسم يوسف لفكرة غيرتها عليه ، وقال والابتسامة تتسع على شفتيه :

ـ ايف ..

وأردف قائلا وكل وجهه يضحك :

ـ انها ليست صديقتى .. انها تحب شابا فى القاهرة ،

كان يعلم أن ابتسامته ، ووجهه الضاحك يغيظانها ، ان تجاربه السابقة علمته ، أنه عندما يقبل امرأة لأول مرة لابد أن تسأله بعد ذلك عما اذا كان يفعل نفس الشىء مع كل واحدة يقابلها . وتشك فى وجود علاقة بينه وبين أية امرأة يعرفهـا ..

المرأة هى هى لا تتغير فى القاهرة أو فى استوكهولم ، انه لن ينسى نادية بعد أن قبلها أول مرة .. جلست ساهمة تحدق فى فضاء الغرفة ، ثم اتهمته بأنه سافل ومنحط وأنه يخدع جميع البنات ، وبكت ، وجعلته يحس بأنه ارتكب ذنبا فظيعا ، وأنها ستتركه ولن تراه أبدا ، وبعد أن كفت عن البكاء ، جففت دموعها ، وسمحت له بأن يقبلها من جديد ..

ولكن مادراه أن جوليا ستكرر نفس القصة ، الا يحتمل أن تغضب وتتركه فعلا أليس من الأفضل ألا يغيظها :

وسمعها تسأله :

— وهذا الشاب الذى تحبه .. سويدى ؟
— لا .. مصرى ..

ونظرت فى عينيه وقالت فى تهكم مرير :
— اذن كلكم دون جوانات ..
لقد غاظها فعلا .. انها تهاجمه الآن ، وشعر بالخـــوف من هجومها .. فتراجع وقال فى عتاب :
— أنت قاسية :
فقالت فى اصرار :
— هذه هى الحقيقة ..

قال وهو يضع على وجهه قناعا من الحزن والتأثر ..
— أية حقيقة ؟
قالت فى انفعال :
— أنت أول رجل أقابله من بلدكم .. ولم تمض ساعتان على لقائنا حتى أعترفت لى بحبك .. وهاهو ثانى رجل أسمع عنه من بلدكم ..

وقطعت كلامها لتتنهد ثم رفعت صوتها قائلة فى تأكيد :
— وهو أيضا يحب فتاة سويدية ..
قال لها وهو محتفظ بصوته الحزين وفى لهجة تأنيب :
— أنا لست دون جوان ..
قالت فى عصبية :
— هه .. كيف أصدقك .. ؟

ووجدا الخادم يقف بينهما ، فكفا عن الحديث ، ووضع الخادم أمامهما كأسين صغيرين ، والى جانبهما كوبان كبيران مليئان بالبيرة ، ثم صب فى الكأسين الصغيرين ، سائلا شفافا كالماء ، وهو يقول :

— ها هى الأكوافيت يا سيدى ..

وسأله يوسف فى دهشة :

ــ ولكننا لم نطلب البيرة ..

فسارعت جوليا تشرح له ، وقد عادت الى وجهها كل طيبتها وعاد الى عينيها كل ما فيهما من حنان ، وكأنها نسيت المناقشة التى تورطا فيها .. قالت له ..

ـ أنا التى طلبتها ، ستأخذ رشفة من الأكوافيت ورشفة من البيرة حتى تخففها .. وستأكل أيضا ..

وكان خادم ثان قد جاء الى مائدتهما ، ومعه أطباق فيها خبز مقدد ، وزبدة وبعض اللحوم الباردة والأسماك المجففة ..

وضحك يوسف وهو يرى الأطباق تملأ المائدة وسألها فى دهشة ..

ـ كل هذه لأقاوم تأثير ما فى هذه الكأس الصغيرة ..

فقالت له وهى تضحك فى عينيه ..

ــ لن أتركك تمرض ..

وضحك فى عينيها ، وارسل لها قبلة فى الهواء ، وسكتت الموسيقى فى نفس اللحظة ، ودوى المكان بالتصفيق .. كانت الفرقة الأسبانية قد فرغت من رقصاتها .. وانحنت الراقصات بالتحية ، ثم أحنت ايف رأسها للجمهور ..

وقالت جوليا ..

ــ الن تخبرها بوجودك ..

ــ ماراًيك ؟

ــ لقد حضرنا الى هنا من أجلها ..

والتفت يوسف نحو ايف مترددا ثم قال :

ــ سأرسل لها بطاقتى ..

واستدعى يوسف رئيس الخدم ، وناوله بطاقته وقد كتب عليها يقول « اذا كان عندك بعض الوقت فيشرفنا أن تأتى الى مائدتنا » كان يريد أن نعلم ايف أنه لا ينتظرها وحده ، فلم يكتب البطاقة بصيغة الفرد . وطلب من رئيس الخدم أن يحمل بطاقته الى ايف . وما كاد الرجل ينصرف ، حتى مد يده فى عصبية الى كأس الأكوافيت ورفعه فى يده ، وقال لجوليا :

— لقد أخافنى تحذيرك .. ولكننى سأشربه .. الوداع .

ورفع الكأس الى فمه ورشف منه ، فأحس بحرقة فى لسانه وحلقه .. وضحكت جوليا لمنظره ، وقالت له :

— ألم أقل لك أنه شراب عنيف .. خذ رشفة من البيرة الآن .

وكانت تعد له قطعة من الخبز المقدد وتدهنها بالزبد ثم وضعت عليها قطعة من سمك « الهرنج » وقدمتها له قائلة :

— والآن .. كل هذا ..

ثم نبهته قائلة :

— بطاقتك وصلت الى ايف — انها تنظر اليك ..

كان يوسف قد نسى ايف فى اللحظة التى لسع فيها الشراب حلقه ، فأدار رأسه فى ارتباك ، وفى يده قطعة الخبز ، ونظر الى ايف فى بلاهة ، فوجدها تضحك له وتشير له بيدها أنها قادمة اليه ..

وتتبع ايف بعينيه ، وهى تهبط من مكان الأوركسترا ، وتخترق بيست الرقص حتى وصلت الى مائدتهما ..

ووقف يوسف مرحبا بايف ، التى أقبلت عليه فى شوق كبير ، قائلة فى فرح :

— هاهو صديقى ذو الشعر الأزرق يعود الى ..

وزاد ارتباك يوسف ، وقدمها الى جوليا قائلا بصـــــوت مضطرب .

ــ ايف .. أقدم لك مدام جونارد ..

وتصافحت المرأتان ٠٠ وجلست ايف ، وهى تقول ليوسف:

ــ أين بوسفلت ٠٠ هــــل تركك وحـــدك يوم الأحـــد ٠٠

ثم أدركت ايف ، أنها تتجاهل جوليا بهذا السؤال ، وأن يوسف ليس وحده ، فأسرعت تقول فى اعتذار وهى تنظـــر الى جوليا وتبتسم لها ..

ــ أوه .. انى آسفة .. أنت لست وحدك .. ان معك امرأة جميلة ٠٠

والتفتت الى يوسف وهى لاتكف عن الكلام قائلة :

ــ هذا احسن من أن تكون مع بوسفلت .. هيه ..

وعادت تنظر الى جوليا قائلة :

ــ أوه .. انى احسدك على هذا الشاب ، انظرى الى شعره الأزرق ٠٠ وقطعت ايف كلامها فجأة وقالت لجوليـــا ضاحكة .

ــ ولكنك ســــويدية ٠٠

وانطلقت فى الكلام بالسويدية مع جوليا ٠٠

وكانت جوليا واجمة أول الأمـــر تســـمع كـــلام ايف فى تحفظ ولكنها الآن ابتسمت ، وضحكت لكلام ايف ، وبادلتهـــا الحديث ويوسف يرقبهما ولايفهم ماذا تقولان ، وكانتـــا بين لحظة وأخرى تنظران اليه وتغرقان فى الضحك . حتى بـــدا عليه الغيظ فقاطعهما محتجا .

ــ ماذا تقولان عنى ؟

فصاحت ايف وهى تغمز بعينها لجوليا ..

ــ لن أقول لك ٠٠

فهددها يوسف قائلا :

– سأتكلم أنا أيضا باللغة العربية ..

فضحكت ايف وقالت :

– أعرف ماذا ستقول ..

وفاجأت يوسف بقولها بالعربية :

– أنا بأهبك .. أنا بأموت فيكي – ياهبيبتى .. ياروحى .

وصاح يوسف فى ذهول بالعربية ..

– مين اللى علمك الكلام ده ؟ ..

قالت وهى غارقة فى الضحك ..

– ماذا تقول ؟ ..

قال لها بالعربية ..

– انت موش فاهمانى ..

فقالت فى حيرة :

– أنا لا أعرف غير ما قلته لك ..

فقال لهـــا :

– كنت أسالك من الذى علمك هذه الكلمات ..

قالت :

– حمدى .. طبعا ..

وعادت ايف تخاطب جوليا بالسويدية ، وأدرك يوسف أنها تحدثها عن حمدى ..

ونادى يوسف الخادم ، وطلب من ايف أن تشاركهمـــا الشراب ولكنها اعتذرت بأنها لن تستطيع الجلوس معهما حتى بعد انتهائها من عملها ، لأنها ستذهب الى حفل خاص تقيمه صديقة لها ..

نهضت ايف ، وصافحت جوليا بحرارة ، وصـــافحت يوسف وهى تقول له :

– أرجو أن أراك مرة أخرى ..

وأحس يوسف أنها لا تخاطبه بنفس الحرارة التى ودعته بها فى الليلة السابقة ..

وبدت جوليا هادئة مطمئنة بعد أن تركتهما ايف ، كأنهما تفاهمت مع ايف على شيء ما ، أو اقتنعت بفكرة ما .. كانت عيناها هادئتين صافيتين ليس فيهما انفعال ولا حنان ولا أى شيء سوى الهدوء ..

ونظر يوسف اليها فى تردد ثم سألها :

ـ ماذا قالت لك ؟

فأجابته فى هدوء مثير :

ـ لماذا تريد أن تعرف ؟ .

فقال فى غيظ :

ـ لا تقولى شيئا .. لا أريد أن أعرف ..

وتجاهلت غيظه وسألته :

ـ من هو بوسفلت ؟

فأجاب بسرعة وحدة :

ـ لن أقول لك ..

ومد يده الى الكأس ، ورشف منه ، فشعر بالحرقة فى فمه وحلقه وبسخونة تسرى فى جوفه وتنتشر بسرعة فى جسده . وأسرع يشرب منكوب البيرة ، بينما شرعت جوليا تعد لـه قطعة أخرى من المقدد .

وقال لها وهو يتناول من يدها قطعة الخبز .

ـ بوسفلت .. مدير شركة للورق ، جئت لأتعاقد معا على صفقة ..

وابتسمت فى هدوء وقالت :

أوه ..

وتوقع أن تقول شيئا ، ولكنها عادت وغرقت فى صمتها وهدوئها .

ووجد نفسه يتكلم .. لم يكن مرتاحا لصمتها ، كان صمتها يبعدها عنه ، فأراد أن يقطع هذا الصمت بأية ثرثرة ..

وتكلم كأنه يتوسل اليها أن تعود اليه ، ولا تبتعد عنه ..

وصف لها بوسفلت بقامته المهيبة ، وحركاته العسكرية ،
ونكاته الصريحة التى فاجأه بها ، وروى لها كيف قدم لـــه
« الشيرى » فى مكتبه ، وضك قدميه ، ورفع الكأس الى فمه
وهو يغمض عينيه ويقول بلهجة عسكرية « سكول » ..

وضحك يوسف ، ولكنها لم تظهر اهتماما كبيرا بحكايته ،
كان الأمر لا يعنيها ، أو كأنها مشغولة بشىء آخر .. أحس
أنها لا تنصت اليه، وانما تراقبه وهو يتكلم ، وتتفرج عليه ..

كان هناك شىء مريب فى « جوليا » ان قلبه يحدثه بأن هناك
شيئا ما سيحدث ..

وقطع ثرثرته وسألها :

ماذا بك ؟

– لا شىء ..

– أنت صامتة ..

– لأنى أستمع لك ..

– هل هناك شىء يضايقك ..

– أبدا ..

– قولى الحقيقة ..

– انى أقول الحقيقة ..

وتلفت حوله فى حيرة ، كأنه يبحث عن منفذ من هـــذه
المخاوف الغامضة فى قلبه ثم قال :

– منذ تركتنا ايف .. وأنا أحس ..

وسكت برهة كأنه عاجز عن الكلام .. ثم أكمل كلامه فى
انفعال :

– انك تغيرت ..

قالت كالشاردة ..

– لم أتغير ..

وتوسل اليهـا :

ـ فيم تفكرين الآن ؟
ـ فى أن نقوم ..

كان هدوؤها قد تحول الى هروب ، واجاباتها السريعة القاطعة كسكين حاد يفصل ويقطع كل شيء .. حتى الكلام .

أحس أنها تضيع منه ، بل ضاعت منه .. هربت منه خلسة .. ونظر الى كأسها وقال كأنه يطلب أمنيته الأخيرة قبل أن يفترقا :

ـ لم تشربى كأسك .

ونظرت اليه فى جمود ، ومدت يدها الى الكأس ورفعتها الى فمها ، وشربت الأكوافيت دفعة واحدة ، دون أن يظهر عليها أنها تأثرت بالجرعة وقوية التى شربتها ، ومدت يدها الى كوب البيرة واحتست نصفه دفعة واحدة ..

وقالت له ، وهى تعد لنفسها قطعة من الخبز ..

ـ اكمل كأسك ..

شعر بأنها تتعجله ، كأنها تريد أن تتخلص منه فى أسرع وقت ، وقال لها مماطلا وهو لا يفهم سر تصرفاتها :

ـ سأطلب لك كأسا آخر ..

قالت :

ـ لا .. لا أريد أن أسكر ..

وأفرغ بقية كأسه فى جوفه .. فقالت له :

ـ هيا بنا ..

ونادى رئيس الخدم، ودفع له حسابه وخرجا من الامبسادور وهى تسرع فى خطاها ، ومضت الى تاكسى وركبته ، وركب معها ، وسمعها تقول للسائق اسم فندق أركاديا . فسكت مستسلما وقد جلس مبتعدا عنها ..

وقطع التاكسى الطريق وهما صامتان ، كانت مئات الأسئلة تدور فى رأسه ، وتقفز الى شفتيه ثم تموت عليهما كان يائسا لا يجد فائدة من وراء الكلام ، وهى تعامله بهذا النفور المفاجىء

.. ماذا قالت لها ايف ؟ .. هل حذرتها منه ؟ .. هل نصحتها بأن تبتعد عن أمثاله الشرقيين .. هل تفكر فى زوجها ، هل شعرت بتأنيب ضميرها لأنها سمحت له بأن يقبلها ولأنها قبلته .. هل تعتقد حقا أنه دون جوان ..

وقرر أخيرا أن كل هذه الأسئلة سخيفة ولا معنى لها ، وانها قد اتخذت قرارها ولا تريد أن تناقشه فيه ..

ولكن هناك سؤالا لابد أن يسأله :

متى سيراها ؟

هل ستقول له لن أراك بعد هـذه الليـلة .. أتنظر اليه كغريب ، وتقول له وداعا أيها الشرقى الغريب .. لقد أمضيت معك ساعات مسلية ، وعدت الى أيام الماضى ، فرقصت وركبت المراجيح وتركتك تقبلنى ، ولكن هذا هو كل شىء ، اننـــا لا نستطيع أن نمضى أكثر من هذا ، فأنا زوجة ولى زوج ينتظرنى فى البيت وقد تأخرت عليه ، ان ما حدث بيننا كان أجـــازة سريعة لكل واحد منا ، ولا أدرى ان كان من حقنا أن نحصل على هذه الاجازة ، ولكننا فعلنا .. ووصلنا الى مفترق الطرق .. فكل واحد منا يذهب فى طريقه ، ويعود الى حياته ..

لو قالت هذا ، فبماذا يجيبها ..

انها على حق ، أيقول لها تعالى لنستأنف قبلاتنا .. لنكمل مغامرتنا .. انه يطلب منها أكثر مما وعدته به . لقد أعطته فعلا الكثير ، ولكن هذا الكثير .. قليل قليل .. لقد أعطته الحنان لحظات ، لتتركه بعد ذلك يحس بالوحدة والغربة ، أقسى مما كان يحس بهما قبل أن يلقاها ..

وخطر له أن يمد يده اليها ، يحتضنها بالقوة ، وفكر فيما يحدث لو أنه ضربها على رأسها فأغمى عليها ، وحملها معه الى غرفته فى الفندق ..

وخجل من هذه الأفكار ، انها تدل على أنه فقد سيطرته على نفسه ، وأنه يكاد يجن ..

ووقف التاكسى فجأة أمام فندق أركاديا ٠٠

قطعا المسافة كلها دون أن ينبسا بكلمة واحدة ٠٠

ووقف قلبه ، ووقفت أنفاسه ٠٠ ووقف كل شىء ٠٠ انتهى كل شىء ٠٠

وأفاق من ذهوله على صوتها وهى تقول له :

ـ ألن تعطى الأجرة ؟

فنظر اليها متعجبا ، وكأنه لايفهم ما تقول ٠٠ ثم انتبه فأسرع وأخرج النقود من جيبه وقدمها للسائق ٠٠ وكانت هى قد خرجت من السيارة ووقفت تنتظره ٠٠

ولم يفهم سبب خروجها من السيارة ، ولكن قلبه عاد يخفق بشدة وشعر بحرقة فى جفون عينيه ، فلم يعد يرى ما أمامه ، وهبط من التاكسى وكل شىء حوله غامض غير واضح ، سوى ابتسامة يراها على شفتيها ، ابتسامة خجولة ٠٠

ولم يقل شيئا ، ولم تنتظره هى حتى يقول شيئا ، تقدمه فى سكون الى داخل أركاديا ٠٠ واتجهت الى موظف الفندق ، وخاطبته بالسويدية والرجل يهز رأسه موافقا على ما تقوله ثم ناول يوسف مفتاح غرفته ٠٠

وتقدمت جوليا الى المصعد ، فدخل وراءها ، وتبعهما عامل المصعد ، وارتفعا الى الطابق الثالث ، فمشيا جنبا الى جنب فى طرقة طويلة معتمة حتى وصلا الى باب الغرفة ٠٠

وفتح يوسف الباب ، ودخلا ٠٠ وأغلق الباب عليهما ٠

ونظر اليها والدموع تكاد تطفر من عينيه ، والحزن يمرح فى قسمات وجهه ، وقلبه يبكى من الفرح ٠ كان لا يصدق ما تفعله من أجله ٠٠ أدرك فى هذه اللحظة فقط ، سر هدوئها وهى تجلس معه فى الامبسادور ٠ كانت هادئة لأنها قد اتخذت قرارها ، وانتهت من مرحلة التردد والتفكير والقلق ٠

واقتربت عيناها ، ولم يعد يرى سواها ، وجسدها بين ذراعيه ، وقبلها ، وسقطت حقيبتها من يدها ، ومشى بها الى

داخل الحجرة ، وهو يطوق خصرها .. جسد واحد له أربعة أقدام ..

وسقطا على السرير العريض ..

★★★

سمع يوسف صوت الماء يتدفق من الصنبور فى الحمام الملحق بالغرفة ، كانت جوليا فى الحمام وكان راقدا على السرير يدخن سيجارة .. كان يشعر براحة كبيرة ، وبخدر فى جسمه ولكن عقله كان نشيطا صاحيا بالصور التى تتتابع فى رأسه .

تذكر القاهرة ، والشركة ، وزملاءه الموظفين ، ونادية . ثم المطار وهو يهبط من الطائرة عائدا من السويد ، وبعض زملائه فى الشركة ينتظرونه ، وخلفهم خادمه جمعة ، وربما كانت نادية معهم ، وتخيل جروبى ساعة العصر وهو يتناول الشاى قبل ذهابه الى مكتبه ، ويروى لأصحابه مغامراته فى السويد .

وابتسم ..

وفتح باب الحمام ، وخرجت منه جوليا ، فنظر اليها فى تراخ وكسل ، وعجب لأنه لا يشعر نحوها بأى شىء ، ولولا أنه يذكر جيدا ما كان بينهما منذ لحظات لسأل نفسه فى دهشة من تكون هذه المرأة التى خرجت من الحمام وأقبلت عليه شبه عارية ، وجلست الى جانبه فى السرير .

ونزعت جوليا عقب السيجارة من فمه ، وأطفأته ، ثم لفت ذراعها حول رأسه وقبلته فى شفتيه وهمست وأنفها فوق أنفه:

– تحبنى ؟ ..

وهمس بصوت آلى .

– لم أحب أحدا مثلك ..

وشعر أنه يبذل مجهودا فى الكلام ، وتمنى لو تسكت ، لكنها استأنفت قائلة :

ـ أنت كذاب .

انه يكذب فعلا ، ولأنه يكذب تحمس فى كلامه :

ـ حبيبتى ‥ لن أستطيع الحياة بغيرك ‥

وقبلته ونظرت اليه كأنها تنظر الى اله ‥ وهمست :

ـ وأنا أيضا لن أستطيع الحياة بغيرك ‥

وكان يجب أن يقبلها ، فقام وهو يشعر بتعب فى كتفه ‥ وقبلها . وبدأ على وجهها الفرح ‥ وأمسكت بيديه ، وقبلتهما ثم صاحت فى مرح طفلةليس عندها هموم :

ـ انظر الى أصبعك ‥

قال لها فى ارتباك :

ـ ألم ترينه قبل الآن ‥

قالت بعد أن قبلت أصبعه البنصر المعقوف كالخطاف :

ـ لا ‥ لم أره ‥

قال وقد تحول ارتباكه الى ألم ‥

ـ انى أفكر فى علاجه هنا ‥

خطرت له الفكرة فى هذه اللحظة فقط ‥ فهتفت :

ـ أوه ‥ لا ‥ لا تعالجه ‥ انه جــــزء من شخصيتك ‥ أنى أحبك هكذا ‥ أنا أيضا عندى شامة كبيرة فى ظهرى ‥ هل رأيتها ‥ هيه ‥

وكشفت له عن ظهرها ، فرأى فى منتصفه شامة كبيرة سوداء ، وقبلها ، فضحكت كأنه يزغزغها ‥ وأدارت ظهرها قائلة :

ـ ان يلمار ينصحنى بأن أزيلها ‥ ولكنى أرفض ، أنها جزء من شخصيتى ‥ هيه ‥ أليس كذلك ؟

وبدأ على وجه جوليا وجوم مفاجىء .. وأدرك يوسف أن السبب هو أنها ذكرت اسم يلمار زوجها . فسألها ليحول مجرى أفكارها :

- ألن تعترفى لى بما قالته ايف لك .

وضحكت جوليا ، واختفى الوجوم ، وقالت له :

- كانت تقول لى ، اذا كنت لا ترغبين فيه ، فاتركيه لى ..

- وماذا قلت لها ؟ ..

وضحكت جوليا فى خجل وقالت :

- لا تكن غبيا ..

وضحك يوسف فى سعادة طاغية .. وتمددت جوليا على السرير الى جانبه ، ونظرت الى سقف الغرفة وقالت :

- يوهسيف .. أتدرى ماذا سأفعل غدا .. ؟

كان على وشك أن يتثاءب ، وسؤال يدور فى رأسه ، هل سترقد الى جانبه حتى الصباح ، أم سترتدى ملابسها وتعود الى زوجها الآن . كان يريد أن ينام . قال :

- ماذا ستفعلين ؟ ..

فقالت فى صوت خفيض :

- غدا سأذهب الى يلمار وأحكى له كل شىء ..

وأراد يوسف أن يقفز جالسا ويصرخ « ماذا تقولين » ، ولكنه لم يستطع الكلام ، فاكتفى بالانصات لما تقول ، واستأنفت جوليا :

- سأقول له أنى قضيت الليل معك ، وأنى أحبك ، وسأطلب الطلاق منه .

وسكتت ، وعرف أنها تنتظر منه أن يتكلم .. ماذا يقول لها .. المجنونة .. هل تريد أن تخرب بيتها من أجله .. ولكن ماذا يستطيع أن يقول بعد الذى حدث ..

وبذل مجهودا هائلا ليتكلم ، واندفع فى صوت متهدج :

ـ نعم ياحبيبتى ·· اننا لن نفترق أبدا ·· لايمكننى أن اتركك معه بعد الآن ·· أنت كل شىء لى ··

وقدع كلامه · كان لايتصور أنه سيقول هذا الكلام بكل هذا الحماس ، ما هذه المصيبة التى يتورط فيها ·· وقال فجأة :

ـ ولكن هل فكرت فيما تقولين ·

قالت فى صوت هادىء قاطع :

★★★

ـ نعم فكرت ·· أنا لست زوجة خائنة ، لم أفعل هذا أبدا لا يمكننى أن أعيش معه بعد الآن ··

ولم يقل شيئا ، وطار النوم من عينيه ، بينما اقتربت هى منه ، ودفنت رأسها فى كتفه ·· وتثاءبت وقالت :

ـ يجب أن ننام الآن ··

قال فى استسلام :

ـ نعم يجب أن ننام ان عندى موعدا فى الصباح ·

قالت وهى تقبله فى أذنه :

ـ انى أستيقظ مبكرا ·

وساد بينهما صمت طويل ·· وانتظمت أنفاسهما ، ويوسف مازال يحدق فى فضاء الغرفة ·· وسمعها تقول بصوت يغالبه النعاس :

ـ أنا أيضا عندى عمل فى الصباح ··

ونامت ورأسها على كتفه ·· ومضت دقائق طويلة قبل أن يشعر يوسف بالنوم يغالبه ، وقال لنفسه قبل أن ينام « من يدرى ·· ان كلام الليل يذوب مع ضوء النهار » ·

ونام ··

www.library4arab.com/vb

الفصل الثانى

www.library4arab.com/vb

افترقا

الفصل الثانى

أمام فندق اركاديا ..
كان الصباح مشرقا . والشارع ينبض بالسيارات المندفعة فى طريقها .. والناس تسير مسرعة فى زحام كبير ، واندست جوليا وسط الزحام ، واختفت عن أنظار يوسف .

كان يعلم أنها مازالت مصممة على قرارها ، وأنها ذاهبة الى زوجها لتعترف له بكل شيء ، وكان يعجب لهدوئها وتماسكها والبساطة التى تتصرف بها ، وهى قادمة على تنفيذ قرارها الخطير ..

هذا الصباح ، استيقظ يوسف من نومه على صوتها ، وهى تتحدث فى التليفون بصوت خفيض كأنها تخشى ازعاجه ، وراقبها وهو لا يفهم ماذا تفعل ، كان النعاس مازال فى عينيه واكتفى بأن يتأمل جسدها وهى واقفة الى جوار النافذة .. وفى يدها سماعة التليفون ..

وشعر بحنين نحو هذا الجسد ، وتمنى لو تأتى الى السرير وترقد الى جانبه ويحتويها بين ذراعيه ، ولكنه ظل صامتا ، والكسل يدغدغ مفاصله ، وبدأ يتذكر ليلة الأمس .. وهو يتثاءب ، ثم رفع يديه فى الهواء ..
وانتبهت جوليا الى انه استيقظ . فأسرعت فى كلامها ، وانتهت مكالمتها ، وتقدمت منه ، وانحنت عليه ، وضحكت فى عينيه . وقبلته وهى تقول فى مرح :

– صباح الخير .. هل نمت جيدا ؟

وقال فى كسل :

ــ صباح الخير ..

وسألها وهو يتثاءب مرة ثانية :

ــ من الذى كنت تتحدثين معه .

فقالت فى هدوء :

ــ يلمـــــار ..

ونظر اليها فى دهشة ، كأنه لم يسمع هذا الاسم من قبل ، ثم تذكر أنه اسم زوجها ، وسألها وهو يحــــاول أن يتذكـر بوضوح كل ما حدث ليلة الأمس ..

ــ وماذا قلت له ؟

ــ لم أقل له شيئا ..

ــ ألم يسألك عن سر مبيتك فى الخارج ..

ــ طبعا .. كان قلقا جدا ، ولكنى قلت له أنى سأشرح لــه كل شيء ..

وحولت عينيها عنه ، ونظرت ناحية النافذة وقالت فى تفكير :

ــ سأحدثه فى هدوء .. سأحاول أن أكون لطيفة معه .. ولكنى مصممة على قرارى ..

وعادت تنظر اليه ، وابتسمت . لم يكن يشعر باهتمام كبير نحو ما تقوله ، كأنه غير مسئول عن قرارها ، كان كل ما يشعر به هو رغبته فى أن يحتويها بين ذراعيه .

وجلس فى السرير ، ومد ذراعيه نحوها ، فابتعدت عنه وهى مازالت تبتسم وقالت :

ــ لقد تأخرنا فى النوم .. يجب أن تسرع الى موعدك ..

ونظر اليها فى جمود ، وهرش رأسه ، ونهض من السرير

وأمسك بها فى منتصف الحجرة ، وضمها اليه ، وقبلها فى فمها قبلة طويلة .. وأراد أن يقبلها مرة ثانية فأفلتت منه ..

ونظر اليها محتجا ، كأن المفروض أن تتركه يفعل بهـــا

ما يشاء ، ورفع صوته فى انفعال :

ـ ماذا بك ؟

فصـــــاحت :

ـ ماذا بك أنت ؟

وتقدم نحوها ، فهتفت :

ـ يوهسيف كن عاقلا وادخل الحمام واغسل وجهك ..

ووقف مكانه ينظر اليها فى غباء .. فضـــحكت لمنظـــره ، وأشارت الى وجهه قائلة :

ـ انظر الى ذقنك .. يجب أن تحلقها ..

ورفع يوسف يده الى ذقنه يتحسسها ، وفكر فى أن يتقبلهـــا رغما عنها ، ثم نظر اليها فى غيظ ، ودخل مستسلما الحمام.

وبدأت رغباته تهدأ وهو يحلق ذقنه ، ونشطت أفكاره وهو يرقب الموسى يزيل الشعر الذى نبت فى وجهـــــه ، وفكر فى بوسفلت .. انه لايستطيع أن يتأخر عليه ، وفكر فى صفقـــة الورق التى يجب أن يعقدها .. وانتابه شعور بأنه مهمل فى عمله ، اذ ليس لديه متسع من الوقت ليرتب فيه أفكاره والكلام الذى سيقوله لبوسفلت ، وفكر فى صـــيغة برقية يجب أن يرسلها الى المكتب فى القاهرة ، وتذكر أنه يجب أن يذهب الى البنك بعد مقابلته لبوسفلت ، ويصرف النقود المحولة باسمه من القـــاهرة ..

ونسى جوليا تماما ، حتى فرغ من الحمام ، وعاد الى الغرفة فوجدها قد طلبت طعام الافطار ، وأعدت له قدحا من القهوة باللبن ..

وجلس يبتلع طعامه ، وقد تحول الى شخص آخر ، أصبحت جوليا بالنسبة له مشكلة ثانوية الى جانب مشاغله الكثيرة هذا الصباح ، واستمع اليها وهو يفكر فى أشياء أخرى ..

قالت له :

ـ سنتناول الغداء معــــا ..

فقال بسرعة وفمه مملوء بالبيض والسجق :

ـ طبعــــا .

ـ سألقاك الساعة الواحدة .. هيه ..

فنظر الى ساعته ، وهز رأسه موافقا وهو يمسح فمه بالفوطة وقام متجها الى الباب ..

فصاحت به :

ـ ولكنك لم تسألنى أين سألقاك .

قال فى دهشة :

ـ صحيح ..

ـ انى أعرف مطعما صغيرا فى الهواء الطلق ..

ثم صاحت وهى تنظر اليه فى فرح :

ـ أوه .. ان اليوم مشرق .. لقد جئت لنا بشمس بلادك انك ســـــاحر ..

فقال ضاحكا وهو يتجه مرة أخرى الى الباب :

ـ خذيها معك ..

فأسرعت وراءه ، ووضعت يدها على كتفه وسألته :

ـ هل معك ورقة ؟

قالتها وكأنها تسأله « هل تقبلنى » ؟

وفكر هل يقبلها ، أم الأفضل أن يتعجلها حتى لا يتأخر عن موعده .. ولم يقبلها ، وسألها :

ـ لماذا تريدين الورقة ؟

فتركته وأسرعت ناحية النافذة ، حيث المنضدة التى فوقها التليفون ، وأخذت ورقة من أوراق خطابات الفندق ، وقالت :

ـ سأكتب لك عنوان المطعم ..

وتلفتت حولها تبحث عن قلم ، ثم أسرعت الى حقيبتهـــا

وأخرجت منها قلما صغيرا أسود ، ولوحت بالقلم فى يدهـــــا ، وقالت وفى عينيها شقاوة :

ــ سأكتب لك العنوان بقلم الحواجب ..

وكتبت العنوان ثم اقتربت منه ٠٠ ووضعت الورقة فى جيبه وهى تقول :

ــ لا تضيعها ٠٠ كل ما تفعله هو أن تقدمها لسائق التاكسى فيوصلك الى هذا العنوان ٠٠ سترى حديقة وسط ميدان كبير والمطعم فى أول الحديقة ..

وغادر الحجرة ، وهبطا الى الشارع ، فالتفتت اليـــــه قائلة :

ــ الساعة الواحدة .. واشتغل جيدا ، هيه ..

وغمزت له بعينها وقالت :

ــ الى اللقاء ..

واندست فى زحام الناس ..

والقى يوسف نظرة أخيرة فى الاتجاه الذى اختفت فيه ، ثم بحث بعينيه عن تاكسى يركبه ، وهو فى دهشة من هـــــذا الاطمئنان الغريب الذى يحس به هذا الصباح ..

وقال لنفسه وهو داخل التاكسى فى طريقه الى بوسفلت .. ولماذا لا أطمئن ، فماذا يعنينى لو ذهبت الى زوجها وروت له كل شىء ، وحتى لو طلقها .. هذه ليست مشكلتى . ولو تعقدت الأمور فما أسهل أن أركب الطائرة وأعود الى بلدى ٠

واستقبله بوسفلت بترحاب كبير ٠٠ وسأله فى اهتمام :

ــ هيه ٠٠ ماذا فعلت بالأمس ٠٠

فقال يوسف وهو يتذكر الورقة التى وضعتها جوليا فى جيبه ، وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة :

ــ ذهبت الى مدينة الملاهى ..

فصاح بوسفلت فى دهشة :

ـ التيفولى ..

ثم ضاقت عيناه وأطلق ضحكة مدوية وقال :

ــ لابد ان كانت معك شقراء ؟

وابتسم يوسف فى خجل وقال :

ــ نعم ..

فاقترب بوسفلت برأسه وسأله فى اهتمام شديد :

ــ واعجبتك ؟

واحس يوسف وكأنه محاصر ، انه لم يتعود أن يــروى مغامراته للغرباء ، هو لم يتوقع أن يلح عليه بوسفلت بهــذه الأسئلة .. ثم سأل نفسه .. ولكن ما الذى يمنعنى من أن أبوح لبوسفلت بكل شيء .. لاشك أن السبب هو أن جوليا متزوجة ، انه لا يستطيع أن يروى له ببساطة انه قضى ليلة الأمس مع زوجة رجل آخــر ..

ولاحظ بوسفلت ارتباكه وخجله فرفع صوته فى مرح :

ــ أنت لا تريد أن تروى لى .. هيه .. أنا لا أشك فى انها كانت شقراء مدهشة .. ولكن اسمع يا صديقى ، يجب ان احذرك من اكبر مشكلة تواجهها السويد .. اتدرى ما هى هذه المشـــــكلة ؟ ..

وتفحص بوسفلت وجه يوسف ثم قال :

ـ انها مشكلة الأولاد غير الشرعيين ..

وشعر يوسف بضيق فى صدره ورفع الى بوسفلت عينين متسائلتين فيهما حيرة .. واستأنف بوسفلت قائلا :

ــ نحن عندنا يا صديقى ثلاثة أرباع مليون طفل غير شرعى

وردد يوسف فى دهشة متصنعة يحاول أن يخفى بها ارتباكه :

ــ ثلاثة أرباع مليون طفل .. هذا رقم كبير ..

وضحك بوسفلت قائلا :

ـــ أرجو ألا يكون الرقم قد ارتفع بالأمس ..

تم أطلق هديرا من الضحكات اهتز لها جسده البـــدين ، وفجأة كف عن الضحك ، وعبس وجهه ، واتخذ مظهر القائد العسكرى ، وبدأ يتكلم عن صفقة الورق ..

واظهر يوسف اهتماما شديدا بمناقشة كل شىء ، كأنه يحاول أن يهرب من التفكير فى جوليـــا ، وفى الأطفــال غيـر الشرعيين ، وليثبت لنفسه أنه يؤدى عمله باهتمام وبغير اهمال ومضت ساعة ، وهما يتحدثان عن الورق « الكوشـــيه » و « الساتانيه » و « الدوبلكس » وطـــرق قطع الـــورق و « البوبينات » وكان بوسفلت مستعدا بعينات لا تحصى من الورق ٥٠ جراما و ٦٠ جراما و ٧٠ جراما ..

ولم ينتهيا فى مناقشتهما الى شىء محدد ، وقال بوسفلت :

ـــ أقترح عليك أن تبدأ من الغد زياراتك لمصانعنا ، ثم تعود وقد كونت فكرة محددة عما تريد شراءه بالضبط ..

ووافق يوسف على الاقتراح ، وراجعبرنامج زياراته ، كان عليه أن يسافر الى أكثر من بلد فى الســـويد ..ويغيب عن استوكهولم ثلاثة أيام .. وفكر فى جوليا وهى تسمع نبأ سفره وتخيل علامات الحزن على وجهها ، وفكر فى كلام يواسيها به، وخطر له أن يدعوها للسفر معه ، ثم نفى هذا الخاطر بسرعة .. فسيصحبه فى رحلته أحد رجال الشركة ، وهو لا يستطيع أن يظهر أمامه بمظهر الرجل المستهتر الذى يخلط بين عملـــه ولهوه ، وتذكر حكاية الأولاد غير الشرعيين فشعر بأنه قد يتورط مع جوليا من حيث لايدرى ، وفرح لأنه سيغيب عنها ولن يعود يراها بعد ذلك ، ان علاقاته بها يجب أن تكون عابرة مادامت نساء هذا البلد يلدن أطفالا غير شرعيين بهذه البساطة ، وهو

لن يتحمل أن تقول له يوما ما أنها حامل منه ، ولكن كيف تقول له هذا وهى زوجة آخر ، وفكر لماذا لم تنجب جوليا أطفالا من زوجها ، هل لأنه رجل عجوز . هل زوجها هو السبب ، أم هى التى لا تنجب أطفالا ..

وسمع بوسفلت يقول له :

ـ ما الذى يشغلك ؟

فقال له :

ـ أريد أن أذهب الى البنك فنقودى هناك ..

فقال بوسفلت :

ـ أوه .. هذا شىء هام ، لماذا لم تقل لى .. هيا بنـــا سأصحبك بنفسى الى البنك ..

وصحبه بوسفلت فى سيارته الى البنك ، حيث صرف نقوده وقال له مازحا وهو يرى الأوراق المالية فى يده :

ـ ها أنت رجل ثرى .. تستطيع أن تشترى ما تريد ، ولكنى أشك فى أنك ستصرف نقودك كلها على فتاتك الشــقراء .. مارأيك فى أن نتناول الغداء معا ، سأقدمك لزوجتى ، لقـــد سألتنى كثيرا عنك .. انها امرأة ثرثارة ، وهى تريد أن تراك لتحكى عنك لصديقاتها ، فهى تعتقد أنها ستجد فيك شــيئا مثيرا ..

وابتسم يوسف فى ارتباك قائلا :

ـ يسرنى أن أقابلها ، ولكنى مرتبط بموعد على الغداء ..

ـ مع من .. صديقتك الشقراء ؟

وضحك يوسف وقال :

ـ نعم ..

www.library4arab.com/vb

ـ أنت لاتضيع وقتك هنا .. ليتنى لم أتزوج .. كنت جئت معك ومعى فى كل ذراع فتاة ، واحدة شقراء وواحدة سمراء

•• أين ستقابلها ؟

ـ لا أعرف ••
ـ كيف ؟
ودس يوسف يده فى جيبه وأخرج الورقة التى كتبتها جوليا بقلم الحواجب ، وحاول قراءتها ، وكان بوسفلت قد انحنى فوق كتفه ليقرأ الورقة ، وصاح بوسفلت :
ـ انى أعرف هذاالمطعم ، انه قريب من « ن • ك » ••
فردد يوسف فى غير فهم :
ـ « ن • ك » ••
فشرح له بوسفلت قائلا :
ـ انه محل ضخم •• أضخم محلات السويد ، تجد فيه كل شيء •• الملابس والكتب والعطور واطارات السيارات • والمطعم فى الحديقة التى تواجه المحل ••
وربت بوسفلت على كتفه وقال ساخرا :
ـ انها فتاة ذكيةهذه الشقراء ، فقد اختارت المطعم المناسب •• على بعد خطوتين من المحل الذى تشترى لها منه هدية • اليس كذلك •• ألم أقل لك انك ستضيع كل نقودك عليها •
وأطلق ضحكاته الهادرة ، وظل يضحك فى صخب حتى وصلا الى سيارته ، فركبها ، وأوصله بوسفلت الى المطعم • وألقى نظرة فاحصة من مكانه داخل السيارة • كأنه يريد أن يكتشف الشقراء التى تنتظر يوسف ، ثم ودعه قائلا :
ـ ستتناول الغداء عندنا بعد عودتك ••
وغمز له بعينه ، ورفع يده مودعا وانصرف ••
ودخل يوسف الحديقة ، ومضى الى المطعم ، وبحث عن جوليا بين الموائد فلم يجدها ، ونظر الى ساعته فوجدها الواحدة الا عشر دقائق ، فجلس ينتظرها • وهو يفكر فى الصورة التى يتخيلها بوسفلت عن جوليا ، انه يظنها واحدة من نساء الشارع أصطادته كسائح لتبتز أمواله •

لقد خطر له نفس الخاطر بالأمس ·· وشك فى أن جوليا تكذب عليه ، وأنها ليست زوجة المايسترو ولكنه واثق الآن دون أن تقدم له أى دليل على صدقها ، لا يمكن أن تكون جوليا امرأة مخادعة ، وهل من المعقول أن تصطاد امرأة من إياهن أحد الأجانب ، من داخل مكان العازفين ، فى مسرح ، انهم لابد يعرفونها جميعا هناك حتى يسمحون لها بالجلوس بينهم ، انها زوجة مسكينة لمايسترو عجوز تشعر بالفراغ والملل ·· هذا هو كل شىء ، وهو يجب أن يكون لطيفا معها ، لماذا لايقوم بسرعة قبل أن تأتى ، ويعبر الشارع الى « ن · ك » ويشترى لها هدية ·· ان هذا سيساعده على ابلاغها بنبأ سفره فى الغد ، وسيقضى معها ليلة أخرى ثم يودعها الى الأبد لن يقول لها أنه عائدا الى استوكهولم ، سـيقول لها انه عائد الى القـاهرة ·

وقام يوسف وغادر الحديقة ، وذهب الى « ن · ك » وتاه داخل أروقة المحل الكبير ، يبحث عن شىء يشتريه لجوليا ، ووجد نفسه أمام قسم اللعب ، وتذكر حديثها معه عن اللعب ، وضحك وقرر أن يشترى لها عروسة ··

وحمل معه عروسة كبيرة ، والسعادة تملأ قلبه ، كـان واثقا أنه سيعود الى جوليا فيجدها تنتظره فى المطعم ومعهـا « الأتوموبيل » الذى طلبه منها ، وسيسألها لماذا لم تحضر له وعندئذ يقدم لها اللفافة التى فى يده ، وستفتحها ، فتجـد عروستها ، وستفرح بها ، وسيفكران معها فى اسم للعروسة · وسيقول لها انها ابنتهما ، وانها مسـئولة عن تربيتهـا ، وستذكره دائما بها ·· وسيذكرها دائما بالأتومـوبيل ، ثم يبلغها أنه سيفارقها فى الغد ··

وعاد الى المطعم ، وبحث عن جوليا · فلم يجدها ، ونظر فى ساعته فوجدها الواحدة والثلث ، وتأكد أنها تأخرت حتى تشترى له « الأتوموبيل » وجلس ينظر قدومها فى أية لحظة ·

ولكن الدقائق مضت وهى لاتجىء ·· والناس تدخـــل المطعم وتخرج منه ، وهو جالس مكانه يتلفت حوله فى عصبية أو يرقب طابور الواقفين أمام مكان الخدمة فى المطعم يحملون أطباق طعامهم فوق صوانى ويذهبون بها الى الموائد ويأكلون·

وبلغت الساعة الثانية ، ولم تحضر جوليا ، وشعر يوسف بقلق جارف ، لابد أن شيئا وقع لها ، كيف لم يتوقع هذا ، أمن الممكن أن تذهب زوجة الى زوجها وتعترف له بأنها خانته دون أن يحدث شىء ما ·· أليس من المحتمل أن يكون قـــد اعتدى عليها بالضرب ، ومن يدرى ربما قتلها ، أو ·· ان هناك ألف احتمال ، ألا يحتمل أنها لم تجرؤ على أن تقول لزوجها شيئا ، واخترعت له قصة عن غيابها عن البيت فى الليلـــة الماضية ، وقررت ألا تعود اليه ·· كيف لم يفكر أبدا فى هذا الاحتمال ·· مع أنه معقول ، ما الذى جعله واثقا من نفسه الى هذا الحد ·· كأنها لابد أن تأتى اليه ، لقد فكرت جـــوليا ، ووجدت أن أحسن شىء هو أن تنسى مغامرة الليلة الماضية ، فهى ليست غبية حتى تحطم حياتها وتخرب بيتها من أجـل رجل أجنبى ، لقد عاشت معه فى حلم ليلة ، والأحلام لا تدوم لقد طلع النهار وانتهى كل شىء ··

اذا كان هذا هو ما حدث ، فليكن ·· فقد وفرت عليه الكثير من قلقه ومخاوفه ، وليس أمامه الآن الا أن يتناول غذاءه ويعود الى الفندق حاملا معه هذه اللفافة التى بها العروســة ، لقد اندفع واشتراها بلا مبرر ، ســيذهب الى ايف هذا المســاء ويعطيها هذه العروسة ··

واستمر يوسف يقلب الاحتمالات فى رأســـه ، وهو مشتت الفكـــر ··

يريد أن يأكل ولكنه لا يأكل ، ويريد أن يقـــوم وينصرف ولكنه لا يقوم ولا ينصـــــــرف ، وقد غرق فى حلقة مفرغة من الخيالات والانفعالات ··

يلمح فى الشارع بعض النساء مقبلات من بعيد ، فيدق قلبه وينتشى بفرحة تســـرى فى عروقه ، ويبتسم فى انفعال ، ويظل يحدق فى القادمات حتى يتأكد أن جوليا ليست بينهن ، ولكنه يظل يحدق ويحدق ، كأن واحدة منهن ستتحول فجـــأة الى جوليا .

وتقل حـــركة المارة فى الشـــارع ، ولا يرى ســـوى ثلاثة أو أربعة رجال يمشون متفرقين ، فيشعر بانقباض ويقرر يائسا أنها لن تأتى ، وأنه لن يراها بعد الآن ، ويمـد يده الى لفافة العروسة يريد أن يقوم ، ولكن يده لا تصل الى اللفافة وتتجمد مكانها فى الهواء ، ويرتسم الحزن على قسمات وجهه ، ويشعر أن عقله معطل ، وأن فراغا غامضا فى رأســـه ، كذلك الفراغ الماثل أمامه فى الطريق .

ويلتفت فجأة خلفه الى داخل الحديقة ، ربما ستأتى من هذه الناحية ، فهو لا يعرف أين تسكن ، ومن أى اتجاه ستجىء ، ويرى امرأة قادمة من بعيد ، هناك من خلف الأشجار العالية حيث يلعب بعض الأطفال .. انها جوليا ..

ويدير رأسه حتى لا تراه ينظر اليها ، ويتمنى لو كان معه شىء يتشاغل به كصحيفة أو كتاب ، انه لا يريد أن يشعرها بقلقه ولهفته عليها ، وسيتركها حتى تقف خلفه ويســـــمع صـــوتها وهى تعتذر له عن تأخيرها .. ويدق قلبه من جـــديد فى دقات عنيفة ،ويلتفت رغما عنه الى الخلف ، وينظـــر الى القادمة ..

انها ليست جوليا ..

ويثور ، ما الذى يبقيه حتى الآن فى هـــذا المطعم ، هل من المعقول أن تأتى بعد أن تأخرت عليه ثلاث ســـاعات ؟ .. من المؤكد أنها لن تأتى الى هنا ، وحتى ولو أرادت لقاءه فستظن انه غادر الحديقة منذ وقت طويل ، وربما اتصلت به فى الفندق

وتركت له رسالة هناك ·· وربما كانت تنتظره ·· آه ·· لقد نسى أنها ستهجر بيتها الى الأبد ، فلابد أنها شغلت باعداد حقائبها ، وهى لن تأتى بالحقائب الى المطعم ، فذهبت بها الى الفندق ·

ونهض فى الحال وفى يده لفافة العروسة ، ومشى خطوتين ناحية الشارع ، ثم تلفت وراءه ، ينظر الى نهاية الحديقة ، فمن يدرى انها ستأتى فى نفس اللحظة التى يذهب فيها ··

ثم أسرع خارج الحديقة ، هاربا من الخيالات التى تدوى فى راسه ·

وذهب الى الفندق ، وهجم على الموظف يسأله ، فقال له الرجل ان أحدا لم يتصل به طوال النهار ، وأوشك أن يجرى خارج الفندق ويعود الى الحديقة ، ولكنه عاد ونظر الى المصعد مستسلما وصعد الى غرفته ··

وخلع ملابسه ، وألقى بنفسه على السرير ، وهو يشعر بانهاك شديد انه لم ياكل منذ تناول الافطار مع جوليا فى هذه الغرفة ، ونظر الى النافذة حيث كانت تقف هذا الصباح وتحدث زوجها فى التليفون وقال بصوت مرتفع محدثا نفسه « خلاص ·· راحت له ·· مافيش فايدة » ··

واغمض عينيه محاولا النوم ، ولكنه قفز من السرير بعد لحظة ، وأسرع الى جيب جاكتته ، وأخرج الورقة التى كتبت فيها عنوان المطعم ·· وقرأ الورقة فلم يفهم منها شيئا ، أيكون بوسفلت قد أخطأ العنوان ··

وهز رأسه ساخرا من الفكرة ، وعاد الى السرير وارتمى عليه ، وظل راقدا لا يدرى كم فات من الوقت وهو فى شبه اغفاءة ورأسه يضج بخليط من الأفكار والأحلام ، حتى انتبه الى صوت جرس التليفون ، ولم يصدق أذنه أول الأمر ، ثم قفز الى التليفون ورفع السماعة وهتف فى انفعال :

ــ آلو ··

كان واثقا أنه سيسمع صوت جوليا ..

ولكنه سمع صوت رجل، ولم يفهم كلامه، ومضت برهة قبل أن يسأل محدثه ..

– من أنت ؟

– أنا هيرمان أنكستر ..

– من ؟ ..

– هيرمان أنكستر .. أنا الذى سيصحبك فى رحلة الغد .

ورفع يوسف صوته مرحبا بالرجل واعتذر له بأنه لم يفهمه فى أول الامر ، وقال هيرمان ، أنه سيقابله فى بهو الفندق فى منتصف الساعة الثانية عشرة فى صباح الغد ، ليصحبه الى المحطة التى تقع أمام الفندق .. وقال له يوسف انه سيكون فى انتظاره .. ووضع السماعة ..

وأفادته هذه المكالمة المفاجئة ، جعلته ينتبه فجأة الى حقيقة وضعه فى هذه المدينة ، وأن وراءه عملا كبيرا سيقوم به فى الغد ووقف يفكر لحظة ، ثم رفع سماعة التليفون .. وطلب « سندويتشا وشايا » ودخل الحمام وفتح الدش فوق رأسه ، فأحس بالنشاط ، وخرج من الحمام والتهم السندويتش وشرب الشاى ، ثم ارتدى ملابسه ، وقد قرر أن يطوف بمحلات المدينة لعله يشترى منها شيئا ، وتردد قبل أن يغادر الحجرة ، هل يأخذ العروسة معه ويذهب الى ايف فى المساء ، وفضل أخيرا أن يترك العروسة مكانها ، واذا شعر بأنه يريد الذهاب الى ايف فسيمر على الفندق ويأخذ العروسة ، بدلا من أن يحملها معه فى جولته ..

وخرج الى الشارع ، ومشى متسكعا يقف أمام كل فترينة ، ويدرس بعناية كل المعروضات ، وأنتقل من شارع الى شارع على غير هدى ، لا يتحكم فى حركاته سوى كثرة الفترينات فى الشارع الذى يمشى فيه ..

وكان يقف أمام فترينة محل اسطوانات وآلات موسيقية ، ويستعرض صور قواد الأوركسترا على أغلفة الاسطوانات ، عندما هجمت عليه رغبة مجنونة فى رؤية جوليا ..

انه لا يدرى اذا كان يحبها أو لا يحبها ولا يدرى اذا كان يريدها أو لا يريدها وهو لا يعرف لماذا يرغب فى رؤيتها ولا ماذا سيقوله لها .. كل ما يعرفه هو أنه يجب أن يراها فى الحال ..

وقرر أن يذهب الى المسرح ، ليراها تجلس هناك وسط فرقة الأوركسترا تضع يدها على خدها ، وتنظر الى زوجها وهو يقود العازفين ..

وواجهته مشكلة .. أين المسرح الذى ذهب اليه .. ما اسمه .. ما عنوانه ، انه لا يعرف مكانه فى هذه المدينة الكبيرة ، فماذا يفعل .. وبدأ يراجع جولته صباح الأحد ، وهو يتنقل من القناة الى المطعم الى المقهى الذى له شرفة ، حيث رأى اعلان المسرح ، وقرأ فيه تلك الكلمات الغريبة « سيم سيلابم » .

وتلفت حوله كالتائه ، انه تائه فعلا ، ثم استوقف تاكسيا وقال للسائق :

ــ مسرح .. « سيم سيلابم » .

فنظر اليه السائق ، وقد رفع حاجبيه فى غير فهم ..

وأعاد كلامه

ــ مسرح .. « سيم سيلابم » .

وهز السائق كتفه قائلا بالسويدية كلاما لابد أن معناه أنه لم يفهم شيئا ..

وصاح يوسف :

ــ فندق أركاديا ..

وظهرت أخيرا علامات الفهم على السائق ، فذهب به الى الفندق ..

وسأل يوسف موظف الفندق عن مسرح « سيم سيلابم »
ولم يفهمه الرجل ، وأخيرا أحضر صحيفة ونظر فى باب سهرة
المساء ، وراجع أسماء المسارح والروايات المعروضة فيها ،
وأخيرا هتف :

ــ ها هو يا سيدى .. مسرح « بيرنز » انه يعرض فعلا
استعرضا اسمه « سيم سيلابم » ..

وجرى يوسف الى سائق التاكسى وامره بان يذهب الى
مسرح « بيرنز » فصاح السائق وقد فهم اخيرا :

ــ نعم يا سيدى مسرح « بيرنز » سيم سيلابم » .. وضحك
السائق وقال بانجليزيته الرديئة :

ــ استعراض جيد .. لقد رأيته يا سيدى ..

وقطع يوسف تذكرة فى الصف الأول ،ودخل وكان الفصل
الأول فى منتصفه ، والمايسترو مكانه يلوح بيديه ، وخيل
ليوسف أن قامة المايسترو قد طالت ، كأنه مارد وسط الظلام
وبحث يوسف بعينيه عن جوليا فلم يجدها ، ونظر من جديد
الى المايسترو المارد ..

ها هو ذا زوجها ..

وأحس وكأن حركات المايسترو بيديه ، ضربات توجه اليه
.. لكمات على صدره ووجهه ، كان يتنفس بصعوبة ، ووجهه
ساخن كأنه أصيب بحمى ، وشعر أنه ضعيف ، وأن شيئا
فى نفسه يتفتت وينهار ..

كان يتقزز من نفسه ..

ومع ذلك فهو مازال يريد أن يراها ..

وانتظر نهاية الفصل ، على أمل أن تدخل جوليا فى أية
لحظة ، ولما أضيئت الأنوار ، التفت المايسترو الى الجمهور ،
وانحنى لتصفيقه فى وقار شديد ، ودقق يوسف النظر
فى وجهه ، كانت ملامحه خشنة ، وله جبهة عالية ، وفك قوى

وعيناه واسعتان فيهما نظرة ثابتة ·· كنظرات رجال الدين ··
وخفض يوسف عينيه ، خشى ان تلتقى عيونهما ، ولما انصرف المايسترو اسرع وخرج الى البهو ، ووقف ينتظر قدوم جوليا اليه كما قابلها اول مرة ··

ولكنها لم تات ··
وظل واقفا حائرا ، حتى دق الجرس معلنا بدأ الفصل الثانى ، ودخل الناس المسرح ، وارتفعت من الداخل أصوات الموسيقى ··
تحولت الموسيقى الى كلمات تصرخ فى أذنه وتتحداه ·· ابعد من هنا أيها الأجنبى الغريب ، ماذا تريد من زوجتى ·· ماذا تريد منى ·· ابعد ·· ابعد ·· ابعد ··
وقال لنفسه ، يرد على الصوت الذى يسمعه ، « لا » ان هذه الموسيقى لا تعنى شيئا ، أقسم أنها لم تخبره بشىء ، والا لعجز عن قيادة الأوركسترا بهذا الثبات ·· لقد كذبت عليه ·· وصدقها ·· وهذا هو ما حدث ·· ولكننى يجب أن أراها ·· لا أستطيع أن أتركها تختفى بهذه الطريقة انى أعرف ما ستقوله لى ، ومع ذلك يجب أن أسمعه منها ··
وكانت عاملة تسير فى البهو ، وهى تلتقط بعض ما سقط من الناس من أوراق وأعواد كبريت ·· فتقدم يوسف منها ، وسألها أن ترشده الى ادارة المسرح ، فخاطبته بالسويدية فى غير فهم ، وتركها يوسف ، ومضى الى الناحية التى جاءت منها جوليا ليلة أمس ، وسار فى دهليز معتم حتى وصل الى باب صغير ، فتحه فوجد وراءه رجلا ينظر اليه فى دهشة ··

وساله يوسف :
ــ اين الادارة من فضلك ؟
وقال الرجل بانجليزية سقيمة :
ــ ماذا تريد ياسيدى ؟ ··

قال يوسف :

- أريد من فضلك عنوان بيت المايسترو ..

وسأله الرجل فى أدب شديد :

- هل أنت صديق له يا سيدى ..

قال يوسف :

- أنا أحد المعجبين به .. وأريد أن أرســـــل له باقة من الورد فى بيته ..

وابتسم الرجل وقال مترددا :

- سيدى من رجال الموسيقى ..

قال يوسف ضاحكا ..

- سائح فقط ..

وقال الرجل وهو يشاركه الضحك ..

- ان المايسترو جونارد سيسر كثيرا بهذه التحية .. انه يسكن فى شارع « برنادوت » رقم ٣٧ .

وشكر له يوسف ، وحياه وانطلق خارج المسرح فى طريقه الى شارع برنادوت .

★★★

الفصل الثالث

www.library4arab.com/vb

فتحت جـولـيا باب الشـقة فوجـدت يوسف واقفـا أمامها ، فنظرت اليه بوجه حزين ، ولـم تظهر دهشتها لحضوره ، وألقت بنظرة سريعة خارج الشقة ، كأنها تتوقع أن ترى معه أحدا ، ثم قالت في صوت هادىء :

الفصل الثالث

– تفضل ..

ودخل يوسـف وراءها الى بهو كبير فيه مكتبة ومقاعد متناثرة وبيانو عليه أوراق موسـيقية ، وكانت الستائر الزرقاء مسدلة على أبواب تفضى الى داخل الشقة .

وأحس يوسف أنه فى جو قاتم هادىء حزين ، وشعر بأن جوليا وحدها فى الشقة .

وأشارت جوليا الى مقعد فجلس عليه ، وجلست هى على مقعد آخر بعيدا عنه ، وغرقت فى صمت عميق ..

خيل الى يوسـف أنها فى حالة ذهول ، وتأملها فى ارتباك .. كانت ترتدى « بلوزة » صفراء ، وبنطلونا أسـود ، وفى قدميها صندل ذهبى ..

ورفعت جوليا عينيها فالتقت بعينى يوسـف ، ولكنها حولتهما بسرعة ، وأطرقت برأسها .

واحتار يوسف ماذا يقول لها ، وأحس بسخافة حضوره ، وخيل اليه أنه ضـايقها باقتحامه لبيتها ، ولكنه لم يحتمل هذا الشعور ، وانتابته رغبة ملحة فى تبرير وجوده ، كان صمتها كاتهام موجه اليه ، وشعر بأنه يجب أن يتحدى هذا الاتهام ويدافع عن نفسه ..

ووقعت عيناه على البيانو ، فرأى فى خياله المايسترو وهو يجلس اليه ، وتلفت حوله فرآه يجلس على كل مقعد ، ورآه يدخل من الأبواب التى تغطيها الستائر الزرقاء ويخرج منها ، وزاد ارتباكه ، وزادت رغبته فى التحدى ..

ورفع صوته قائلا فى انفعال :

– انتظرتك طويلا فى المطعم ..

ولم تجب جوليا ، وظلت مطرقة برأسها كأنها لا تسمعه .

وسألها فى الحاح وقد بدأ الغضب يظهر فى صوته :

– لماذا لم تحضرى ؟

ولكنها لم تجبه ، واستمرت فى اطراقها ، فاحتار ماذا يفعل وندم للهجته الغاضبة التى ألقى بها سؤاله ، وظن أنها تطرده بهذا الصمت الحاسم ، ففكر أن يقوم ويترك البيت .. ولكنه كان خائفا من القيام ، فماذا سيكون حاله بعد أن يتركها ويخرج الى الشارع .. سيفقد أعصابه .. لن يحتمل نفسه .. سيجن ..

وسادت بينهما فترة صمت ، ثم همس يوسف متوسلا :

– جوليا .. يجب أن تتكلمى ..

ونظر اليها يائسا ، يتمنى أن تبدو منها أية حركة ، أية اشارة ، كان يتمنى أن تقول له أى كلام حتى ولو صرخت فيه تطرده من البيت ..

وهمس من جديد :

– جوليا .. لا تعاملينى هكذا .. أرجوك .. لا تكونى قاسية على ..

وقطع توسلاته .. رآها ترفع يديها الى وجهها وتغطيه بهما ثم تنخرط فى بكاء مكتوم ، وصدرها يهتز وقد انثنت فوقه برأسها .

وغامت عيناه ، وكادت الدموع تطفر منهما ، وقد تأثر لمنظرها ، وفكر فى أن يقوم اليها ويربت على كتفها ، ويحتضنها

ولكنه خشى منها ، فتركها تبكى وهو خائف أن يصدر عنه شيء فتنفجر صارخة فيه ٠

وغلبه شعور جارف بذنبه ، وتمنى لو أنه لم يقابلها ، ولم يكن بينه وبينها أى شيء ٠ وقال لنفسه « بمجرد أن تكف عن البكاء ، سأعتذر لها وأخرج من هذا البيت » ٠

ومضت دقائق وهو يتعذب فى مقعده ، ونشيجها لا ينقطع ثم رفعت رأسها قليلا ، وقالت بصوت متهدج دون أن تنظر اليه ٠٠

ـ أرجو أن تنسى ما حدث ٠٠

ولم يقل شيئا ٠٠ كان يشعر بحرج شـــديد ، ولا يدرى كيف يتصرف ، ولا ماذا يقول ٠٠

واستأنفت جوليا تقول ، وهى تهدأ شيئا فشيئا :

ـ لقد أخطأت ، ولم أعد أحتمل نفسى ٠٠ كنت أفكر قبل أن تحضر فى الانتحار ٠٠ انه يائســة تماما ٠٠ يائســة ٠٠ يائسة ٠٠

ومسحت عينيها بأطراف أصابعها ، ولكن وجهها كان مبللا بدموع غزيرة ، فأخرج يوســف منديله وقدمه لها وهو يقف بعيدا منها ، وقال فى ارتباك :

ـ خذى هذا المنديل ٠٠

فأخذته منه ، وكفكفت دموعها وأعادت له المنديل فقال لها فى تأثر :

ـ أفكارك هذه تؤلمنى ٠٠

وعادت الى اطراقها الصامت فاستأنف يقول :

ـ لو فكرت فى الانتحار فسأنتحر معك ٠٠

وشعر فى الحال أنه يقول كلاما ساذجا ، وأنه سخيف ، وأنها ستسخر فى قرارة نفسها من كلامه ٠ ولكنه فوجىء بها تقول فى صوت جاد :

– أنت لم تخطىء فى شىء .. الذنب ذنبى أنا ..

– انه ذنبنا نحن الاثنين .

وتنهدت فى ألم ، فاســـتمر يقول فى حرارة وقد عادت اليه الرغبة فى الدفاع عن نفسه :

– وانا لست نادما على ما حـدث .. لأنى أحبـك ، ولقد صارحتك بهذا الحب ، ومازلت أريد ان اتحمل مسئوليته ..

وتوقف لحظة ، وهو يتساءل من اين جاء بهذا الكلام ، وهل هو صادق فعلا فيما يقوله .. وعجب من الجواب الذى حدثته به نفسه ، فقد اكتشف انه يشعر فعلا بأنه يحبها ، وأنه يريد أن يحميها من الأحزان والآلام التى تحس بها .

وهتف فى انفعال وهو يتكلم بخفقات قلبه :

ـــ انا لم أكذب عليك .. ولم اكن شاعرا يردد بعض الكلمات الجميلة ، عندما قلت لك لن أحتمل الحياة تغيرك .. كنت أعنى كل كلمة قلتها ، ولقـــد انتظرتك طوال النهـــار فى المطعم ، فلما لم تحضرى كدت أجن ، ولم أطق الحياة بعيدا عنك ، ولم اكن أعرف عنوانك ، فذهبت أبحث عنك فى هذه المدينة الكبيرة التى لاأعرف فيها احدا .. لايمكننى ان ارضى بهذا الفراق المفاجىء .. كنت قلقـــا عليك .. وقلت لنفسى يجب أن أعثر عليها . كنت خائفا الا اراك ثانية وكنت خائفا أن أراك فتطردينى ، كان قلبى يحدثنى بأن هناك شيئا ماقد حدث ، وانا مازلت خائفا حتى الآن ، فعندما سمعتك تقولين لى « انس ما حدث » فكأنك تقولين لى اذهب ومت ..

وكان واقفا امامها ، فجلس على ركبتيه لينظر فى عينيها ، فلما التقت عيونهما قال :

ـــ جوليا .. كيف انسى ما حدث ؟

وبدت عليها الحيرة ، وهى تراه راكعا أمامها ، وقد اتكأ

بيده على مسند مقعدها ، وقالت فى ارتباك وهى تفر بعينيها من عينيه :

ــ هذا احسن شيء نستطيع ان نفعله ..

قال فى الم :

ــ هذا اسوا ما يمكن ان يحدث لى ..

ــ ماهــو ؟

ــ ان اترك زوجى ..

ــ ولكنك هذا الصباح نويت ان تقولى له كل شيء ..

فهمست فى صوت لا يكاد يسمع :

ــ قلت له كل شيء ..

ووجم يوسف ، لم يكن يتوقع انها اخبرت زوجها ، وكان يظن انها تعانى من ازمة تأنيب ضمير ، لانهـــا لم تستطع ان تعترف لزوجها بخيانتها له ، ولم يفهم سر بقائها فى البيت ، وسر ذهاب زوجها ليقود الأوركسترا فى ثبات عجيب بعد أن اعترفت له ..

وسألها فى حيرة :

ــ وستبقين هنـــا ..

ــ نعم .. سأبقى ..

ــ رغم اعترافك له ..

وهزت رأسها وقالت بصوت حزين :

ــ رغم اعترافى له ..

وزفرت هواء حزينا من صدرها ..

وسألها يوسف :

ــ ولكن .. كيف ..

ثم قطع سؤاله ، وقد شعر انه ليس من حقه ان يسألها عن تفاصيل ما حدث بينها وبين زوجها .

وقام واقفا ، ولكنه لم يستطع الحراك بعيدا عنها ، جمد

فى مكانه ، وهو يحاول ان يخمن كيف واجه زوجها الموقف .. ولم يستطع أن يخمن أى شىء ، فهل أخذ زوجها الأمر ببساطة هذا شىء لايمكن تصديقه .. هل ثار وغضب .. هذا لايمكن تصديقه أيضا لأنها مازالت تعيش معه فى البيت ، أو ربما يكون قد تركها وذهب ليعيش فى فندق ، بعد أن أعلنها بأنه سيطلقها .. نعم .. لابد أن هذا هو ما حدث .. انها يائسة لأنه سيطلقها .

وسألها يوسف فى تردد :

— هل .. سيطلقك ؟

قالت فى شرود :

— لا ..

ولم يعد يوسف يفهم شيئا .. لولا انها بدأت تروى له فى بطء وبصوت ضعيف :

— عدت اليه هذا الصباح ، وطلبت منه أن يجلس ويستمع الى ، وحدثته عن حياتى معه ، وصارحته بانى لم اكن سعيدة معه ، قلت له أن نصف حياتى كانت احلاما حبيسة فى راسى أشياء أريد ان افعلها ولا افعلها ، قلت له انه عاقل جدا ، ورزين جدا ، وأنه يعيش مع الموسيقى كراهب فى دير ، ولقد عودنى على أن أحترم رهبنته ووقاره ، فلم أحدثه عن أحلامى . كنت أخشى انى لو حدثته عما اشعر به ، فسيكون حديثى سخيفا فارغا ، كيف طلب منه أن ياخذنى الى التيفولى لنركب المراجيح ونأكل السجق فى الشارع .. كان يضايقنى انتظامه فى عمله ، كأنه ساعة مضبوطة لا تؤخر ولا تقدم ابدا . كنت اتمنى ان ياتى احد فيثور ويقول انه لن يذهب الى المسرح وسياخذنى فى رحلة الى احدى الجزر .. كنت اتمنى على الاقل ان يحدثنى برغبته فى أن يفعل هذا دون أن يحققه ولكنه عاقل جدا ووقور جدا .. لا يخطىء ابدا ولا يثور ابدا ، ويقدس

عمله الى درجة تثير الغيظ ، وكتمت رغباتى وأحلامى فى رأسى كأن رأسى كالفرن المشـــتعل الذى يمتلىء لحظة بعد لحظة بالوقود ، ولم يكن لهذا الفرن مدخنة يخرج منها الدخان فانفجر ·· قلت له أنى شعرت بالسعادة معك ، وأننا رقصنا فى « سوليدن » وركبنا المراجيح فى التيفولى ، وأكلنا السجق ·· وشربنا الاكوافيت فى الامبسادور ، ثم ذهبنا الى الفندق الذى تسكن فيه وقضيت معك الليل كله ··

وسكتت جوليا برهة ثم أستأنفت وهى تتكلم بصعوبة وقد زاد صوتها تهدجا وضعفا ·· وكأنها تخاطب نفسها :

ـ واستمع الى فى وقار شديد ، لم يجنل له رمش ، وكأنه تمثال من صخر ، فأمتلأت نفسى بالثورة عليه ، وكدت أمسك بأى شىء وأقذفه به ·· ولكنى قبل أن أفعل ·· رأيته ينهار أمامى باكيا كطفل صغير ··

ودمعت عينا جوليا وقالت بحرقة وألم :

ـ انه شىء فظيع أن يبكى يلمار ·· لو كنت تعرفه لفهمت ما أعنى ، أنا لم أجعله يبكى ·· لقد قتلته ··

ومسحت عينيها بظهر يدها ، وهمست :

ـ ولم يقل لى خلال بكائه الطويل سوى كلمة واحدة ·· « لا تتركينى ·· لا تتركينى » ·· فشعرت بأى ذنب ارتكبته فى حقه ، كيف أسىء الى مثل هذا الرجل ، اكتشفت كم أنا مخطئة انه ليس قويا كما كنت أتصور ، وكل هذا الوقار والعقل اللذين يتظاهر بهما ، مجرد قناع يخفى به ضعفه وحاجته الى ·· بكى كطفل سمع أن أمه ستفارقه ··

وسكتت جوليا ··

وشعر يوسف بالأرض تهتز تحت قدميه ، كان واثقـــا أن جوليا تعنى ما تقول ، وأنها ستبقى الى جانب زوجها ، وكان هذا يحز فى نفسه ، وشعر بحقد شديد على هذا الزوج الضعيف

الذى يبكى ويتوسل لزوجته الخائنة أن تبقى معه ، انه شيء منفر لايستسيغه .. هذا الزوج ليس رجلا انه حيوان حقير دنىء ، ويستحوذ عليها حتى ولو لجأ الى أحقر الوسائل .. حتى ولو باع شرفه وكرامته .. انه لن يرضى أن تعيش جوليا مع مثل هذا الحيوان ، لن يتركها ضحية له ، انه غاضب ثائر على الزوج الذى لم يغضب ولم يثر ..

وغلى الدم فى عروق يوسف .. وسأل جوليا :

– هل تحبينه ؟

فرفعت عينيها اليه ، ثم عادت وأطرقت برأسها ولم تجب ، ولكنه لم يرض بسكوتها ، فقال وهو يكاد يصرخ :

– هل تحبينه .. يجب أن تقولى لى ..

فأجابت وهى فى دهشة من انفعاله :

– الزواج ليس الحب ..

– أنت تشفقين عليه ..

– انه طفل كما قلت لك ..

– يجب أن تتركيه ..

– مستحيل ..

قالتها فى صوت قاطع ، فهتف :

– كيف تتحملين الحياة معه ..

– لأنه فى حاجة الى ..

– وهل تحترمينه بعد الآن .. فنظرت اليه وقالت بعينين حزينتين :

– أنا مدينة له ..

– لست مدينة له بشىء ..

– لقد سامحنى ..

– لأنه يريد استغلالك ..

قالت فى دهشة ؟

ـ استغلال ·· كيف ؟
ـ ببقائك الى جانبه ·· لتضحى بحياتك التى تحلمين بها ·· لتضحى بشبابك ·· بعواطفك ، بحبك ، بكل شىء ·
ـ أين هذا الذى تتحدث عنه ؟
ـ هل نسيت حبنا ؟
ـ حبنا ؟!
ـ هل نسيت ما حدث بالأمس ؟
ـ أهذا هوالحب ؟
قال وعيونه تبرق ، وصوته ملىء بالتحدى ، وهو يقارن بين نفسه وبين زوجها الذى يحتقره ··
ـ نعم هذا هو الحب ، ولن أسمح لك بأن تقولى انه شىء آخـر ··
كان انفعاله وحماسه ، قد أخرجاها من حالة الضعف التى كانت تشعر بها ، وبدأت الحيوية تدب فى صوتها ·· فقالت غير عابئة بتحديه :
ـ كن عاقلا ·· يجب أن نعترف بأننا لعبنا ·· كنا طائشين ·· كنت أحلم بمغامرة ·· وكنت أريد أن الهو وأتمتع بالأشياء التى حرمنى منها الزواج ·· ولكننا لم نحب ··
وصدمته كلماتها ، وشعر بجزع حقيقى ، فقال لهـــا فى لهفة :
ـ جوليا لا تتركينى ··
قالت له ، وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة مفاجئة :
ـ هل من الممكن أن يكون هناك حب بينى وبينك ؟
ـ ماذا أصنع لتصدقينى ؟
ـ فكر بعقلك ··
ـ انت تشعريننى بأن العقل شىء سخيف ··
ـ ربما ·· ولكننا من المستحيل أن نهرب منه ··
ـ وهل ينصحك عقلك بالبقاء معه ··

ـ ليس هناك حل آخر ..

ـ ومع ذلك أنت يائسة وتفكرين فى الانتحار .. اتدرين المنزل .. لأنك تعرفين جيدا أنه لايمكنك البقاء بعد .. واذا لم تتركيه الآن ، فستفعلين هذا فى الغد ، لا تفكرى فى اليوم .. فكرى فى الغد وبعد الغد ، فكرى فى الشهر القادم .. وفى السنة القادمة .. وبعد خمس سنوات ، وحياتك تمضى ، وليس فيها سوى الشفقة والندم .. أنت تظلمينه بهذه الشفقة . أنت تحتقرينه بهذه الشفقة .. وسيكرهك يوم يكتشف هذه الحقيقة .. لن تجمعكما بعد اليوم سوى الكراهية ..

ـ ليته يكرهنى ..

ـ أنت تفكرين كما لو كانت حياتك قد انتهت ..

ـ وماذا بقى لى ؟

ـ حياتنا ..

ـ كيف تتوقع أن تكون حياتنا .

ـ حياة اثنين يتبادلان الحب ..

ـ هل تريد منى أن أصدقك ..

ـ جوليا .. ما فائدة هذا الكلام .. انه لا يعبر عن شىء .. أصوات تخرج من أفواهنا .. مجرد أصوات بالأمس لم نتكلم كثيرا ، لأننا عرفنا الحب .

وسكتت جوليا ، وبدا أنها تفكر ، وخيل الى يوسف أنها قد اقتنعت بما يقول .. فقال فى صوت هادىء :

ـ انى أقترح عليك أن تحزمى حقائبك وتتركى البيت الآن ..

وانتظر اجابتها ، ولكنها ظلت تفكر ، فاقترب منها يريد أن يقبلها ، وهو يظن أن قبلته ستنهى المناقشة بينهما ، وما كاد يقترب منها بفمه ، حتى انتفضت مذعورة ، وعلى وجهها علامات فزع ، وحزن يوسف من فزعها وصمم على تقبيلها ، فاندفع يحيطها بذراعه ، وهى تقاومه بيديها ، وضغط عليها يضمها اليه ، وهى تهز رأسها يمنة ويسرة لتتفادى قبلته ، ثم

دفعته بقوة وأفلتت منه ، وصفعته على وجهه ..

وفقد يوسف سيطرته على نفسه تماما ، فهجم عليها وانهال عليها بيده ، وهى تئن وتصرخ فى صوت مكتوم ، كأنها قطة تموء من الألم وأفلتت منه ، ووقفت عند أحد الأبواب ، وصرخت وهى تنظر اليه فى هلع ..

وأدار يوسف ظهره لها ، وخرج من البيت ، وهو لا يرى أمامه سوى غمامة حمراء تملأ عينيه ..

وانطلق مسرعا الى الشارع ، وصرختها تلاحقه لا يدرى كيف ينزعها من أذنيه ، وبحثت قدماه عن الشوارع المنعزلة الهادئة ، كان فزعا من مواجهة الناس ، كأنهم سيعرفون بمجرد رؤيته ما وقع بينه وبين جوليا .. خيل اليه أنه يحمل معه الى الشارع صراخها وعلامات الفزع التى ارتسمت على وجهها ، كان يشعر بأنه لا يريد الفرار من الناس فقط .. انه يريد الفرار من نفسه ..

ووجد أمامه طريقا معتما ضيقا فى نهايته أضواء زرقاء باهتةفسار فيه ، ووقع أقدامه يدق فى رأسه ، كأنهيمشىبرأسه، ولم يعد يحتمل الحالة التى وصل اليها . كل شىء فيه ثائر طائش ، يداه ترتعشان ، وجسمه يرتجف ومشيته اندفاع . كأن يدا مجهولة تدفعه ، وصوت محموم يهذى فى داخله .. كان الصوت يقول : ما الذى فعلته أيها الأحمق ، لماذا فكرت فى تقبيلها .. لماذا فرضت نفسك عليها بالقوة .. لقد أخفتها منك ، انها لن تذكرك بعد الآن الا فى صورة وحش همجى .. ستندم على أنهاعرفتك ، ضاعت حلاوة الذكرى ، انتهى حلمها الجميل ، مسحت منخيالها صورةالشاب الرقيق الذى غازلها بكلمات شاعرة ، حطمت نفسك ، أهنت نفسك ، أثرت احتقارها .. أصبحت شخصا بغيضا فى نظرها ..

واجتاز يوسف الطريق المعتم ، وأقبل على الأنوار الزرقاء الباهتة ، التى كانت تضىء ميدانا فسيحا يتوسطه تمثال رجل يركب حصانا ..

لقد مر بهذا الميدان من قبل ، وكانت جوليا معه وأراد أن يسألها عن صاحب التمثال ، ولكنه لم يفعل .. كان وقتها يحس وكأنه سلطان المدينة ، أما الآن فهو غريب وحيد ، يجهل ما حوله ، ولا يدرى فى أى اتجاه يسير ..

وانكمش فى نفسه وقد شعر بموجة من البرد تسرى فى عظامه ، ونظر أمامه ، فرأى مساحة كبيرة من الظلام ، تخترقها أنوار كوبرى صغير ، واتجه الى الكوبرى ، كان الظلام يخفى تحته قناة واسعة،ووقف يتأمل المياه السوداء من فوق الكوبرى .. وهمس صوت فى داخله : « كيف أصلح خطئى » وشعر بيأس أسود كلون الظلام ، أيحاول أن يعتذر لها فى التليفون .. أيكتب لها رسالة .. انه لا يستطيع التفكير،وصرخ الصوت فى داخله : « لابد أن تعطينى فرصة .. لابد أن تعطينى فرصة » ..

وتساقط رذاذ المطر فجأة ، فوق رأسه ، ومن حوله ، وهو واقف فى استسلام ، لايريد أن يغادر مكانه .. ولا يريد أن يحول عينيه عن المياه السوداء ، كان منظرها هو الشىء الوحيد القريب من نفسه فى هذه المدينة ..

ولكن المطر اشتد ، وابتلت رأسه وملابسه ، وعطس ، وشعر بسخونة فى جبهته فأسرع بالفرار،وهو يبحث عن تاكسى يحمله الى الفندق ، وجرى الى جانب المبانى ليحمى نفسه من المطر ، واتجه الى الشوارع المضيئة ، حيث الناس والسيارات وهو يشعر بتعاسة هائلة ، وكأن الدنيا كلها تعيسة ، وكأن هذا المطر دموع الدنيا التى تبكى من اجل حماقته التى ارتكبها مع جوليا ..

وعثر أخيراً على تاكسى ، فركبه وهو ينتفض من الحمى ، والصوت الذى فى داخله يردد فى هذيان « اعطنى فرصة .. اعطنى فرصة .. اعطنى فرصة » حتى وصل الى الفندق ،

ورآه عامل المصعد ، فرثى لحاله ، وصعد به الى غرفته وقال له أنه سيحضر له فورا كأسا من الكونياك ..

وخلع ملابسه المبللة ، وتناول قرصا من الاسبرين ، ودخل السرير وتدثر بالأغطية ، وجاءه الخادم ومعه كأس الكونياك وطلب منه أن يشربه دفعة واحدة ، ففعل ، وقال الخادم :

ـ يجب أن تأخذ معك معطفين يا سيدى .. لقد كان الجو نادرا فى اليومين الماضيين ، ولكنها تمطر دائما ..

قال فى أسى كمن يقر بذنبه :

ـ سأفعل ..

وابتسم الخادم وقال وهو يغادر الغرفة :

ـ غدا ستكون فى أحسن حال ..

كيف سيكون فى أحسن حال ، انه يشعر بحمى المرض ، ويخيل اليه أن حاله ستسوء ، ولن يستطيع القيام برحلة الغد ..

كان يفكر فى المرض فيحس براحة غريبة ، كأن المرض سيخلصه من مشاكله وهمومه ، كأنه الاعتذار الحاسم الذى سيواجه به نفسه كلما فكر فى جوليا ..

لولا هجوم المرض عليه ، لما استطاع أن يهدأ أو يعود الى الفندق ، ولما استطاع أن يسكت هذا الصوت الفوضوى الذى يثرثر فى داخله ولاستمر يجوب الشوارع حتى الصباح ..

انه الآن يستطيع أن يرجىء كل شىء .. لأنه مريض ، وعليه أن يفكر فى النوم ، ان جسده هامد ، والضعف يسرى فى مفاصله وجوليا تتحول الى مجرد هذيان باهت يطوف بخياله ..

ومضى وقت طويل ، وهو يغذى فى نفسه هذا الشعور بالمرض ، ويشغل راسه بالتفكير فى المضاعفات التى قد تحدث له ، واحتمال نقله الى المستشفى ، والأطباء يكشفون عليه ، وينظرون اليه بوجوه متجهمة ..

وسأل نفسه « ماذا يحدث لو مت هنا » وفكر فى أقاربه ..
عمه مدير الشركة الكيميائية ف القاهرة هو أقرب الناس اليه
سينظر جثمانه الذى ستحمله الطائرة الى القـــــاهرة ،
وستشيع جنازته من ميدان التحرير .. ترى ماذا ســـــتفعل
نادية بعد موته ، ستحزن قليلا ولكنها ستعرف واحدا غيره ،
أما سعاد فستتلقى النبأ وهى تستعد لسهرة فى قاصد خير ،
وستشعر بصدمة للنبأ ، ولكنها ستكمل زينتها ، وستذهب الى
قاصد خير ، وسترِوى لمن معها حادث وفاته فى السويد ، ثم
ستشرب كأسين وترقص وتضحك وتنسى كل شىء ..

وهدى .. انها لن تحزن .. ستشعر بالغيظ وربما بخيبة
الأمل ، بعد أن فشلت خطتها فى الزواج منه ، ستفكر فيه كما
لو أنه زوج واحدة غيرها .. لن تقول انه مات .. ستقول انه
تزوج الموت ..

وسيبكى خادمه جمعة ، وسيذهب الى عمه ويطلب منه أن
يجد له عملا فى الشركة ، وسيكون عمه حزينا ، وربما ساعد
جمعة ، ولكنه سيكون مشغولا بتلقى العزاء ، ومهتما بالمعزين
ومناصبهم ، أكثر من اهتمامه بحزنه عليه .

وأطلق يوسف آهة من قلبه ، لم يشعر أبدا بوحشة ووحدة
مثل ما يشعر الآن ، وتمنى لو يموت فعلا .. ثم بدأت الأفكار
تبتعد من رأسه ، وشعر باغفاءة خفيفة تداعب عينيه وفمه ..
وغفا ..

وفتح عينيه فجأة على صوت جرس التليفون ، وقد بهر
عينيه نور الغرفة الذى نسيه مضيئا قبل أن يغفو ، وقام على
عجل الى التليفون ، رفع السماعة وليس فى رأسه أية فكرة
عمن يكون محدثه ، ورفع السماعة .. فسمع صــوتها ..
صوت جوليا ، كانت تقول له :

ــ يوهسيف .. أنت فى حجرتك ..

ـ نعم ..

ـ أنا هنا ..

ـ أين ؟

ـ تحت ..

ـ تحت ، أين

ـ هنا فى الفندق ..

قال فى غباء :

ـ آه ..

ـ وسمعها تقول :

ـ هل أصعد لك ..

فردد فى غير فهم :

ـ نعم .. نعم ..

ـ ان معى حقائبى .. سأتركها هنا ..

ـ ولماذا لا تصعدين بها ..

ـ سأزحم غرفتك ..

وسكت محاولا أن يهضم معنى كلامها .. وسمعها تقول:

ـ انى قادمة ..

ووضعت السماعة ، ويوسف لا يصدق انها كلمته ، وانها صاعدة اليه ، ظن أنه يحلم ، وتذكر أنه كان مريضا راقدا فى السرير ، أهو هذيان جديد ، وأسرع الى ساعته ونظر فيها ، فوجدها الثانية صباحا ، ووقف حائرا وسط الغرفة ، حتى سمع نقرا على الباب ، فذهب اليه وفتحه ، فرأى جوليـــا أمامه ..

أول ما خطر له عندما رآها ، انها فى نفس طول قامته ، وأن شعرها مقصوص ، وفستانها رمادى ، وانها لا تبتسم . لم يكن قادرا على التفكير ، فترك الخواطر تسقط على راسه كما تشاء ، وكما يراها بعينيه لا كما يراها بعقله ..

ودخلت جوليا الغرفة ، كان جسمها ممتلئا قليـــلا ، وصدرها بارزا ، ونظر اليها يوسف وكأنه يراها لأول مرة ، كان دائما يراها بمشاعره وانفعالاته ·· لم يرها أبدا بعينيه المجردتين حتى الآن ··

وقالت جوليا فى ارتباك :

ـ آسفة لقد أيقظتك من نومك ··

ـ أبدا ··

وسأل نفسه ، ما معنى كلمة « أبدا » التى قالها ، ووجـد أنها لا تعنى شيئا ، فقال :

ـ انى مريض ··

فسألته باهتمام :

ـ كيف ·· متى ··

ـ سقط على المطر ، وتبللت ثيابى وعطست ··

ـ أوه ·· ألم أقل لك لا تخرج بغير معطفك ··

ـ نسيته ··

واقتربت منه ووضعت كفها على جبينه ثم قالت :

ـ لاتوجد حرارة ··

قال وهو ينظر الى صدرها :

ـ لا ·· برد خفيف ··

وخطر له أنها سترقد الى جانبه فى السرير ، وستصالحه، وشعر بأنه لابد أن يقبلها وأنه سيريدها وسيرغب فيها ، فقرر أن ينفى لها أنه مريض ·· قال :

ـ فى الحقيقة بعد أن شربت الكونياك انتهى كل شىء ··

فقالت فى اهتمام :

ـ ولكنك يجب أن تنام

ـ لا أشعر بالنوم الآن ··

ـ عد الى سريرك ··

ـ ولكنى اريد أن أتحدث معك .

ـ ستتحدث وأنت فى السرير .

ودفعته برفق الى السرير ، فاطاعها .. ودثرته بالأغطية، فقال :

ـ تعالى واجلسى جانبى ..

قالت ببساطة :

ـ سأفعل ..

وجلست الى جانبه ..

قال وهو ينظر اليها ، محاولا أن يبدو صوته طبيعيا :

ـ ألا تخلعين فستانك ..

فقالت فى هدوء :

ـ ليس الآن ..

ورأى فى عينيها نظرة قلقة كانت تكتم فى داخلها انفعالا حادا ..

وسألها وهو ينظر امامه :

ـ ماذا حدث ؟

ـ تركته .. لم أستطيع البقاء معه ..

ـ تشاجرتما ؟

ـ لا ..

والتفتت اليه وسألته :

ـ أين سجائرك ..

ـ فى جاكتة البدلة .. فى الدولاب ..

وذهبت الى الدولاب ، وأخرجت علبة السجائر ، وأشعلت سيجارة ، فقال :

ـ اعطنى واحدة ..

فقالت فى حزم :

ـ لا .. لو كان عندك برد فسيلهب الدخان حلقك ..

وابتسم يوسف مذعنا ..

وبحثت عن مطفأة السجاير ، فوجدتها بجوار التليفون ، وأحضرتها معها ، وعادت الى السرير وجلست جانبه ·· ثم قالت :

عاد الى البيت صامتا لا يريد أن يكلمنى ·· وأغلق على نفسه باب غرفته ، وكانت أعصابى ثائرة بعد أن تركتنى ، وكنت خائفة يائسة ، فذهبت اليه ، وحاولت أن أبادله الحديث ·· ولكنى أحسست بأنه لا يريدنى فى غرفته ، شعرت أنه يريد أن يعاقبنى بطريقته الخاصة ، ولم أحتمل ، انفجرت فيه ، وقلت له أنى لن أستطيع الحياة معه ، فسكت ولم يقل شيئا ، وتركته وأعددت حقائبى ··

وسكتت جوليا برهة ، ثم أطفأت سيجارتها قائلـــــة فى عصبية :

ـ ستمتلىء غرفتك بالدخان ··

وأطرقت برأسها ثم قالت فى صوت متهكم حزين :

ـ ومن بين جميع من أعرفهم فى استوكهولم لم أجد أحدا غيرك ألجأ اليه ··

وشعر يوسف بغصة فى حلقه ، وملأه حنان جارف نحوها ، وفكر فى أن يقبلها ولكنه عدل ·· ان الحنان الذى يشعر به أقوى من أن تعبر عنه القبلات ··

وقال فى تأثر :

ـ جوليا ·· أشكر لك حضورك ··

والتفتت اليه وهى تقاوم البكاء فى عينيها بابتسامة ··

ـ هل أنت سعيد حقا بحضورى ··

ـ جوليا ·· لقد شفيت ·· لم يكن عندى برد ·· بعدك عنى كان المرض الذى أعانيه ··

وواجهته بعينين متسائلتين حزينتين وقالت :

ـ كل ما أطلبه منك أن تكون لطيفا معى ··

وتذكر أنه ضربها ، فأقبل على يدها وقبلها وهو يتوسل اليها بصوت باك :

– سامحينى .. سامحينى .. سأموت لو لم تغفرى لى .

فوضعت يدها على رأسه فى حنان ، وقالت وعلى شفتيها بسمة واهنة :

– لا تقل هذا .. لقد سامحتك والا ما كنت أحضر اليك ..

فقال فى انفعال مشيرا الى أصبعه البنصر :

– انظرى الى أصبعى هذا .. كنت أتساءل لماذا عاقبنى الله بهذه العاهة ، ولكنى أعلم الآن لماذا عاقبنى .. كان يعلم أنى سأمد يدى عليك ..

فقالت متأثرة بحرارة كلامه :

– لا تنفعل هكذا .. يجب أن تنام ..

– انى خائف أن أغمض عينى فلا أراك ..

فضحكت قائلة :

– عدنا الى الشعر .. ماذا ستفعل غـدا ..

قال فى حماس :

– لا شيء .. سأبقى معك ..

– وعملك ؟ ..

– انتهيت منه ..

– هكذا سريعا ..

قال وهو يؤمن بأنه لا يكذب :

– نعم .. كان كل شيء سهلا ، ولم أبق الا من أجلك ..

وقطبت جبينها وسألته فى تفكير :

– ومتى تعود الى بلدك ؟ ..

– لن أعود .. قلت لك سأبقى معك ..

– أنت لطيف معى أكثر من اللازم ..

– أنا أحبك ..

وظلا يثرثران حتى الفجر ، وقد طرد يوسف من ذهنه أى خاطر بأن يقبلها أو أن يحول صلة الحديث بينهما الى صلة جسـد ..

www.library4arab.com/vb

الفصل الرابع

www.library4arab.com/vb

كانت

الفصل الرابع

الطارة تحلق فـــوق السحاب في ســــماء زرقاء تسطع فيها الشمس ٠٠ وهنـــاك من تحت فجوات بين السحب ، تبدو مياه البحر الزرقاء ، كان كل شيء ينبيء عن رحلـة عـادية من تلـك الرحلات اليومية التى تقطعهـــا الطـــائرة بين استوكهولم وكوبنهاجن عاصمة الدنمارك ٠٠

ووقفت المضيفة الى جوار الخادم فى الممر الصغير عند باب الطائرة ٠٠ والقت بنظرة سريعة على الركاب ٠٠ كانوا قـد فرغوا من تناول طعام الغداء ، وبعضهم قد شغل نفسه بقراءة الصحف ، والبعض الآخر يدخن سيجارة أو ينظر من النافذة أو يتحدث مع جاره ٠٠ اثنان فقط من الركاب لـم تستطع المضيفة أن تقدم لهما طعام الغداء ، لانهما غرقا فى نوم عميق ٠٠ رجل أسود الشعر ٠٠ شرقى الملامح ، والى جواره فتاة سويدية ٠٠ شقراء ٠٠ مالت برأسها على كتفه ، واســتسلما للنعاس ٠٠

ونظرت المضيفة فى ساعتها ثم نظرت فى قلق الى الرجل والمرأة النائمين ، والتفتت الى الخادم وسألته :

ـ هل أوقظهما ؟

فهز الخادم كتفه وقال :

ـ النوم افضل لهما ٠٠ ربما لم يناما طوال الليل ٠٠

وهمست المضيفة فى فضول :

ـ ترى ما الذى يجمع هذا الشرقى بشقراء سويدية ؟

فمط الخادم شفتيه وقال :

ـ ربما كانت زوجته ٠٠

فأسرعت المضيفة تصحح معلوماته :

ـ أبدا .. اسمه فى كشف الركاب يوسف منصور واسمها مدام جوليا جونارد ..

وابتسم الخادم ساخرا وقال :

ـ اذن فهى مغامرة ..

ولم تعجب المضيفة لهجة الخادم الساخرة ، واحست برغبة فى الدفاع عن جوليا ، كان منظرها وهى نائمة يثير شفقتها .

قالت للخادم فى احتجاج :

ـ لا أظن أنها مغامرة .. لو رأيتهما وهما يتهامسان عندما ركبا الطائرة ، لعرفت أنهما عاشقان .. كانا لا يشعران بأى شىء حولهما ..

ونظر الخادم الى المضيفة بعين فاحصة وسألها فى خبث :

ـ هل من الممكن أن تقعى فى حب رجل شرقى ؟

فأجابت على الفور :

ـ نعم أحبه ..

وبدا عليها التردد والتفكير ثم استأنفت قائلة :

ـ أحبه .. ولكنى لا أصادقه ..

وضحك الخادم لاجابتها الغريبة وقال متهكما :

ـ ما معنى هـذا الكلام .. تحبينه ولا تصادقينه .. هـل هـذا ممكن ؟

فقالت المضيفة فى ارتباك ، وهى تبحث عن كلمات تعبر بها عما تشعر بـه :

ـ أنظر اليه .. انه شاب وسيم .. رجل حقيقى .. وأعتقد ان أية امرأة تقع فى حبه ، ولكنه شرقى ، طباعه غريبة عنا ، ولا أدرى ماذا قد يدور فى رأسه من افكار ، ولا اعلم شيئا عن عاداته .. مثل هذا الرجل قد أحب فى لحظة غريبة .. احبه فى خيالى .. أو فى ليلة مقمرة عند سفح الهرم فى القاهرة ، أو فى حـديقة بيت فارسى فى طهران أو ونحن نرقص تحت سماء دلهى حيث تكون النجوم قريبة منا فى متناول اليد ..

وبلعت المضيفة ريقها ، وهى تقاوم نظرات الخادم الساخرة ثم قالت :

ـ ولكنى لا أستطيع أن أكون زوجة أو صديقة له ·· أفهمه ويفهمنى ··

وقال الخادم وقد امتزجت الدهشة بسخريته :

ـ أنا لا أفهمك ··

ـ لأنك لست امرأة ··

ـ أشكر الله أنى لست امرأة ··

ودق أحد الركاب الجرس ، فأسرعت المضيفة تلبى النداء ، وتركت الخادم ينظر الى يوسف وجوليا فى غضب ، ثم رفع حاجبيه ومط شفتيه ·· وذهب الى النافذة ليلقى نظرة على البحر من الفجوات بين السحب ··

كانت الطائرة تعبر بسرعة ذلك الجزء الضيق من البلطيق الذى يفصل بين السويد والدنمرك ، وقد ظهرت جزر متفرقة صغيرة ملساء ، تنبىء عن أن الرحلة قد قاربت نهايتها ·· وتراجع الخادم عن النافذة ، وذهب ليعد صينية الملبس واللبان لتوزعه المضيفة على الركاب قبيل هبوط الطائرة ··

وعادت المضيفة اليه ، وأخذت منه الصينية ، وبدأت توزع على الركاب الملبس واللبان ، بينما كانت الطـــائرة تخترق السحب لتهبط تحتها ، ووصلت المضيفة الى يوسف وجوليـا فوضعت يدها برفق على يد يوسف وأيقظته ، وما كاد يتحرك حتى استيقظت جوليا ، ونظر الاثنان الى وجه المضيفة الباسم وتناولا الملبس ، بينما ارتفع صوت الخادم يعلن فى الميكروفون بالسويدية والألمانية والانجليزيـة والفرنسـية ، أن الطـائرة على وشك الهبوط فى مطار كوبنهاجن ، ويطلب الركاب بربط أحزمة الامان حول خصورهم والامتناع عن التدخين ، وأضاءت لوحة فوق باب غرفة قيادة الطائرة تعلن نفس التعليمات التى اذاعها الخـــادم ··

ونظر يوسف في ساعته فوجدها الواحدة وعشر دقائق ·
والتفت الى جوليـــا ، كانت تنظر اليه بعينين ناعســتين مستسلمتين فيهما طيبة وسذاجة وحب ··

وهمس يوسف :

ـ لقد وصلنا ··

فأومأت برأسها

وهمس ثانية :

ـ سعيدة ؟

فخفضت رموش عينيها تريد أن تقول له « نعم أنا سعيدة »

ـ لست نادمة ؟

وحركت رأسها ، تنفى أنها نادمة على شيء ·· وزاد الحب فى عينيها ··

ـ أريد أن أقبلك ··

وابتسمت ابتسامة وادعة وأرسلت له قبلة كسولة سعيدة فى الهواء ··

كانا غائبين عما يدور حولهما ، لا يفكران فى شيء ولا يتخيلان أى شيء ·· كطفلين فى الشهر الأول من ولادتهما ·· عيونهما بريئة حالمة والهة ، وكل واحد منهما قد تحدد عالمه بكيان الآخر ·· نسى يوسف عمله الذى تركه ، وبلده الذى جاء منه ·· نسى تاريخ حياته وذكرياته ·· كأنه شخص جديد لاماضى له ·· ونسيت جوليا زوجها وبيتها الذى تركته وأقاربها وأصدقاءها نسيت كل شيء ، كأنها فتحت عينيها فى هــذه الدنيا لترى يوسف وحده ·

ولما وقفت الطائرة في مطار كوبنهاجن ، انتبها فجأة الى الركاب الواقفين حولهما ، يتزاحمون نحو باب الخروج ، فتلفتا حولهما وكأنهما يتساءلان ، ماذا يحدث حولنا ·· أين نحن ·· من أين جئنا ، والى أين نذهب ·· لم تكن بهما حاجة الى أن يتحركا من مكانهما ، كل ما يريدانه هو أن يكونا معا جنبا

الى جنب ، وهما الآن معا جنبا الى جنب ، فما الذى يدعوهما الى القيام والحركة ‥ ما الذى يدفع كل هؤلاء المجانين الى هذه الضجة التى يحدثونها ليغادروا هذا المكان .

وتبادلا نظرة آسفة ‥ ثم قاما ‥ وحملا أمتعتهما وسارا فى آخر الطابور ، وكانا آخر من غادر الطائرة ‥

ولكنهما أفاقا من غيبوبة الحب عند موظف جوازات السفر . كان عليهما أن يقدما ما يثبت شخصيتهما ، ما يثبت أنهما من بلدين مختلفين ، هو من مصر وهى من السويد ، هو اسمه يوسف وهى اسمها جوليا ، هو أعزب وهى متزوجة ، هـو أسود الشعر وهى شقراء ‥

أمسك يوسف بجواز سفره ، وفى داخله البطاقة البيضاء التى كتبها يوم وصوله الى استوكهولم ، والتى تبيح له أن يتنقل بين بلاد اسكندناوة بلا جواز سفر ‥ كانت البطاقة البيضاء تصرخ بما فيها من معلومات سجلها يوسف بخط يده ، فى لحظة واحدة عادت اليه حياته الماضية ، عادت دفعة واحدة فى بريق خاطف ‥ وعندما أعاد له الموظف بطاقته ‥ كان يسأل نفسه فى فزع « ماذا فعلت » ‥ ما الذى جاء بى الى هنا ‥ كان المفروض الآن أن أكون مع « انكستر » فى زيارتى لمصانع الورق .

ماذا سيقولون عنى فى القاهرة ‥ لو علموا بما فعلت لطردونى من عملى ‥ لانتهت حياتى ‥ كيف أتورط الى هذا الحـــد » ‥

وبينما الأسئلة القاتمة تنهال على رأسه كالمطارق ، سمع صوتها ‥ صوت جوليا ، كانت تقول له :

ــ انظر كيف ننتقل بسهولة فى بلادنا ‥ لقد كنا مملكة واحدة السويد والدنمرك والنرويج ، ولكننا تفرقنا ‥ وأخيرا ألغينا جوازات السفر ‥ من يدرى ربما ألغت جميع الدول جوازات السفر ، وعندئذ أسافر الى مصر دون أن أســتأذن قنصــلكم ‥

بدد صوتها فزعه .. وكأنها تتحدث من داخل قلبه

انها لا تحدثه عن الغاء جوازات السفر .. انها تحدثه عن الغــاء همومه ، كان يكفيه أن يسمعها أو ينظر اليــها لينسى نفسه ، وقال لها ضاحكا :

ـ ستذهبين معى الى مصر ..

قالت فى حماس :

ـ سأفعل ..

وخرجا من المطار وركبا الأتوبيس الواقف فى انتظار الركاب. كانت مساحات واسعة من الفضاء ممتدة من حولهم ، ولا يبدو على امتداد الأفق سوى ألواح خشبية متفرقة ليس فيها حياة .

وسألها يوسف وهو يعجب للمنظر الموحش الذى يراه ..

ـ أين كوبنهاجن ؟

فضحكت جوليا قائلة :

ـ لا تنزعج .. انها ليست هذه الأكواخ ..

ثم أردفت تذكره :

ـ ألم أقل لك انها باريس الشمال ..

★★★

بالأمس وهما يثرثران جنبا الى جنب على السرير فى تلك الغرفة بفندق أركاديا قالت له جوليا :

ـ أجمل مدينة رأيتها فى حياتى كوبنهاجن ..

فسألها :

ـ أجمل من باريس ؟

ـ لم أر باريس .. ولكنهم يقولون عن كوبنهاجن انهــا باريس الشمال ..

واستمع يوسف اليها ، وهى تروى له عن ذكرياتها فى كوبنهاجن .. كانت تحدثه فى حرارة ، وأحس أنها تروى له عن أسعد أيام حياتها .. كانت وقتها طالبة فى الجامعة تدرس الأدب الانجليزى ، وفى فصل الصيف كان الطلبة يقومون بمشروعات يقضون أجازاتهم فى تنفيذها .

وهى فى السنة الثانية فى الجامعة ·· قامت فرقتها بمشروع ادارة فندق «دوموس» باستوكهولم ، وكانت تريد أن تعمل موظفة فى قسم استقبال النزلاء ، ولكنهم كلفوها بتنظيف الحجرات ، رغم أنها تجيد اللغة الانجليزية وتستطيع أن تتفاهم مع السائحين الأجانب ··

وسألها يوسف ضاحكا :

وكنت تمسكين بالمكنسة كل صباح وتكنسين الغرف ؟

فقالت وهى تشاركه الضحك :

ـ نعم ··

ـ وكيف كان يعاملك النزلاء ؟

فلمعت عيناها بالمرح وقالت :

ـ كانوا يمنحونى بقشيشا كبيرا ··

ـ ويغازلونك ؟

ـ طبعا ·· لقد تزوجت من أحد نزلاء « دوموس » ··

وصاح يوسف فى دهشة :

ـ زوج آخر ؟ ··

ـ لا ·· نفس زوجى هذا ، قابلت يلمار لأول مرة وهو نزيل احدى غرف فندق « دوموس » ·

وسألها وقلبه يخفق :

ـ وكيف تزوجته ؟

ـ دخلت غرفته صباح أحد الأيام ·· فوجدته مريضا ، فاعتنيت به ·· ولم أكتف باستدعاء الطبيب ، كنت أذهب اليه بعد أن أفرغ من عملى وأقرأ له فى كتاب أو مجلة ·

ـ وما الذى جعلك تفعلين هذا ؟

ـ كنت أشعر بالعطف عليه ·· فهو رجل متقدم فى السن · وأعزب ·· وفنان وأظن أن كل هذا أثار فضولى ·· كنت أسأل نفسى ما الذى جعله لا يتزوج حتى الآن ، وكيف أصبح فنانا ·· وأنت تعرف هذا الغموض الذى يحيط بالفنانين ويجذب الناس اليهم ·· كنت أعاملة كعم كبير ··

ـ أو كوالدك ؟

ـ ربما ..

ـ وأحببته كوالدك ؟

ـ ربما .. فقد كنت أحب والدى جدا .. كنت كثيرة الشجار مع أمى ، كانت تقول لى : جوليا اياك أن تضعى الروج على شفتيك .. جوليا ذاكرى دروسك .. جوليا افعلى هذا ، جوليا .. جوليا .. وكنت أصرخ فى وجهها وأخرج من البيت وأنتظر أبى عند الباب وكان أحيانا يتأخر ، فتناديني أمى ، ولكنى أرفض الدخول ، وأظل واقفة أمام الباب حتى يجىء أبى ولو بعد منتصف الليل .. وكان يرفض أن يضربنى .. أحيانا كان يتظاهر بأنه يضربنى ليرضيها ، وعندئذ كنت أتظاهر بالبكاء :

ـ كنت طفلة شقية ..

ـ جدا .. ولكنى كنت شاطرة ، وأتفوق على جميع تلاميذ الفصل فى مواضيع الانشاء .. حدث مرة أن قال المدرس لأبى أنه يشك فى أنى أنقل مواضيع الانشاء ، أو أن أحدا يساعدنى فى كتابتها ..

ـ وهل هذا صحيح ؟

ونظرت جوليا الى يوسف فى غضب صبيانى وصاحت :

ـ هيه .. ماذا تقول ، انى لا أغش أبدا ..

ـ وماذا قلت للمدرس ؟

ـ هددته بأن أتحول الى بروتستانتية ؟

وضحك يوسف وهو يسألها :

ـ وما قيمة هذا التهديد ؟

ـ أوه .. انك لا تدرى .. نحن الكاثوليك متعصبون لديانتنا ولا شىء يزعجنا مثل أن يتحول واحد منا عن الكاثوليكية ..

ـ وخاف المدرس ؟

ـ ذعر .. ولم يعد يتهمني بشيء ..

وضحكت جوليا .. ولكن يوسف سألها في اهتمام :

ـ ويلمار .. كاثوليكي ؟

ـ نعـم ..

ـ اذن ..

وقطع يوسف كلامه .. فألححت عليه :

ـ اذن ماذا ؟

ـ اذن فلا طلاق بينكما ..

قالت في بساطة :

ـ الا اذا اعترفت بأني خنته ..

وكان واضحا ليوسف ، أنها على استعداد تام لأن تدلي بهذا الاعتراف ..

وسألها ليعرف بقية القصة :

ـ ولكن كيف تم الزواج ؟

ـ بعد أن شفي ، دعاني للخروج معه ، وكنا نذهب الى مطاعم هادئة ، ونجلس ونتحدث ، وبعد أن غادر الفندق ظل يتردد علي ، وكان دائما جادا وقورا .. وارسل لي ذات يوم باقة ورد ومعها تذكرة للمسرح .. نفس المسرح الذي يعمل فيه الآن ، وجلست في الصف الأول كما كنت تجلس أنت .. وبعد انتهاء العرض ، خرجنا وتناولنا العشاء ، وهو يحدثني في أشياء عادية ، حتى أوصلني باب البيت ، وكنت الاحظ عليه بعض الارتباك . وظننت أن المجهود الذي بذله في قيـادة الأوركسترا هو السبب في حالته العصبية ، ولكنه فاجأني بقوله « لماذا لا نعود سويا آخر الليل الى بيت واحد ؟ » ونظرت اليه وانا لا أفهم ماذا يعني بالضبط .. كنت أحس احساسا غامضا بأنه يعرض علي الزواج ، ولا أدري ما الذي عطل تفكيري في تلك اللحظة . ولما رآني لا اجيبه اضطر الى مصارحتي ، قال في وقار شديد : « هل تشرفينني يامدموازيل بأن تحملي اسمي » ، وشعرت بفرح شديد مفاجيء ، وحتى

الآن لا أدرى هل كان فرحى فى تلك اللحظة لأنه عرض على الزواج أم لأنى فهمت ما يقول ، وبسرعة وبغير تفكير قلت له « سأكون سعيدة معك » ·· وانحنى على يدى وقبلها وفى عينيه دموع حائرة ·· وردد فى حرارة « أنا أسعد مخلوق فى العالم أنت لا تعرفين كم أحبك ·· لست نادما الآن لأنى أجلت زواجى كل هذه السنين ·· » وتركنى وانصرف بعد أن قبل يدى مرة أخرى وتزوجنا بعد أسبوع ··

كان أبى قد مات ، وأمى حزينة عليه ولكنها لم تكف أبدا عن الشجار معى ، وعندما عرفت أنى سأتزوج بلمار احتجت ، وقالت انى طائشة ، وكيف أتزوج رجلا فى مثل سن أبى ·· وقلت لها كلاما كثيرا أغضبها ·

وسكت جوليا برهة ، ويوسف يستمع الى صمتها كما كان يستمع الى كلامها ، وقد خيل اليه أنه فى حلم ·· ثم سمعها تتنهد وتقول :

ـ تصور أنى قلت لها ·· انها تغار منى ، وتريد الزواج من يلمار لأنه عجوز مثلها ··

وسكتت جوليا منتظرة أن يعلق يوسف على اعترافها ، ولكنه احتفظ بصمته فأطلقت هى التعليق الذى كانت تود أن تسمعه قالت :

ـ كنت قاسية ·· لم أندم فى حياتى على شىء مثل هذه الكلمات التى قلتها لها ··

وسكتت ثم همست :

ـ ماتت ·· بعد زواجى بعام واحد ··

وانتظرت مرة أخرى أن يقول يوسف شيئا ، كأنها تريد منه أن يخرجها من دوامة الذكريات التى غرقت فيها ، ولكنه ظل محتفظا بصمته ·· فالتفتت اليه قائلة :

ـ مالك ساكتا ··

قال فى انفعال مكتوم :

ـ لا شيء ٠٠

ـ ألا تقول شيئا ؟

وقبض يديه واتكأ بذقنه عليهما وقال :

ـ لا أدرى ماذا أقول ٠٠ هناك شيء واحد أريد أن أصنعه ٠

ـ ماهــو ؟

ـ أن أجعلك سعيدة ٠٠

وتنهدت فى سخرية قائلة :

هيه ٠٠ سعيدة ؟

قال وهو يرفع صوته من الانفعال :

ـ كما كنت سعيدة فى رحلتك الى كوبنهاجن ٠٠ لم تحدثينى عن هذه الرحلة ٠٠

قالت فى أسى:

ـ كانت أحد مشروعاتنا فى الجامعة ٠٠ وأنا فى السنة الثالثة ٠

وقاطعها يوسف :

ـ ولكنك عــــرفت يلمار فى السنة الثانية أيام مشروع « دوموس » ٠٠

فقالت له :

ـ أوه ٠٠ لا ٠٠ لم أعرفه فى تلك السنة ٠٠ لقد عدت الى مشروع « دوموس » مرة ثانية وأنا فى السنة الرابعة ٠٠ وفى هذه المرة عرفته ٠٠

ـ آه ٠٠

واستطردت جوليا تروى له عن رحلتــها فى الدنمرك ، وعادت اليها طفولتها ، وحرارتها الصبيانية ، وهى تصف ملابسها الزرقاء وقبعتها الزرقاء ، كانت جميع الطـــالبات يرتدين زيا موحدا وجميع الطلبة يرتدون القمصـان الزرقاء والقبعات الزرقاء أيضا وكانوا يجتاحون شوارع كوبنهاجن كقطعان الماشية ، ويغزون الدكاكين ودور السينما ، ولم يكن يضايقهم شيء سوى أنهم لا يستطيعون الســـهر بعد منتصف

الليل فى مدينة مثل كوبنهاجن اعتاد سكانها السهر حتى الصباح .

وسرحت جوليا وعلى شفتيها ابتسامة ، وفى عينيها خيال تعيش فيه .. وقالت فى صوت شارد :

ـ قلت ليلمار أن نمضى شهر العسل فى الدنمرك ، وأطلعته على صحيفة بها اعلان عن فندق اسمه « كريستى برلى » بالقرب من قصر « السينور » الذى عاش فيه هاملت .. ولكنه كان مرتبطا بعمله ، ولم نذهب الى هناك أبدا ..

وردد يوسف اسم الفندق هامسا كأنه يريد أن يحفظه :

ـ كريستى برلى .. كريستى برلى .. هل لهذا الاسم معنى خاص ..

فأومأت برأسها أن نعم ، وقالت بصوتها الشارد ، وعيناها ما زالتا تعيشان فى الخيال ..

ـ معناه .. شاطىء اللؤلؤ ..

فمد يده ووضعها على يدها .. قال كأنه يقسم على كتاب مقدس :

ـ جوليا .. سأذهب معك الى هناك .

ونظرت اليه فى دهشة وتأثر وسألته بصوت خفيض :

ـ صحيح .. أتعنى ما تقول ..

ـ سنذهب غدا ..

ـ هل هناك شىء يبقيك هنا ..

ـ لا

ـ ولا أنا .

وانتهت ثرثرتهما بهذا القرار الذى اتخذاه ، فنهضا من السرير وكان الصبح قد جاء ، واندفعا يعدان حقائب يوسف ويسألان عن موعد قيام الطائرة ..

ولحقا بطائرة الثانية عشرة .. قامت الطائرة فى نفس الوقت الذى دخل فيه « انكستر » فندق أركاديا ، ليسأل موظف

الفندق عن « مستر يوسف منصور » الذى سيصحبه فى زيارة لمصانع الورق ..

وقدم المؤلف لـ « انكستر » رسالة كتبها يوسف على عجل يعتذر فيها عن الرحلة ، لاضطراره الى السفر الى الدنمرك فى مهمة عاجلة سيعود منها خلال أيام ..

تحركت سيارة الأتوبيس تقل ركاب الطائرة الى مدينة كوبنهاجن ، وشيئا فشيئا بدأت الشوارع تمتلىء بالبيوت والناس ، وراود يوسف احساس غريب بأنه يدخل مدينة خيالية ، من تلك المدن التى يصفونها فى قصص الأطفال .. البيوت مهما كبرت ، فيها مسحة من الصغر . كأنها بيوت أقزام ، كأنها بيوت تسكنها دمى ، ومعروضة خلف فترينة فى دكان لعب أطفال ، ربما لأنها بيوت نظيفة جدا ، وربما لأن نوافذها مليئة بالورد والأزهار عرضها السكان خلف الستائر ، لتزين البيت من ناحية الشارع ، لا من الداخل .. والشوارع أيضا رغم اتساعها ، تبدو ضيقة ، والناس والعربات وكل شىء منمنم صغير دقيق فيه حلاوة الطفولة .

ولاحظت جوليا أن يوسف لا يحول عينيه عن نافذة الأتوبيس .. فسألته فى لهفة :

ـ هيه .. ما رأيك ؟

ـ انها ليست باريس ..

قالت فى جزع :

ـ ألا تعجبك ؟

ـ انها أجمل من باريس ..

ولمعت عيناها بالسرور وقالت له فى مرح :

ـ هذا ما كنت أقوله لنفسى .. دون أن أرى باريس .. أنهم فى بلدنا يسخرون من اعجابى بالدنمارك .. ولكنهم متحيزون .. منذ أن انفصلت السويد عن الدنمارك ، والناس فى كلا البلدين بينهم حزازة لا تزول ..

فقال يوسف وهو واثق من اكتشافه :

ـ انى أعرف سبب اعجابك بهذه المدينة .. انها كمدينة للأطفال ..

فنظرت اليه فى دهشة ثم ضحكت قائلة :

ـ تقصد أنى طفلة .

ـ تقصد أنى طفلة

قال فى حنان :

ـ نعم أنت طفلة لا تشعر بالحزازة التى يشعر بها الكبار ..

ووصل بهما الأتوبيس الى ميدان فسيح ، ووقف أمام مكتب شركة الطيران ، واستلما حقائبهما ، وأوقفا تاكسى وركباه .

وخاطبت جوليا سائق التاكسى ، وأعطته عنوان فندق .. وقد تركها يوسف تتصرف كما تشاء ، حتى وصل بهما التاكسى الى فندق ضـــخم مبنى على طراز حديث ، يختلف عن بقية مساكن المدينة ..

ونظر يوسف الى مدخل الفندق مترددا ثم سألها فى قلق

ـ يبدو أنه فندق غالى الثمن ..

فصاحت فى حماس طفلة :

ـ سنقضى فيه ليلة واحدة قبل أن نذهب الى كريستى برلى

وبدأ يوسف يراجع فى عقله ما معه من نقود .. كل ما معـــه مائة وخمسون جنيها ، وعاد ينظر الى الفندق ، والى الحمال الرشـــيق الذى أقبل يحمل حقائبهما ، وهو خائف أن تتبخر نقوده فى ليلة واحدة فى هذا الفندق ..

ولكن هل هذه هى المشكلة الوحيدة التى تجاهلها .. هناك عشرات المشاكل الأخرى قد نسيها تماما من اجل جوليا .. فليدخل الفندق وليكن ما يكون .

ومرة أخرى وجد يوسف نفســه يتذكر حياته كلهـــا ، وهو يملأ اســتمارة الفندق ، اسمه ، وســـنه ، وتاريخ ميلاده .

وجنسيته ومدة اقامته ·· كلها حقائق تصرخ فيه ·· وتجعل القلم يرتعش ، وهو يكتبها بخط يده ، ومرة أخرى تذوب الحقائق وتختفى وهو يسمع صوتها تقول له :

– أتدرى لماذا اخترت هذا الفندق ·· لقد وقفت أمامه مع شلة من الطلبة بزيها الأزرق ، نقارن بينه وبين المعسكر الذى نبيت فيه ·· كنت وقتها أريد أن أكبر بسرعة وأحصل على المال ، وأحضر الى هنا ، وتكون لى غرفتى الخاصة · وأدخل وأخرج من باب الفندق ، كالناس الذين أراهم يدخلون ويخرجون ··

وابتسمت فى وجهه تشجعه على الابتسام ، ولكنه ظل محتفظا بوجه فيه ملامح التفكير ·

كانت مشكلة النقود لا تزال مختبئة فى رأسه ··

وقالت له :

– لا تخش النفقات ·· فمعى نقود كثيرة ··

وشعر يوسف بخجل شديد ، واحمر وجهه ، وقال وهو يبتسم فى انفعال وبلاهة :

– أبدا ·· ان معى نقودا كافية ·· لا تخشى شيئا ··

وأحس ببلاهته ، وأنه يحاول أن يطمئن نفسه ·· لا يطمئنها هى ··

وكانت غرفتهما واسعة ، فيها سرير مزدوج ، ولها نافذة كبيرة تشغل حائطا بأكمله ، وتطل على سقوف بيوت مدينة الدمى ·· كان المنظر من النافذة رائعا ، كانهما عملاقان وحيدان يشرفان من مكان علوى على مدينة للأقزام ·· وملأ المنظر قلب يوسف بالثقة ·· وتبخرت من رأسه مشكلة النقود ، وكانه صدق فعلا انه عملاق ··

www.library4arab.com/vb

الفصل الخامس

www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

النوم

الفصل الخامس

لا يزور الجفون في ليالي كوينهاجن ·· كل الناس ساهرون وكأنهم في مصنع كبير لانتاج المرح ·· ينتجون الضحكات والنكات ·· في حماس ونشاط ، ويرقصون حتى الصباح ·· وفي نادي البجعة ، قضى يوسف وجوليا

وفي نادى البجعة ، قضى يوسف وجوليا ليلتهما ، جلسا على مقعدين عاليين أمام « البار » يشربان الاكوافيت وقد قررا أن يغيبا عن وعيهما من الشراب ، وسط جمهور صاخب ضاحك وأوركسترا تعزف التشاتشا بلا انقطاع ·

كان البارمان قد ترك أمامهما زجاجة أكوافيت كاملة ، شربا نصفها ، حتى لعب دورا لذيذ برأسيهما ، وفقدا سيطرتهما على الضحكات التى يطلقانها بلا سبب مفهوم ·

وأحس يوسف بأنغام التشاتشا تتحدث الى شيء مجهول في نفسه لا يستطيع ترجمته الى معان واضحة أحس كأنه يطفو على سطح سحابة فى فضاء واسع ·· من أين جاء ، والى أين هو ذاهب ·· هذا لا يهمه ·· انه راض بما هو فيه ، سعيد بالأضواء الخافتة من حوله ، وبهذا البريق الذى ينعكس من كأسه ·· وبهذه اللمعة فى عيني جوليا ·· والحمرة النضيرة في وجنتيها ·· والعطر الذى يفوح منها ·· كانت النشوة تنطلق منه ، كدخان السجائر الذى ينطلق من الأفواه، وكأنغام الموسيقى التى تمرح فى المكان ··

وحاول يوسف أن يثبت عينيه في عيني جوليا ·· كان كل شيء أمامه يهتز ويرقص ، حتى عيناها ، ورفع صوته كأنه يخطب ، وكأنه يفهم ما يقول ، وصاح بلسان متلعثم والضحكات تنساب مع كلماته ··

ـ لا أدرى هل انا الذى يضحك أم هم الذين يضحكون ..
قالت جوليا وهى تميل برأسها عليه وتطوق عنقه بذراعها :

ـ أنت سكران يا حبيبى
قال وهو يحاول عبثا أن يسيطر على ضحكاته :

ـ انا السكران .. أم هم السكارى ..
قطبت جوليا جبينها كأنها تفكر فى مشكلة عويصة ، ثم ضحكت فى بلاهة ، وصاحت مع الأوركسترا :
ـ تيكيلا ..

وألح يوسف كأن الاجابة على سؤاله مسألة حياة أو موت .
ـ أنا السكران .. أم هم السكارى ..
قالت وهى تضحك ..
ـ هذا سؤال صعب ..
قال فى عناد طفل :
ـ ولكنى أريد أن أعرف ..
فالتفتت جوليا الى رجل طويل جدا نحيف جدا يجلس الى يسارها وقالت له :
ـ هنا مشكلة خطيرة يا سيدى هل يمكنك أن تساعدنا فى حلها ..

فابتسم الرجل ووضع الكأس الذى فى يده أمامه وقال :
ـ بكل سرور يا سيدتى .. ما هى المشكلة ؟
قالت جوليا وهى تشير الى يوسف ..
ـ أهو سكران أم الآخرون هم السكارى ..
فأجاب الرجل على الفور ..

ـ الآخرون هم الذين يسكرون دائما ..
والتفتت جوليا الى يوسف فى فرح وقالت وكأنها عثرت على اكتشاف عظيم ..

ـ هم السكارى يا حبيبى ..
ثم صاحت مرة أخرى مع الأوركسترا ..
ـ تكيلا ..

ومدت يدها الى ذراع يوسف قائلة:
ـ قم لنرقص ..

فقام وراءها ، وذهبا الى « البيست » ووقفا بين الراقصين لا يتحركان ، وقد غابا فى عناق طويل .. وأحس يوسف بقلبه يختنق بين صدرها ، ورموش عينيها تداعب خده ، ورموش عينيه تمتزج بخصلات شعرها .. ولم يعد يحتمل ما يشعر به من حب نحوها ، كان كل ما فيه يتألم ، قلبه ورأسه وعيناه ، فهمس فى أذنها والكلمات تخرج من فمه كأنها قطع من جسده قد احترقت بلهيب الحب .. همس ..

ـ جوليا .. أتعلمين ماذا أريد أن أفعل الآن .. أريد أن أصبح وسط جميع هؤلاء الناس وأقول لهم انى أحبك .. ما رأيك لو وقفت فوق البار وقلت لهم انى أحبك ..

وكانت تجيبه بذراعيها .. تضغط بهما على عنقه وكتفه فيزداد حبه .. يزداد ألمه .. ويستمر فى همسه :

ـ أو أركع عند قدميك ، هنا وسط البيست ..

وشعر بأصابعها تلامس أذنه وتفركها ف عصبية ، فهمس وقد قفز قلبه الى حلقه .

ـ انى أحبك بجنون .. جوليا .. انى أتألم ، أريد أن أبكى ..

وسمعها تهمس وهى تتشبث بعنقه ..

ـ لا تقل هذا ياحبيبى .. لا أريد لك أن تتألم ..

ـ لو قلت لك شيئا .. أتصدقينى ..

ـ نعم أصدقك ..
ـ كل ما أقوله ، كل ما أفعله معناه أنه أحبك .. لو ركبنا

التاكسى وقلت للسائق اذهب بنا الى الفندق ، فأنا أقول له أنا أحبك ·· لو طلبت من البارمان زجاجة أكوافيت ،فأنا أحبك ، لو سألت أحدا كم الساعة فأنا أحبك ·· أى شىء فى الوجود هو أنا أحبك ، وأنا نائم أحبك ، وأنا صاحى أحبـك ·· وأنا أتكلم فى صفقة الورق أحبك ·· وأنا أتنفس أحبك ·· وأنا أدخن أحبك ·· الموسيقى التى أسمعها تقول أنا أحبـك ·· محركات الطـائرة هذا الصـــباح كانت تقول أنا أحبك ، لو ابتعدت عنك مترا ·· أنا أحبك ·· لو تشـــاجرت معك فأنا أحبك ، لو بقيت حيا فلأنى أحبك ·· ولو مت فلأنى أحبك ··

وشعر برموش عينيها تبتل على خده ، وصدرها يرتجف فى صدره ، وهمست بصوت فيه بكاء ··

ـ يوهسيف ·· أنا لا أستحق كل هذا ··

ـ ألا تصدقيننى ؟

ـ نعم أصدقك ··

ـ أتحبيننى ؟ ··

ـ أحبك ·· أحبك ·· أحبك ·· وأنت أتحبنى ؟ ··

ـ أحبك ·· أحبك ·· مستحيل أن تعرفى كم أحبك ··

ـ أوه كم أنا سعيدة ··

ـ وكم أنا سعيد ··

ـ لأنى أحبك ؟

ولأنى أحبك ··

ـ سأظل أحبك حتى أموت ··

ـ لن تموتى أبدا ··

ـ وستظل تحبنى ؟ ··

ـ سأظل أحبك الى الأبد ··

ـ حتى وأنا امرأة عجوز ··

ـ سأحبك وأنت فى الثلاثين ، وسأحبك وأنت فى الأربعين

وسأحبك وأنت فى الثمانين .. وسأحبك وأنت فى المائة ..

ـ ولن تفكر في البنات الصغيرات ؟

ـ أنت ابنتى الصغيرة ..

ـ قل لى أنا أحبك ..

ـ أنا أحبك ..

وأبعدت رأسها عنه ، ونظرت فى عينيه ، فى تأثر وعادت تسأله وكأنها تتوسل اليه :

ـ قل لى : أنا أحبك ..

ـ أنا أحبك ..

ودفنت رأسها فى صدره وهى تردد فى انفعال ..

ـ قلهـا .. قلهـا .. لا تكف عن ترديدها .. انى أعيش بهـا ..

وزفر فى حرارة ..

ـ أحبك .. أحبك .. أحبك ..

حتى أسكتته بقبلة فى شفتيه ، ثم جذبته من يده ، وعادت به الى البار ..

وجلسا صامتين ، وعيونهما تتكلم .. وأصـابعهما تتكلم وأنفاسهما تتكلم ، كانت تنظر اليه بفم نصف مفتوح يخرج منه الشوق واللهفة الحبيسان فى صدرها ..

وكان ينظر اليها يريد أن يضعها فى عينيه ..

وتنهدت كأنها تتأوه قائلة :

ـ يوهسيف ..

ـ ماذا ؟ ..

ـ لا شيء .. يا حبيبى ..

ـ تريدين ان تقولى شيئا ..

ـ أريد فقط أن أردد اسمك ..

ـ اسمى ليس يوهسيف ..
قالت فى دهشة كطفلة تصدق كل ما يقال لها :

ـ أوه .. ما اسمك ؟
ـ اسمى جوليا ..
وضحكت فى فرح طاغ وهتفت :
ـ وأنا اسمى يوهسيف ..
ومد يده الى زجاجة الاكوافيت ، وملأ كأسيهما .. وأمسك بكأسه وكان على وشـك أن يقول « حبنا » ثم يشرب الكأس ، ولكنها أسرعت وقالت له :

ـ انتظر .. سأعلمك شيئا .. سأعلمك كيف تقول « سكول » .. امسك كأسك .. ارفعه .. لا .. يكفى أن ترفعه حتى الزرار الثالث من قميصك .. نعم هكذا .. انظر الى ، قل لى بعينيك انك تحبنى .. انك تريدنى .. أوه ، عيناك جميلتان ياحبيبى .. والآن ارفع الكأس الى فمك .. لا .. ارفعه وانت تنظر الى ، لا تحول عينيك عن عينى أبدا .. اشربه وعيناك فى عينى ..
ورفع يوسف كأسه الى فمه وشربه من عينيها ، وشربت كأسها من عينيه ، حتى أفرغا كأسيهما ، فقالت له :
ـ والآن اخفض كأسك الى صدرك .. الى « الزرار » الثالث من قميصك .. أوه .. لا تحول عينيك عن عينى أبدا .. برافو .. هذه هى « السكول » ..
وسألها يوسف وهو يملأ كأسيهما من جديد :
ـ أتشربين هكذا مع الجميع ؟
ـ نعم ..

ـ وينظرون فى عينيك ؟
ـ نعم .. هذه هى « السكول » ..
فقال فى ضيق مفاجىء :

ـ لا أريد أن ينظر أحد اليك مثلي ..
ـ لا أحد ينظر الي مثلك ..

ـ كيف ينظرون اليك ؟
فقالك ضاحكة :
ـ أوه .. أنت غيور ..
وأصر على سؤله وهو يحس بتعاسة :
ـ كيف ينظرون اليك ؟
قالت ضاحكة وهى لا تدرك كم هو تعيس :
ـ لو رأيت أبى وهو يشرب « السكول » لظننت أنه جنرال في الجيش ..
وصدقها ..

تذكر يوسفلت ، وهو يقول له « سكول » ويحنى رأسه ناظرا اليه فى جفاء كأنه قائد عسكرى .. وتذكر الشاب السويدى الذى كان يطلب الفتاة للرقص فى حدائق « سوليدن » لقد انحنى أمامها فى خشوع وأدب .. انها لا تكذب .. السويديون جميعا ينظرون فى وقار .. انها صادقة ..
لا أحد ينظر اليها مثله ..

ودهش يوسف من نفسه ، لماذا يفكر على هذا النحو الغريب ، لماذا بدأ يحقق فى كذبها وصدقها ، أمن الممكن أن يشك فى حبها له .. مستحيل .. لقد تركت بيتها وزوجها وأهلها وبلدها من أجله ..

وشعر بالندم ، وبرغبة جارفة فى الاعتذار لها ، لقد أساء اليها والذى يزيد من تعاسته أنها لا تدرى أنه أساء اليها .. انها لا تعرف ماذا جال فى خاطره الآن ، كل ما قالته فى براءة طفلة أنه غيور .. قالتها وهى لا تعنى ما تقول .. يجب أن يكون حذرا ، فلا يسىء اليها مرة أخرى ، فمن يدرى ، ربما اكتشفت الاساءة يجب أن يكون مخلصا لها حتى فى الهواجس

التى تطوف برأسه ولا تعرف هى عنها شيئا ··

واحست جوليا أنه ابتعد عنها فسألته :

ـ فيم تفكر ؟

فاحتار ماذا يقول لهـا ·· وتذكر فجأة العروســة التى اشتراها لها ، فقال بسرعة :

ـ لقد اشتريت لك عروسة ··

ـ عروسة ·· متى ؟

ـ فى استوكهولم ··

ـ أين هى ؟

ـ لا أدرى كيف نسيت أن أعطيها لك ··

ـ وأين هى ؟

ـ كانت فى لفافة فى غرفتى بأركاديا ·· أخشى أن أكون قد نسيتها هناك ··

قالت فى اطمئنان :

ـ لا ·· لقد وضعت كل شىء فى الحقائب ·· سـأجدها عندما نعود الى غرفتنا ·· ما شكلها ؟

ـ كبيرة ··

ـ أوه ·· واشتريتها لى ··

فأومأ برأسه أن « نعم اشتريتها لك » وهو يعجب بينه وبين نفسه ، لماذا تذكر العروسة الآن ، وكيف نسيها طوال الفترة السابقة ، ثم تذكر أنه اشترى العروسة ، ليقدمها لها كهدية قبل سفره لزيارة مصانع الورق · وقد اعتزم ألا يراها ثانية وأحس من جديد بأنه ارتكب ذنبا كبيرا ·· كيف فكر فى أن يتركها ·· آه لو تعلم ·· آه لو يستطيع أن يعترف لها بذنوبه فتغفر له ·

وعادت جوليا تلح عليه بالأسئلة :

ـ ولكن متى اشتريتها ؟

قال فى أسى :

ـ يوم انتظرتك فى الحديقة ..

وظهر الألم على وجهها وقالت فى حزن :

ـ أوه .. تصور انى لم أحضر ذلك اليوم ..

وأراد أن يتخلص من ذكرى العروسة وما حدث ذلك اليوم ، فرفع كأسه وقال باسما :

ـ سكول ..

وشربا كأسيهما وعيونهما فى عناق ..

وقالت جوليا وهى تضع الكأس أمامها :

ـ لقد آلمتك ذلك اليوم .. هل تغفر لى ؟ ..

قال وهو يوشك أن يعترف لها :

ـ هل تغفرين أنت ؟ ..

فقالت فى صدق وهى تظن أنه يفكر فى أى شىء آخر :

ـ انى أستحق ما فعلت .. كان يجب أن تضربنى ..

فهمس بصوت مبحوح وكأنه يكتم صرخة فى صدره :

ـ لا تذكرينى .. كلما تذكرت هذا تمنيت أن أموت ..

وانزعجت للتغيير الذى حدث له ، لم تكن تدرى أن كل هذه الانفعالات فى داخله ، فسكتت برهة وقد أطرقت برأسها ، ثم رنت اليه بعينيها وسألته فى سذاجة :

ـ مازلت تحبنى ؟

فابتسم وجهه ، ونسى كل شىء ، وقال فى لهفة :

ـ كل ما أقوله معناه انى أحبك ..

ـ ولكنك تحبنى الآن أقل ..

ـ أحبك أكثر ..

ومالت عليه وقبلته فى شفتيه ، وما كادت ترفع رأسها عن وجهه ، حتى صاح الرجل الطويل النحيف الذى يجلس الى يسارها ..

ـ سيدتى .. أنا أيضا فى مشكلة ..
فالتفتت اليه وقالت ضاحكة مرح قلبها :
ـ أنت أيضا ..
قال الرجل وهو ينهض من مقعده وينحنى أمامها :
ـ انى أجلس وحيدا منذ ساعتين ، فهل تسمحين لى بالرقص معك ..
فهتفت فى مرح :
ـ يجب أن أحل مشكلتك كما حللت مشكلتنا ..
والتفتت الى يوسف ، وغمزت بعينيها ، وتقدمت الرجل الذى انحنى الى يوسف ثم تبعها الى « البيست » ..
ولم يستطع يوسف أن يتبعهما بعينيه ، ولم يفهم كيف حدث هذا فجأة ، وشعر بانقباض حاد فى صدره ، وكان الرجل الغريب قد انتزعها منه ، وانتزع معها قلبه ..
أحس بوحدة هائلة ، وبغضب ينمو ويتضخم فى عروقه ، ولا يستطيع أن يسيطر عليه ، غضب عليها ، وعلى نفسه .
فأطرق برأسه يحاول أن يكبح جماع مشاعره ..
ولا البارمان اطراقه فاقترب منه بوجه بشوش وقال له :
ـ لماذا لا ترقص يا سيدى ؟
فرفع يوسف عينيه فى حيرة ..
وأشار البارمان الى الموائد المنتشرة حول البار قائلا :
ـ عشرات السيدات الجميلات يجلسن فى انتظار أن يرقص معهن .. رجل مثلك ، شعره أسود ..
وتلفت يوسف حوله فى ارتباك .. فرأى جوليا تراقص الرجل الطويل النحيف ، فحول عينيه عنها الى الموائد حيث تجلس نساء شقراوات مع رجال شقر ، ثم التفت الى البارمان وقال فى ارتباك :
ـ كلهن مشغولات بالحديث ..
فهتفت البارمان :

ـ لا يهمك يا سيدى .. أنت في كوبنهاجن .. تستطيع أن تطلب أية امرأة للرقص ، حتى ولو انتزعتها من بين ذراعى عشيقها ..

وبدأ الخجل على يوسف ، ان ما يقوله البارمان هو ماحدث له فعلا ، فقد انتزع الرجل النحيف جوليا من بين ذراعيه ، وقال معتذرا للبارمان :

ـ أفضل أن أجلس ..

فهز البارمان كتفه مستغربا وقال :

ـ كما تشاء يا سيدى ..

ثم سأل يوسف ، وكأنه يريد أن يسليه بالحديث حتى تعود اليه جوليا :

ـ سيدى قادم من أين ؟ ..

ـ من استوكهولم ..

ـ استوكهولم .. ولكن سيدى ليس سويديا ؟

فابتسم يوسف وقال :

ـ من جمهورية مصر العربية ..

فنظر اليه البارمان ، وكأنه ينظر الى أسطورة ، وهتف :

ـ انى أعرف بلدكم .. أخى يحدثنى عنه كثيرا .. انه بحار يمر بقناال السويس ..

وأحس يوسف بدوار لكلمات البارمان .. كأنه يطل على مكان بعيد سحيق لا قرار له .. أين هو من قناال السويس .. والقاهرة ومكتب الاستيراد والتصدير .. والصفقة التى تركها فى استوكهولم .. انه بعيد ، بعيد جدا عن كل شيء ..

ـ أرجو أن تبقى معنا بعض الوقت يا سيدى ..

ووجد صعوبة كبيرة فى فهم كلمات البارمان .. يبقى ؟ .. يبقى أين ؟ .. هنا فى كوبنهاجن ؟ وماذا بعد ذلك .. الى أين يذهب ؟ .. آه فى الصباح سيذهب الى « كريستى برلى » .. وبعد ذلك الى أين ؟ ..

واختلطت الصورة فى رأسه ·· وبذل جهدا هائلا ليركز أفكاره ·· وليعرف أين سيذهب بعد كريستى برلى، فلم يستطع ·· وأيقن أنه سكران ··

وتساءل كيف يحتفظ بنفسه فوق المقعد العالى ، أية معجزة تمنعه من السقوط على الأرض ، فأنحنى الى الأمام خائفا من السقوط وكوم رأسه على البار ··

وسمع البارمان يسأل فى جزع :

ـ مالك ياسيدى ··

ولم يقو على الاجابة ، ولم يعد يرى البارمان ، ولا يسمع سوى طنين فى رأسه ، وقد غام كل شىء فى عينيه ، ثم أحس بيد ترفع رأسه ·· وصوت البارمان يقول كلاما غير مسموع ، وشراب غريب ينسال من حلقه الى جوفه ·· ثم عاد وكوم رأسه على البار ، وصرخة خرساء تدوى فى داخله ، وتهتف · جوليا ·· أين جوليا ؟ ·· لماذا تتركنى هكذا ؟ ··

وسمع صوتها ·· كأنها جاءت تلبى نداءه الصارخ ، كانت تسأل البارمان فى لهفة :

ـ ماذا حدث له ··

وشعر براحة لأنه سمع صوتها وشعر فى نفس الوقت برغبة عنيدة فى أن يظل كما هو ، نائما برأسه على البار ··

وقال البارمان :

ـ لا شىء ·· سيفيق حالا بعد أن يشرب قدحا من القهوة··

قالت جوليا :

ـ احضر قدحين ·· فأنا أيضاً فى حاجة الى أن أفيق ··

وربتت كتفه يوسف وهمست :

ـ يوهسيف ·· انهض لتشرب القهوة وتعود الى البيت ··

وكاد يرفع ويصحح لها خطأها ·· انهما عائدان الى الفندق لا البيت ·· ولكنه استسلم لهذا الشعور بالعناد ·· ورفض حتى أن يجيب عليها ··

وارتفعت من حوله أصوات تتكلم بلغة أهل البلد ، وسمع بعضهم يضحك ، والبعض الآخر يتكلم فى صوت وقور ، ثم فوجىء بالأصوات تتبادل الحديث مع جوليا بتلك اللغة غير المفهومة ·· لاشك أنهم يسألونها عنه ، وربما كانوا يسخرون منه ، ومن عدم احتماله للاكوافيت ·· وضايقه أن يتحدثوا عنه ولكنه صمم مع ذلك على أن يظل نائما برأسه فوق البار ، حتى سمع ضحكات عالية ، فرفع رأسه رغما عنه ، وفتح عينيه وقد اعتزم أن يبدو وقورا وأن يثبت للجميع أنه ليس سكران ·

وتلفت حوله ، فوجد العيون كلها تنظر اليه ، فواجهها بغير خوف ، وقد تملكه شعور بالكبرياء وقدمت له جوليا فنجان القهوة ، وهى ممسكة به ، تريد أن تقربه من فمه ليشرب منه فرفض أن يشرب بهذه الطريقة ، وأخذ الفنجان منها بيد ثابتة ورشف من القهوة على مهل ··

وبعد أن فرغ من القهوة ، قالت له :

ــ هيا بنا ··

فنظر اليها فى وجوم وسألها ··

الى أين ؟ ··

ــ الى الفندق لتستريح ··

قال فى صوت حاد :

ــ لا أشعر بتعب ·· أريد أن أرقص ··

فنظرت اليه فى تردد ، وهى واثقة أنه سكران ، وقالت ··

ــ ولكنى متعبة ·· وأريد أن أستريح ··

فقاطعها فى صوت خفيض حاسم وكأنه يصدر أمرا لايقبل المناقشة :

ــ لابد أن أرقص معك ··

وقام من مقعده ، وأمسك بيدها ومضى بها الى « البيست »،

ودار بها دورتين ، فشعر بالأرض تتأرجح من تحت قدميه ، ورآها تنظر اليه فى حيرة ·· وأدرك انه يقسو عليها وأنهـــا تحتمله رغم كل شىء ·· فتوقف عن الرقص ·· وقال لهـــا يائسا بصوت مفعم بالاعتذار :

ـ جوليا ·· خذينى الى البيت ··

ثم عاد وقال :

ـ آسف ·· أقصد الفندق ··

وجلسا فى التاكسى ، وقد طوق خصرها بذراعه ، وضمها اليه كأنها كنز ثمين يخشى أن يفقده ·· فاستسلمت له صامتة ·· ومر بيده على شعرها وهمس :

ـ آسف ··

وانتظر أن تقول شيئا ، ولكنها ظلت صـــــامتة ·· فقال معتذرا :

ـ لن أضايقك مرة ثانية ··

همست وهى تتنهد :

ـ لم تضايقنى ··

فقال فى تأكيد :

ـ لا تنكرى ·· لقد ضايقتك ··

ـ ولكنك لم تفعل أى شىء يضايقنى ··

ـ أحرجتك أمام الناس ··

ـ أبدا ··

ـ ماذا كانوا يقولون عنى ··

ـ لا شىء ··

ـ سمعتك تتكلمين معهم ··

ـ كانوا يسألوننى من أنت ؟ ·

ـ وماذا قلت لهم ··

ـ قلت لهم انك من مصر ··

ـ وماذا قالوا ··

وسكتت .. فعاد يسألها :

ـ ميه .. ماذا قالوا ..

فعبثت أصابعها برباط عنقه .. وقالت :

ـ عرفوا أن هذه أول مرة تشرب فيـــها الأكـوافيت .. ولاموني لأني تركتك تشرب كل هذه الكمية ..

ـ ألم يسخروا مني ..

ـ أبدا .. لماذا يسخرون ..

ـ سمعت ضحكاتهم ..

ـ كانوا يضحكون مني .. انا

ـ أنت ؟ ..

ـ لأني سكرانة مثلك .. وأحاول أن أبدوا في كامل وعيي.

ـ ألم أقل لك اني ضايقتك ..

ـ كان لابد أن يتظاهر أحدنا بأنه في وعيه ..

ـ هذا ما كان يجب أن أفعله أنا ..

فجذبت رباط عنقه ، ورفعت اليه عينين باسمتين ، واقتربت بشفتيها من شفتيه وقالت وهي توشك أن تقبله ..

ـ الدور عليك في المرة القادمة .

قال بعد أن قبلها :

ـ لن أسكر مرة ثانية ..

فنظرت اليه في حنان .. وقالت في فرح :

ـ طفلي الكبير أصبح عاقلا ..

وقبلته قبلة طويلة ، ولم تنزع شفتيها عن شفتيه حتى وقف التاكسي أمام باب الفندق ..

وكان أول شيء فعلته عندما دخلا الغرفة ، هو بحثها عن العروسة ووجدتها في الحقيبة المغلقة . وأمسكت بها بين يديها ، ورقصت بها وسط الغرفة ، وقبلتها ، واحتضنتها ، وصممت على أن تنام الى جانبهما في السرير ..

www.library4arab.com/vb

الفصل السادس

www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

جاء الصباح ، فحزما حقائبهما ، استعدادا للسفر الى كريستى برلى .. شاطىء اللؤلؤ .. أفاقا من حلم الليل ، لينطلقا الى حلم النهار ، الى ذلك المكان الذى تمنت جوليا أن تراه منذ سنوات ..

الفصل السادس

الأمنيات لا تتحقق الا فى يوم كأيام العيد ، ويوسف يشعر هذا الصباح وكأنه فى يوم عيد ، وشعوره بالعيد أعمق من شعور طفل يرتدى الثياب الجديدة ، ويلهو باللعب الجديدة ، انه يحس وكأن كل شىء فيه جديد ، عقله جديد ، وجسده جديد وحياته جديدة ..

بالأمس شرب الاكوافيت ، حتى غاب عن وعيه ، وغسل كل شىء قديم فى نفسه ، أذاب الشراب ، ماضيه وذكرياته ..

بالأمس اكتشف أن الشىء الوحيد الذى بقى فى أعماقه ، هو حبه لجوليا ، حاجته اليها ، رغبته فيها ، ليضعها فى قلبه ، وفى عينيه لتكون قطعة منه .. بالأمس ولد من جديد .. تحول الى مخلوق آخر ، يجرى فى عروقه دمها مع دمه ، تمتزج فى صدره أنفاسه مع أنفاسها ، تتعانق فى عقله أفكارها مع أفكاره ..

فرغ يوسف من ارتداء ملابسه ووقف بالقرب من النافذة ، ينتظر حتى تفرغ جوليا من وضع زينتها وسرح ببصره عبر الزجاج الى المدينة .. ان الحب الذى يجتم فى صدره أكبر من هذه المدينة ، وأكبر من الأفق البعيد الذى يحيط بها ، وأكبر من السماء التى تطل عليها .

انه يحب ، ولا يحتمل كل هذا الحب ، وهو فى لهفة الى الخروج من الغرفة والسفر الى « كريستى برلى » حيث ينعزلان عن الناس ، ويجد فضاء أوسع يطلق فيه كل ما يحبسه فى صدره من حب ، انه يضيق بهذه المدينة الصغيرة . مدينة الأطفال .. انه يريد أن يقف على شاطىء بحر كبير ..

كيف أصبح عاشقا الى هذا الحد ، الى هذا الجنون ، انه لا يدرى عقله عاجز عن التفكير ، عقله لم يعد عقله ..

وسمع صوتها :

ـ يوهسيف ..

حول بصره عن المدينة والأفق البعيد .. ونظر اليهـا ، فوجدها تبتسم له ، كانت عيناه تغوصان فى أعماق عينيها .. عيناها بلا أفق ، بلا حدود .. عيناها عميقتان ، تجذبانه الى ما وراء الأفق ، وما وراء الحدود ..

ولم يقل شيئا ..

قالت :

ـ سأضع الروج ..

سمعها فى غير فهم .. كانت مشاعره أكبر من أن تحصرها كلمات .. كان حبه هائما لا يستطيع أن يركزه فى فهم ما تقوله له .

قالت :

ـ تعالى .. قبلنى قبل أن أضع الروج على شفتى ..

ذهب اليها كالمنوم ، وقبلها ، ثم رفع رأسه وحملق فيها كأنها أخذت من فمه عقله وذكاءه ..

وضحكت فى سعادة ، فى نشوة .. وفى ذكاء ، وقالت وهى تمد اليه وجهها :

ـ قبلنى مرة ثانية ..

وقبلها ، وظل يقبلها ، حتى دفعته برفق ، وهى تهمس فى انفعال :

ـ لو قبلتنى هكذا ، فلن أضع الزوج ، ولن أخرج من الغرفة ولن نسافر اليوم الى كريستى برلى ..

وتركها ذاهلا ، وعاد الى النافذة .. ولم ينظر الى المدينة ، حدق فى صورته المنعكسة على الزجاج ، نظر الى صورته ، وقال لنفسه : « أهذا هو يوسف .. ركز أفكارك يا يوسف .. أنت لست أنت .. أنت لست يوسف .. يوسف هو ذلك الشخص الذى يطل عليك من زجاج النافذة .. انظر اليه .. تأمله .. راقبه .. أفحصه .. حاول أن تعرف سره .. ما الذى جعله عاشقا .. ما الذى أوقعه فى هذا الغرام .. حاول أن تتذكر .. هناك أشياء نسيتها .

وقطع حديثه الى نفسه ، وقطب جبينه ، وتساءل « ما الذى نسيته ، .. أنا لا أستطيع أن أتذكر أبعد من أمس .. كل ما أعرفه هو انى سكرت ، وقلت لها ، أحبك ، كل ما أعرفه انى معها الآن وانى لن أعيش بغيرها ، وانها تنظر فى عينى وتبتسم وتناديني لأقبلها ، وتطوق عنقى بذراعيها ، وتضمنى الى جسدها وتقول لى .. يوهسيف » .

وضغط على أعصابه ، وحول بصره عن صورته المنعكسة على الزجاج ، الى المدينة الممتدة تحت بصره ، حدق فى السقف ، وفى النوافذ ، وفى الطرقات الضيقة الملتوية ، وفى رؤوس الأشجار ، لعله يتذكر شيئا ..

وتذكر ..

تذكر وهو يسير فى شارع ضيق فى استوكهولم ، بعد أن خرج من بيتها فى شارع برنادوت ، وأعماقه تصرخ « أعطنى فرصة .. اعطنى فرصة » كان وقتها يتألم ، يكاد يموت طردته من بيتها وهى تصرخ فى فزع ، وصلا الى أسوأ ما يمكن

ان تصل اليه علاقة بين رجل وامرأة .. كانت لا تريده ، تمقته ، تنفر منه ، تصرخ ترتعد من لمسة يده ، تبذته ، وألقت به فى الطريق .

فى ذلك الوقت ، يستطيع أن يذهب ولا يعود · يمضى الى حاله وينساها ، ينصرف الى صفقة الورق مع بوسفلت ، ويزور مصانع الورق ، ثم يعود الى بلده ..

ولكنه رفض هذا المصير .. صرخ .. اعطنى فرصة .. اعطنى فرصة . ما هى الفرصة التى كان يريدها .. ما الذى كان يريد أن يفعله ، انه لا يدرى ، كل ما يعلمه . انه كان يريد الا يحدث ما كان ، الا تصرخ فى وجهه ولا تفزع منه ، ولا تطرده الى الشارع .

ثم وقعت المعجزة .. عادت اليه فى الفندق ، ورقدت الى جانبه فى السرير ·· شعر أنها لا تعود اليه فقط ، به تعود اليه ومعها حياته .. ومعها التكفير عن ذنوبه ، ومعها انسانيته .. عادت اليه ، ومعها التصريح له ، بأن يلقى الناس .. جميع الناس ، دون أن يشـــــعر بالذنب ، ودون أن يخشى تصرفاته نحوهم ..

كانت عودتها هى الفرصة التى يتمناها لتعود اليه ثقته فى نفسه ، كانت عودتها هى الضمان الذى يحميه من الانطلاق وحيدا يائسا حزينا فى الشوارع المظلمة ..

وابتســـم ··

تذكرها وهى تقول له : « من بين كل من اعـــــرفهم فى استوكهولم ·· جئت اليك » ·· انه لم يسمع أحدا يقول له هذا من قبل كل الناس لا يجيئون اليه ، انهم ينصرفون عنـــــه ، امه انصرفت عنه ، ماتت وهو فى السابعة من عمره ، وأبوه انصرف عنه ، تزوج ثانية وتركه مع جده ليربيه ، ثم مات أبوه ، ومات جده · الجميع انصرفوا عنه ·· أنهم لا يعودون أبدا ··

تركوه بقسوة .. تركوه بلا رحمة ..

جوليا وحدها عادت اليه ..

« من بين جميع الناس فى استوكهولم · جئت اليك » جعلته كلماتها أقوى من كل الناس ·· أقوى من استوكهولم ·· أقوى من الغربة .. أقوى من الوحدة .. أقوى من الدنيا ..

كلماتها جعلته الها تلجأ اليه ·

وتأمل وجهه من جديد فى زجاج النافذة ، وفزع من هـذا الخاطر الذى انتهى اليه .. اهذا وجه اله .. أهو اله حقا .. الم يفقد عقله حتى يفكر على هذا النحو ..

الم يجن ..

انه يجب أن يفكر بطريقة أكثر اتزانا ، ولكن كيف ·· كيف ·· كيف ·· ان الافكار المتزنة قد ضاعت ، ربما كانت محبوسة فى مكان خفى فى عقله ، لا يدرى كيف السبيل الى الوصول اليه ، انه يعانى من شعور لعين ،، شعور الحرمان من التعبير عن شىء لا يعلم ما هو ..

كل شىء قد تجسد فى عقله وصدره ·· طغى الحب ، ساد الحب ، استولى الحب على كل شىء فيه ، وهو فى حاجة الى بعض الوقت ، وبعض الهدوء .. ربما هناك فى كريستى برلى ، يستطيع ان يفكر باتزان .. هناك بعيدا عن ضجة المدينة ، ولياليها الساهــــرة ..

صخب الليل يمزقه ، ويشتته فى حماقة ..

وســــمع صوتها :

ـــ يوهسيف .. ولا تقف هكذا امام النافذة .. احمـــل معطفك .. وهيا بنـــا ..

كانت فاتورة حساب الفندق متواضعة على عكس ماتوقع يوسف ·· ستون « كرونر » حولها عقـله بسرعة الى خمسة جنيهات مصرية ، ودفعها ..

وقبل أن يغادر شباك الصراف ، فوجىء بجوليا تخرج من حقيبتها ثلاثين «كرونر» وتقدمها له ، فارتبك وهمس في انفعال :

ــ ما هــــذا ؟

قالت :

ــ هذا نصيبى من الحساب ..

فصعد الدم الى وجهه وهمس فى حدة وهو لا يصـــدق ما تفعله :

ــ ضعى النقود فى حقيبتك .. لن آخذها منك ..

وخطا نحو باب الفندق ، مبتعدا عنها ، هاربا من يـــدها الممدودة بالنقود ..

قالت وهى تسرع وراءه ..

ــ يجب أن أدفع نصيبى ..

فهمس فى اصرار دون أن يلتفت اليها :

ــ أرجوك لا تناقشينى فى هذا الموضوع ..

ووصـــل الى الباب ، فاستدار نحــوها .. لينتظر حتى تتقدمه فى الخروج ، فوجدها مازالت ممسكة بالنقود ..

صـــــاح :

ــ لن تجرى ورائى فى الشارع والنقود فى يدك ..

قالت فى دهشة :

ــ ماذا جرى لك ؟

فواجهها فى حزم كأنها ترتكب فضيحة قائلا ..

ــ ما الذى جرى لك أنت .. ضعى النقود فى حقيبتك ..

ورفضت أن تتراجع .. قالت فى تصميم :

ــ انك لن تتحمل كل مصاريفى ..

فتلفت حوله فى قلق .. كان الناس يزحمون بهو الفندق ، ويخرجون ويدخلون من الباب ، ويحومون حولهما ، وخيـــل

اليه أنهم جميعا قد أدركوا طبيعة المناقشة التى تدور بينهما، وشعر بغيظ نحو جوليا ، أنها تفضحه ، وتعلن أمام الناس أنه مفلس لايستطيع أن يتحمل نفقاتها، انها تعلن أنه عاجز فى اللحظة التى يشعر فيها أنه قادر على كل شىء ..

قال فى عصبية :

ـ سأتحمل كل شىء ..

ـ نقودك محدودة .. ستنفذ ..

ـ لا يهمك هـــذا ..

ـ كيف

لا يهمنى ؟!

هتف متوسلا ..

ـ جوليا .. أرجوك .

قالت فى دهشــــة :

ـ انا لا افهمك ..

فصاح وقد نفذ صبره :

ـ ضعى النقود اولا فى حقيبتك .. ثم نتناقش ..

ووضعت النقود فى حقيبتها ، وهى تنظر اليه فى عجب ، ولا تفهم مغزى انفعاله ..

وخرج من الباب دون أن ينتظرها حتى تتقدمه ، كأنه يريد التخلص من المناقشة بالابتعاد عنها ، ووجد تاكسى ينتظـــر وقد وضع حمال الفندق حقائبهما فى داخله ، وقف ينتظـــر البقشيش . فمنحه بعض النقود ، والتفت الى جوليا يدعوها الى الركوب ، ولكنها وقفت لا تتحرك وفى عينيها غضب وقالت فى حـــدة .

ـ لن أركب قبل أن تفسر لى تصرفك هذا ..

قال وهو يشعر بتحد لغضبها :

ـ أفسر لك أى شىء ؟!

— أتظن أنى أرضى بهذا ..

— ماذا تعنين ؟

— أن تدفع الى نفقاتى .

قال فى ثقـــــة :

— لن أقبل غير هذا ..

صرخت فى وجهــــه :

— مــــاذا ؟

قال فى هـــدوء ..

— انت معى .. وانا الرجــــل ..

وبدا على جوليا أنها صدمت بشىء لم تكن تتوقعه ، فتحت فمها لتقول شيئا ، ثم ضاقت عيناها وظهرت الحيرة فى وجهها .. وفجأة أشرق وجهها بابتسامة ، وكأنها فهمت كل شىء ، أدركت شيئا غاب عنها ، وتحولت الابتسامة الى ضحكة ، ثم قهقهة عالية ، حتى كادت الدموع تطفر من عينيها ، وقالت بصوت متقطع بالضحكات :

— أوه .. ما أسعدنى .. أوه .. أسعد امرأة فى السويد .. من كان يظن أن هذا سيحدث لى .. اعذرنى .. لقـــد نسيت أنك من الشرق .. نسيت انك الرجل .. السيد الآمر .. وانى جاريتك .. نسيت أنك القـــوى الذى يحمينى .. وأنا الضعيفة المحتاجة الى حمايتك ..

وعجزت عن مواصلة الكلام ، كانت تضحك من قلبها ، وبكل أعصابها ، وجسمها يتمايل بهزة الفرح ..

وارتبك يوسف ، لم يتوقع أن تنتهى مناقشتها الى هـــذه النتيجة ، أدهشه تفسيرها الذى وصلت اليه ، وضـــايقه أنه لا يستطيع انكاره ، لقد تصرف فعلا دون أن يدرى كرجل شرقى لا يتصور أن يأخذ نقودا من المرأة التى يحبـــها . تصرف بغريزته .. بطبيعته .. وقد نسى أنه ليس فى بلده ، وأن هذه

المرأة ليست من القاهرة ، وتمنى لو أنه أخذ منها النقود ، حتى لا يصطدم بهذا الاختلاف بين طباعه وتقاليده ، وطباعها وتقاليدها انه يكره كل ما ينبهه الى وجود اختلاف بينهما ، يود لو لم يشعره شيء بوجود هـذا الخـــلاف · انهما كيان واحد ، قلب واحد ، مستحيل أن يكون هناك ما يفرق بينهما ، مستحيل أن يكون هناك اختــلاف بين طباعهما ، انه يرفض تفســـيرها ، يرفض ضحكاتهـا ، يرفض أن تظن أنه شرقى يعاملها كسيد وهى جاريته هذا ليس صحيحا ، انها لا تفهمه على حقيقته ، انه ليس شرقيا الى هذا الحد · انه يستطيع أن يفهم ويقدر منطقها وهى تلح عليه فى مشاركته النفقات · هو فى حاجة فعلا الى نقودها ·· انها على حق وهو على خطأ ·

ولكن ماذا يســـتطيع أن يفعل الآن ، فات الأوان ليعترف بخطأه ، وعليه أن يصبر ، وان يحاول مع الوقت أن يؤكد لها أن طبيعته لا تختلف عن طبيعتها ، وأنها أساءت فهمه ··

وركبا التاكسى ، الذى عبر بهما شوارع كوبنهاجن بسرعة، ثم انطلق فى طريق عريض بحذاء شاطىء البحر عن يمينه · وبيوت أنيقة زاهية الألوان عن يساره · كان الطريق هادئا خاليا من الناس والسيارات ، والبيوت مغلقة لا تبدو فيهـا حياة ·· غارقة حتى سقوفها فى ورود وأزهار ، تفوح رائحتها المعطرة ، وتختلط بنسمات البحر الندية ، فتعطر الجو كله ··

لم يتوقع يوسف أن يرى منظرا كذا عــــلى الأرض التى يسكنها البشر ·· أنه منظر فى قصيدة شعر ، أو لوحة رسام ، أو أسطورة ، أو حلم ·· هل من الممكن أن تكون الجنة أبدع من هــذا ··

وسأل نفسه « هل أستطيع أن أتحمل الحياة وسط كل هذا الجمال ·· هنا وسط هذه المناظر ، يصعــب على أن أغمض عينى ، يصعب على أن أشرد بخيالى ، يصعب على أن أتمنى

غير ما أنا فيه .. هنا محطة الوصـــــول التى تنتهى عندها الأحلام والرغبات والأمانى .. كيف سمحوا لى بالمجىء الى هذا المكان»

وهمس بصوت خفيض بالعربية .

ـ غريبــة ..

وانتبه الى جوليا تسأله .

ـ هيه .. ماذا تقول ؟

قال فى ارتباك ، وكأنها ضبطته متلبسا :

ـ لا شىء ..

قالت فى الحاح :

ـ ولكنك قلت شيئا ..

قال وقد زاد ارتباكه .

ـ كنت أحدث نفسى ..

سألته فى لهفة :

ـ بأى لغة ؟

قال وهو يبتسم فى خجل :

ـ بلغتى ..

ـ ماذا قلت ؟

قال يشرح لها :

ـ كنت أقول ..

فقاطعته .

ـ أريد أن أسمع الكلمة التى قلتها ..

ـ باللغة العربية ؟

ـ نعم ..

وتردد ثم نطق الكلمة .

www.library4arab.com/vb

ـ غريبــة ..

قالت وهى تنصت باهتمام شديد ..

ـ ماذا ؟ ·· غـ ·· غه ·· ماذا ؟
قال وهو يضحك لمحاولتها :
ـ غريبة !

نطقها هذه المرة ببطء ووضوح ·
وكررت وراءه الكلمة كطفلة تتعلم الهجاء ··
ـ غريبة !
صـاح :

ـ برافـو ··
وكررتها مرة ثانية :
ـ غريبة ·· هل نطقى لها سليم ·· ؟
ـ سليم جدا ··
ـ ما معناها ؟
ـ وشرح لها معنى الكلمة ·· وقال لها انه كان يعبر عن دهشته لجمال المناظر ، فهى تشبه الجنة ··
ولمعت عيناها بمرح وقالت :
ـ هذا صحيح ··
قال :
ـ ساعلمك اللغة العربية ··
فقالت على الفور وعلى شفتيها ابتسامة خبيثة :
ـ مثل ايف ··

وصدمته اجابتها ، لقد نسى ايف ، وما كان يتصـور أن يقارن بينها وبين ايف ، أو يقارن بين حمدى عشيقها وبين نفسه ·· واحمر وجهه وقال فى تانيب ··

لماذا تقولين هذا ··

قالت فى براءة ، وهى لا تدرى ماذا يدور فى راسه :

ـ ألم يعلمها صديقها اللغة العربية ٠

قال فى ضيق :

ـ ولكنك لست مثلها ..

سألته فى دهشة :

ـ لماذا ؟

وعجب لسؤالها ، كيف لا تحس بهذا الفارق الهائل بينها وبين ايف قائدة أوركسترا الامبسادور ، أتظن أنها تقضى معه مغامرة عابرة ، مثل مغامرة ايف مع حمدى ٠ أتظن أنهما سيفترقان ، كما افترق حمدى وايف ، **هل** من المحتمل أن يحدث هذا ٠٠ ؟

قال بصوت غلبه التأثر :

ـ أنت شىء آخر ٠٠

قالت باسمة :

ـ أتظن ذلك ٠٠

قال فى حرارة :

ـ أمن الممكن أن نفترق كما افترقا ٠٠

قالت وقد زادت ابتسامتها اتساعا ٠٠

ـ من يدرى ٠٠

صاح فى حدة :

ـ لا تقولى هذا الكلام ٠٠

واختفت الابتسامة من شفتيها ، ونظرت اليه بعينين جادتين ومدت يدها ووضعتها على يده ، وقالت فى أسف :

ـ يوهسيف ٠٠ **هل أغضبتك** ٠

صاح فى حرقة :

ـ نعم ٠٠

قالت بصوت خفيض :

ـ انى آسفة ٠٠

فاسترسل فى انفعاله :

ـ لا يكفي أسفك ·· كيف تفكرين فى احتمال افتراقنا ··
قالت بصوت ضعيف :
ـ أنت على حق ·· ما كان يجب أن أقول هذا الكلام ··
واشتد انفعاله ··
ـ لا يهمنى ما يجب وما لا يجب أن تقوليه ·· الذى يهمنى هو أنك فكرت فعلا فى هذا الاحتمال ··
قالت وهى تشعر بذنبها :
ـ يوهسيف ·· لا تغضب منى ·· أنا لم أفكر فى هذا ·· كنت أردد مجرد كلام ··
وسكت ، وهو يشعر أنها يجب أن تستمر فى اعتذارها ·· وأطرق بأذنيه ليسمع منها المزيد ··
ولكنها همست فى تأثر :
ـ انت تحبنى حقا ··
ثم سكتت برهة وعادت تقول :
ـ لم أكن أعرف أنك سريع الانفعال الى هذا الحد ··
وسكتت ، فلما وجدته مازال مطرقا برأسه ، لا يكلمها ·· عادت تقول :
ـ يوهسيف ·· أتسمعنى ··
قال بصوت مهموم :
ـ نعم أسمعك ··
قالت فى حنان :
ـ أتدرى ·· أنت لم تحدثنى عن نفسك أبدا ··
وما كادت كلماتها تطرق أذنيه حتى رفع رأسه فى حركة حادة ، كأنه يفيق من كابوس كان يجثم على أنفاسه ·· أو يستقبل كابوسا سيجثم على أنفاسه ··
وقال ورأسه يدوى بطنين محموم
ـ أنت على حق ·· سأروى لك كل شئ ··

قالت وهى تمسح بيدها فوق يــده :

ــ أتعرف منذ متى وأنا أريد أن تحدثنى عن نفسك .. منذ كنا نرقص فى سوليين .. وعندما استيقظت هذا الصباح كان أول شىء فكرت فيه ، هو أن أطلب منك أن تروى لى عن حياتك .. ولكننا انشغلنا .. دائما كنا ننشغل عن أهم شىء فى رأيى ولكننى هذا المساء سأضمك الى ، وسأسمع قصتك ..

قال فى عصبية يحاول اخفاءها :

ــ واذا لم تعجبك قصتى ..

قالت فى تأكيد :

ــ ستعجبنى ..

ــ أنت لم تسمعيها بعد ..

ــ ولكنى أحبك ..

ــ ربما غيرت رأيك ..

قالت وهى تضغط على يده ..

ــ قل لى أى شىء .. فيزيد حبى لك .. سأقترب منك أكثر وأكثر ، سأعيش على ماضيك كما أعيش مع حاضرك ..

قال بصوت اختلط بالسخرية والأسى :

ــ ولو كنت لصــــا .. أو قاتلا هاربا من جريمة ارتكبتها فى بلدى .

ــ سأحبك .. وسأحميك من البوليس ..

وضحكت فى عينيه .. فضحك وقد هرب الطنين من رأسه وشعر بأنه فى حاجة فعلا الى أن يحدثها عن نفسه ..

وصلا الى كريســــــتى برلى مع الظهر ، كان الفندق من طابقين لونهما أبيض وأحمر كالنبيذ .. وشاطىء البحر يمتد أمام الفندق ، على بعد خمسين مترا من حديقته ، ومن وراء الفندق غابة ممتدة لا نهاية لها ..

وتجرأ يوسف هذه المرة ، فسأل موظف الفندق عن أسعار

الغرف ، وفرح عندما علم أنه سيحصل على غرفة لها حمام ، وتطل على البحر وبها راديو وتليفزيون ولن يدفع أكثر من ست جنيهات مصرية ، خيل اليه أنه يستطيع أن يعيش الى الأبد فى هذا المكان ، بالمائة جنيه الباقية فى جيبه ..

ووضعت جوليا عروستها على منضدة الزينة ، ثم جذبت يوسف من يده ، وانطلقت به خارج الفندق .

طافا بشاطىء البحر ، وشاهدا قوارب الصيد التى تنتظر هواة الصيد من نزلاء الفندق ، وجريا هنا وهناك كطفلين لاهيين يملكان الدنيا وما فيها ثم عادا الى الفندق ، وعبراه الى الغابة الممتدة وراءه ، وسارا وسط أشجار كالعمالقة ، تكاد تمنع ضوء الشمس عن النفاذ منها ، فحولت الغابة الى كهف سحيق مظلم تقطعهخيوط من الأشعة ، تتسلل اليه كأعمدة من النور الذى لا يضىء .. ولكنه يكشف عن وجود الظلام .

وارتمى الاثنان لاهثين تحت شجرة ضخمة .. وغابا عن كل شىء ..

قال لها بعد صمت طويل :

ـ أنا جوعان ..

قالت بصوت شبه نائم :

ـ وأنا أيضا ..

ـ ألا يمكن أن يأتوا لنا بالطعام هنا ..

ـ هذا نفس ما أفكر فيه ..

ـ انى أتساءل .. لماذا أجرنا غرفة هناك ؟ ..

ـ الحق .. هنا أفضل ..

ـ هذه الغابة تذكرنى بشىء ..

ـ ما هو ؟ ..

ـ لست أدرى ..

ـ هل أقول لك بماذا تذكرك ..

ـ أتعرفين ؟ ..

ـ نعم ..

ـ بماذا تذكرنى ؟ ..

ـ بآدم .. أنت آدم ..

ـ نعم .. هذا صحيح .. وأنت حواء .. كيف عرفت ..

ـ لأنى ذكية ..

ـ كحـواء ..

ـ نعم .. كحواء ..

ـ أتعلمين أن ذكاء حواء أخرجها مع آدم من الجنة ..

ـ حواء لم تخرج آدم من الجنـــة .. آدم هو الذى خرج لأنه كان جوعان فأكل التفاح ..

ـ سأبقى هنا حتى ولو مت من الجوع ..

ـ لن أطلب منك أن تغادر هذا المكان ..

ومضت برهة ، ثم نهض يوسف فجأة وقال متوسلا اليها :

ـ حواء .. اغرينى بالعودة الى الفنـدق .. لقد مت من الجـــوع ..

الفصل السابع

www.library4arab.com/vb

متعة

الفصل السابع

غريبة أحس بها يوسف وهو يروى قصة حياته لجوليا كان ممددا فى استرخاء فوق « شيزلونج » عريض فى شرفة غرفتهما ، بعد أن فرغا من طعام العشاء ، وهى راقدة الى جانبه ملتصقة به ٠

تحتمى فى جسده من الليل الصامت المحيط بهما والسماء سوداء بلا نجوم ، وعينا يوسف سارحتان فى الظلام ٠٠ وعينا جوليا سارحتان فى وجه يوسف ٠٠

كان يحكى لها بصوت أجش حزين ، كأنه يلقى قصيدة شعر من تأليفه ، وكلما استرسل فى حكايته ٠٠ تضاربت المشاعر فى صدره ٠٠

ان الانسان لايبدأ عادة فى الحديث عن حياته ، الا فى لحظات تفيض فيها مشاعره ، ويوسف يشعر فى هذه اللحظة أنه فرح وحزين ، قوى وضعيف ، وهو يشعر أيضا لدهشته ، أنه صادق وكاذب ٠٠

كل ما يرويه حدث فعلا ٠٠ وكل ما يرويه كأنه من صنع خياله ٠٠

أحيانا يشعر بانه يتهم نفسه ، يقسو عليها ، يجرحها ، وأحيانا يشعر أنه يدافع عن نفسه ، يواسيها ، يضمد جراحها ٠٠

وأحيانا يخيل اليه أنه يتكلم عن انسان آخر ، كان يعرفه ولا يفهمه ٠٠ ولكنه بدأ أخيرا يدرك حقيقة هذا الانسان ٠ حقيقة سره الذى حيره ٠٠ وعندئذ يتحول كلامه الى تفكير

بصوت هامس ، وينتابه شعور بأنه يخوض بقدميه فى أرض غريبة ، ولكنه يحس بوقع أقدامه فى داخل رأسه ..

تجمعت فى قلبه ، كل هذه المشاعر المتناقضة ، فأحس معها بمتعة لم يعرفها من قبل ..

خيل اليه أنه يعرف لأول مرة ، كيف يكون الانسان سعيداً ..

كانت الكلمات تندفع من فمه دافئة ، كأنه لا يتحدث الى جوليا وحدها ، وانما هو يتحدث أيضا الى الليل المحيط بهما .

وسمع الليل فى « كريستى براى » صوت يوسف يحكى عن أمه ..

ـ أنى أحتفظ بصور كثيرة لأمى .. ولكنها صور تختلف تماما عنها كما أذكرها .. أغلب صورها أصبحت مصفرة باهتة كأنها ذكرى شاحبة .. فى احدى هذه الصور تقف أمى مستندة على مقعد ضخم يجلس عليه والدى ، كانت هذه الصورة بعد زفافهما مباشرة ، وكلما نظرت فيها شعرت برغبة جامحة فى الضحك من منظر أبى ، وهو جالس واثق من نفسه ، كأنه أمبراطور يجلس على العرش الامبراطورى ، وفى صورة أخرى تقف أمى وحدها أمام ستار مرسوم عليه منظر حديقة .. أشجار وأصص ورد وأزهار .. ستار من ذلك النوع الذى يحتفظ به المصور فى الاستديو ليستخدمه كديكور لصور زبائنه .. كانت أمى ترتدى فستانا فضفاضا يشبه موضة الشوال الذى يلبسونه اليوم ، ولكنه مزوق « بترتر » و « شراريب » تتدلى من ذيله ، وكان شعرها مقصوصا ، وعيناها واسعتان تبحلقان وفيهما كحل كثير ، وفى يدها وردة ..

الغريب أن هذه الصورة لا تضحكنى ، مع أنها تدعو الى الضحك .. أتأملها ، وأعجب بينى وبين نفسى ، وأتساءل هل

هذه هى أمى ، التى ترتدى هذا الفستان الأحمق ، وتبحلق فى بلاهة ، وتمسك بوردة فى سذاجة ·· ثم لا أستطيع أن أقاوم ذكراها ، وأعود الى أيام كانت كل هذه الأشياء لا تبدو حمقاء بلهاء ساذجة ·· أغمض عينى وأتذكرها ··

انى أذكرها بطريقتى الخاصة ·· أذكر يديها وهما تغسلان وجهى ·· أذكر يدها تمتد بالطعام الى فمى ·· أذكر كفها تضعه على جبينى المحموم ، ثم تدثرنى بالأغطية وتنـــادى الطبيب لأنى مريض ·· أذكر ذراعيها المفتوحتين ، وأنا أجرى اليهما فتختطفنى وترفعنى الى صدرها ، وتقبلنى ··

لم تكن تتركنى أبدا ، ولم أكن أفارقها أبدا ، كأنى كنت أعلم أنها ستفارقنى الى الأبد بعد وقت قصير ، أينما ابتعدت عنها ، أعود مسرعا اليها ·· أقع ثم أنهض وأجرى حتى أصل اليها ، قاذفا بنفسى بين ذراعيها ··

وعيناها ··

لا أذكر أنها كانت تضع الكحل فى عينيها كما فى الصورة ، كل ما أذكره عن عينيها أنها كانت تضع فيهما حنانا كبيرا أو قلقا كبيرا ·· كانت تجذبنى اليها بنظرة من عينيهـــا · ومازالت حتى الآن ، أشعر بشىء ما يجذبنى من عينى ، كلما تذكرت أمى ··

صوت رفيع ، منفعل ، متهدج ، فيه أسى ، كان صوتهـــا لا يضحك أبدا ، كثيرا ما حاولت أن أتخيلها وهى تضحك ·· ولكنى فشلت ··

يوم ماتت ، لم أفهم معنى ما حدث ·· ومضى وقت طويل ·· حوالى سنة ·· قبل أن أفهم ، كنت مازلت أتوقع أن أراها ·· ثم سمعت أن أبى قد تزوج من امرأة أخرى ، كانوا يتحدثون أمامى ، وهم يظنون أنى طفل لن أفهم حديثهم ·· ولكنى فهمت كل شىء ·· فهمت أن أمى ماتت ، أى ذهبت ولن تعود ، وكنت

أظن أن « الموت » اسم بلد بعيد ، يسافر اليه الناس ·· بلد بعيد مثل السويد ، وكنت أعجب لماذا يسافر الناس ويتركوننا فجأة ، ولا أدرى تفسيرا لعجبى ·· أتدرين يا جوليا ·· يوم وصولى الى السويد ·· تذكرت أمى ·· انه نفس اليوم الذى رأيتك فيه فى المسرح ·· كنت قد تجولت فى الشوارع وحيدا طوال النهار ، ولعلى كنت أفعل ذلك ·· لأن عقلى الباطن يقول لى ·· هذا هو البلد الذى سافرت اليه أمك منذ سنوات بعيدة ·

لعلى كنت أتوقع أن أقابلها هنا أو هناك ·· فى آخر ذلك الشارع ·· عند الناصية القادمة ·· فى الميدان المقبل ·· على شاطىء القناة ·· كنت أسير وأسير ، تدفعنى قوة غريبة ونشاط لا يهدأ ·· وأخيرا دخلت المسرح ورأيتك بوجهك الحزين ويدك على خدك ··

كان أول خاطر يقفز الى رأسى ، وأنا انظر اليك ·· هو انك تشبهين أمى · انى أعلم انك لا تشبهينها ، هى شعرها أسود وأنت شعرك أشقر ، هى عيناها سوداوان ، وأنت عيناك رماديتان مشوبتان بزرقة خفيفة ، هى جسمها ممتلىء ، وأنت جسمك غير ممتلىء وان كان غير نحيف ·· نعم أنت لاتشبهينها ومع ذلك فأنت تشبهينها الى حد غير معقول ·· لم أقابل امرأة فى حياتى ذكرتنى بأمى سواك ، ولم أحب امرأة بعد حبى لأمى سواك ··

وسكت يوسف ، وهو يراجع فى عقله ما يدلى به من اعترافات ·· ألم يبالغ فى كلامه ·· هل كان حقا يبحث عن أمه فى شوارع السويد ·· ألم يكن يتسكع فى الشوارع فى انتظار منتصف الليل ليذهب الى « ايف » ··

المذل يكذب ··

ولكن هل هو يكذب حقا ·· انه يشعر بأنه صادق فى كل كلمة يقولها الآن ·· انه لا يقول الا الحقيقة ·· حتى ولو كانت

الحقيقة غير ما وقع فعلا ٠٠ لقد كان يكذب وهو يتسكع فى الشوارع فى انتظار أيب ٠ كان يكذب على نفسه وعلى حياته فى ذلك الوقت ، أما الآن ، فهو لا يكذب ، انه لا يقـــول الا الصـــدق ٠

وشجعه صمت جوليا ، قالت له أنفاسها أنها تصدقه ، فرفع صوته مستأنفا قصته التى يرويها لليل :

ـ كنت فى بيت جدى ، أما أبى فيعيش مع زوجته فى بيت آخر ، وكان يزورنى فى فترات متباعدة ، وكنت أفرح كلمـــا رأيته ، ولكنى كنت أحقد عليه فى نفس الوقت ، كان يقول لى كلمات سريعة مرتبكة ، ثم يدس فى يدى بضعة قروش ، ويفر هاربا من البيت ، كأنه خجل من مواجهتى ، وكنت قد قررت بينى وبين نفسى أنه المسئول عن موت أمى ، وأنه السبب فى أنها لم تكن تضحك أبدا ٠٠

كان أبى جراحا وله عيادة واسعة ، معروف فى القاهرة ، فاعتزمت أن أكون جراحا ، وأن أعمل فى عيادته ، ثم حدث ذات يوم أن أخذنى أبى الى بيته ، وجلست بين زوجة أبى وطفليها الصغيرين ، شقيقاى من أبى ٠٠ كنت فى ذلك الوقت فى الثانية عشرة من عمرى ، طالب فى المدرسة الثانوية ، وكان شقيقاى لم يدخلا روضة الأطفال بعد ٠٠

وسمعت أبى وزوجته ، يتحدثان عن مســـــتقبل الطفلين ، أنصت الى حديثهما وأنا أكتم ألما شديدا ورغبة فى البكاء ٠٠ لم يحدثنى أبى عن مستقبلى أبدا ، أقصى ما كان يفعله هو أن يطمئن الى نجاحى فى المدرسة ، فيأتى الى بيت جدى ، ويقول لى « مبروك » ثم يعطينى جنيها ، لم يسألنى أبدا ماذا أريد أن أكون ، ولم أحدثه أنا عن أملى فى أن أكون جراحا مثله ٠٠

فوجئت بأبى يقول ، مشيرا الى أصغر طفليه،وهو يضحك :

ـ هذا الولد سيصبح جراحا عظيما ··

ووافقته زوجة أبى فى الحال ، ثم قالت ان ابنها الثانى سيكون مهندسا ··

وسألت نفسى فى حيرة « وأنا » ماذا أكون ·· لماذا لا يقول لى أبى شيئا ·· لماذا لا يقول لى أنى سأصبح جراحا مثله » ·

شعرت بالدنيا تضيق من حولى ، وكأنى أغرق فى ضباب، وأهوى فى قاع مظلم لا قرار له ، ووجدتنى أقول بصوت مرتفع، كأنى أستنجد بأبى أن ينقذنى مما أنا فيه ··

ـ وأنا أيضا يا أبى ، أريد أن أكون جراحا ··

قلتها له ، وكأنى أتسول منه شـيئا ·· أتسـول منه مستقبلى ·

واذا بأبى يقول على الفور وبلهجة ساخرة :

ـ انت لا تصلح لأن تكون جراحا هل نسيت العاهة التى فى أصبعك ·

أردت منه أن ينقذنى من الضياع الذى ينهشنى ، من القاع الذى أسقط فيه ، فاذا به يدفعنى فى قسوة الى ضياع أكبر ، وهـوة أعمق ··

وضحكت زوجته ، والتقطت خيط الحديث ، وانطلقت تقول فى غير رحمة :

ـ الجراح يا ابنى يعتمد على أصابعه ·· انها كل شىء بالنسبة لعمله ·· خسارة هذا التشويه الذى فى أصبعك ··

ثم التفتت الى أبى وقالت له :

ـ أظن أنه نتيجة ضعف صحة أمه وهى حامل به ··

لم أسمع ماذا قال أبى لها ·· كان صراخ يدوى فى رأسى ، ولا يريد أن ينفجر خارجا من فمى ·· كنت أصرخ فيها « مالك وأمى ، لا تذكريها على لسانك ، أمى لم تكن ضعيفة ، انه هو الذى قتلها ·· هذا الرجل الذى اسمه أبى هو الذى قتلها ،

انه لم يمنحها لحظة سعادة ، انها لم تضحك وهى زوجة مرة واحدة» .

كنت أضعف من أن أسمعها صرخاتى ، وألمى أقوى من أن أعبر عنه بصوت مسموع ، وحقدى يشل كل شىء فى ..

عدت ذلك اليوم الى بيت جدى ، وأغلقت على نفسى الحجرة ومعى سكين أريد أن أغمده فى صدرى لأتخلص من حياتى ، ثم فكرت أن أقطع أصبعى وليكن ما يكون ، ثم ألقيت بالسكين ، وانخرطت فى البكاء ..

صممت رغم ذلك على دخول كلية الطب ، وعلى أن أكون جراحا أعظم من أبى ، وعشت فى أحلام اليقظة ، أتخيل نفسى جراحا له عيادة مليئة بالزبائن ، وأبى رجل عجوز محطم ، يأتى الى ومعه زوجته لأمنحهما بعض النقود ، وطفلاه قد فشلا فى المدارس فأصبحا يعملان كممرضين فى عيادتى ..

أدمنت أحلام اليقظة ، حتى تأثرت دراستى ، وبدأت أرسب فى الامتحانات ، وعندما بلغت السنة النهائية فى دراستى الثانوية ، كان كل شىء قد تغير فى ، عرفت الطريق الى بيوت نساء أدفع لهن ما فى جيبى من قروش ، عرفت البارات والكباريهات ، عرفت السجائر والشراب .. بعت كتبى ، أنفقت مصروفات المدرسة .. عرفت شتائم جدى وشجار أبى معى .. وكنت أشعر بلذة غريبة ، كلما رأيت أبى منفعلا يصيح فى وجهى كالمجنون ، واليأس ينهشه ، والقلق على مستقبلى يفزعه ويتلف أعصابه ..

ولكن هذا الحال لم يستمر . فقد مات أبى ..

وانتهت بموته مرحلة من حياتى .

سكت يوسف عند هذا الحد من قصته ، وقد غمره شعور بالأسى على نفسه .. كان يحدق فى الليل ، فيتخيل نفسه فى صورة شهيد .

وهمست جوليا :

ـ أنت متعب . لا ترهق نفسك بهذا الحديث .

قال فى لهفة :

ـ لست متعبا ..

ـ انك تذكر أشياء تؤلمك .

ـ كانت تؤلمنى .. أما الآن ..

وسكتت ثم قال :

ـ انى أشعر براحة لأنى أقول لك ..

قالت فى حنان :

ـ أيريحك أن تتحدث الى ؟ ..

ـ نعم .. يريحنى ..

ثم سألها فى قلق :

ـ أيضايقك أن تستمعى الى ؟

قالت فى انفعال :

ـ ماذا تقول .. كيف تتصور أن حديثك يضايقنى ..

وحدق يوسف فى الليل ، وعاد يتأمل نفسه فى صـــــورة شهيد ..

قالت جوليا وهى تتنهد :

ـ لا أتصور أن كل هذا حدث لك ..

نظر اليها ، فوجدها تنظر اليه فى لهفة وجزع ، كان واضحا على وجهها أنها تأثرت بكل كلمة قالها فشعر بالرضا عن نفسه كأنه ممثل اكتشف اعجاب الجمهور بدوره .. واستأنف قائلا فى بطء :

ـ وحصلت على شهادة الدراسة الثانوية بصعوبة ..

فقاطعته جوليا :

ـ أتريد أن أحضر لك شيئا ..

قال بسرعة كأنه يحتج على مقاطعتها له :

ـ لا ..

ـ أطلب لك فنجان شاى ؟ ..

ـ أتريدين أنت ؟ ..

همست :

ـ لا .. لا أريد شيئا ..

ثم زادت التصاقا به .. وقالت :

ـ أريد أن أظل جانبك .. هكذا ..

وقبلته فى خده ، فشعر نحوها بامتنان شـــديد ، واعتبر قبلتها تأكيدا لاعجابها وتأثرها بحكايته ، وتحمس لأن يستمر.

روى لها كيف دخل كلية التجارة وكيف شعر بعد موت أبيه بالندم لما كان يحمله نحوه من حقد ، فأصبح يهتم بزيارة قبره وبالغ فى الحداد عليه ، فارتدى رباط عنق أسود ثلاث سنوات متتالية .. كان يذهب الى الكباريهات ويصنع أى شىء ، ولكنه لا يتخلى عن رباط عنقه الأسود ، ولم ينزعه حتى مات جـده فاختلط عليه الأمر ، ولم يعد يعرف هل يرتـدى رباط العنق حدادا على والده أم حدادا على جده .. فنزعه بعد الأربعين من وفاة جـده ..

ورغم ذلك ظل مبتعدا عن زوجة أبيه وشقيقيه ، ولكنه اهتم بأن يوطد علاقته بعمه ، فكان يزوره بين وقت وآخر فى الشركة التى يديرها ويحاول أن يثبت أمامه أنه طالب مجد فى دروسه ولقدفعل ذلك عنقصد وتعمد منه ، لم يتقرب الى عمهبعاطفةما .. كان كل همه أن يكسبه الى صفه ، وأن يستفيد منه بعد أن يتخرج من الكلية ، وقد ساعده فعلا بعد تخرجه فألحقه فى احدى الشركات التى يعرف رجالها ..

وأصبحت كل حياته بعد ذلك ، خطة مدروسة ، حتى فى علاقته بالبنات ، لم يحب أبدا ، الحب الوحيد الذى فى قلبه هو حبه لامه وحب أمه له ، كان هذا الحب ينافس أى حب آخر قد يشعر به نحو أى فتاة ، ويقضى عليه ·

وعرف بنات كثيرات ··

عرفهن ببساطة ، وحصل عليهن بسهولة ، وكانت خطته واحدة دائما ·· يروى للبنت كم هو وحيد ، وكيف أنه محروم من الحنان والحب ، وتسمع هى أن أمه ماتت وهو فى السابعة من عمره ، وأن أباه تزوج من أخرى وأنه عاش مع جده ، وتألم وتعذب فى وحدته ، ولم يكن له بيت خاص به وما أن يفرغ من قصته حتى تقع فى حبه ··

ويفرح بأنه عثر على فتاة تحبه ، ويخيل اليه أنه سعيد ، ولكنه يشعر فجأة وكأنه يخدع نفسه ، ويتساءل هل هذا هو ما أريده حقا ، وتنتابه رغبة جارفة فى أن يحطم كل شىء ، وتنهار خطته المدروسة التى يدبرها عقله ··

لحظات سعادته ، كانت دائما هى نفس لحظات تعاسته ، اللحظة التى يشعر فيها أنه فرحان ، يشعر فيها بندم غامض يعتصره ، وتأنيب لاذع يرتع فى ضميره ·· كأن سعادته لو قامت على الفرح وحده ، ستكون سعادة عرجاء لها قدم واحدة ، فسرعان ما يبحث لها عن قدمها الثانية ·· يبحثلها عن الحزن ، ويجمع فى داخله مشاعره المتناقضة فيحس بنفسه سوداء يمزقها ضياء الفرح ·· حزينة باكية ، ترقص فيها نشوة ضاحكة ·· وعندئذ ·· عندئذ فقط ·· يحس أن كل شىء اكتمل ، وأنه أصبح نفسه ·· أصبح حياته بكل ما فيها ·· بكل ما كان فيها وما سيكون فيها ·

ولكن ، من التى ترضى بمخلوق كهذا ·· انهن يحتملنه وهو يحكى لهن عن تعاسته ووحدته ، ولكنهن يفزعن منه اذا أصابته التعاسة وهو معهن ·

من تحتمل منه أن يصرخ لها بحبه ، ويقسم لهـــا بأنه سيعيش من أجلها ، ثم يزعق فيها بعد لحظة . قائلا أنه يكذب عليها ، وأنه لا يحبها ولا يريدها ..

ومن تفهم ما يدور فى داخله .. من تدارك هذا التمزق الذى أصابه ، منذ عاش بعاطفة موزعة بين أمه وأبيه .. من تفهم هذا القلق الذى رسب فى أعماقه ، وهو يقف وحده فى هذه الحياة ، منذ كان طفلا صغيرا يرقب كل من اعتمد عليهم من الكبار ، يتخلون عنه واحدا بعد الآخر .

وانتهى أخيرا الى حل ..

حصر حياته فى ثلاث بنات ، واحدة ينام معها وثانية يخرج معها فى النوادى الليلية ، وثالثة يتبادل معها أحاديث عاطفية حالمة فى التليفون .. تحول القلق والتناقض الذى فى داخله ، الى شىء ملموس خارجه .. حوله الى ثلاث بنات يخلص لهن معا .. ولا يخلص لواحدة منهن ..

ولكن حتى هذا الحل لم يفلح .. فتركهن فجأة بلا وداع وجاء الى السويد ..

والتفت الى جوليا وقال فى انفعال :

ـ ورأيتك .. وغازلتك .. وأخذتك معى الى الفندق .. كنت أشعر نحوك بعاطفة غريبة جديدة على ، ولكنى لم أتصور أبدا أنها الحب ..

واحتبست الكلمات فى حلقه ، فقال بصعوبة ، وصوته مفعم بالألم والتأثر ..

ـ يجب أن أعترف لك .. ذلك اليوم الذى انتظرتك فيه فى الحديقة .. ومعى العروسة ، كنت سأقول لك عندما تأتين ، انى مسافر غدا .. كنت سأعطيك العروسة ثم أودعك الى الأبد .. لم أكن أعلم وقتها ماذا حدث لى .. لم أكن أعلم أنى أخيرا أحببت .. لم أكن أدرك سر تذكرى لأمى عندما رأيتك ..

ولكنك لم تأت ، وقلت لنفسى هذه نهاية علاقتى بها ، ولكنى لم أستطع مقاومة الذهاب اليك ، بحثت عن بيتك وذهبت اليك كمجنون يبحث عن عقله ..

ولم يستطع أن يستمر فى كلامه ، كان متأثرا الى حد جعله لا يقوى على الكلام ، ثم بذل مجهودا جبارا ليتمتم كأنه يلفظ أنفاسه الأخيرة :

ــ جوليا .. انت لا تعلمين كم أحبك ..

فهمست جوليا فى ذهول :

ــ يوسيف .. أنت تخيفنى .

لم تكن تدرى ماذا تقول ، صدمتها قصته ، فاجأتها بما لم تكن تتوقعه ، لم تتصور أبدا ، أن انسانا يستطيع أن يجرد نفسه أمامها بهذا الشكل ، أحست وكأنها تطل من فوق قمة جبل على واد سحيق ، أحست وكأنها غطست فى أعماق محيط أحست أنها ارتفعت الى فضاء لم يصل اليه انسان .. انها وجها لوجه مع أخطر ما يمكن أن يواجهه مخلوق فى الوجود .. أنها تواجه أعماق نفس بشرية ..

كانت تتمنى أن تقول له « أحبك » .. أو تمسح بيدها على رأسه ، أو تقبله على خده .. ولكنها لم تستطع أن تقول غير أنه يخيفها ..

وهمس يوسف بصعوبة ..

ــ جوليا .. أتخافين منى ؟ ..

قالت ووجهها شاحب وصوتها شاحب :

ــ انى خائفة من حبك ..

الفصل الثامن

www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

الفصل الثامن

مضت أيام منذ تلك الليلة ، وهما غارقان فى الحب ، وكأنها تريد أن تثبت له ، أنها ليست خائفة من حبه ..

عاشا بلا ذاكرة كل قبلة يتبادلانها وكأنها أول قبلة ..

يهبطان من غرفتهما ثم يبتسمان ويصعدان من جديد ، وكأنهما نسيا أنهما هبطا من الغرفة منذ لحظة .. يذهبان الى الغابة ، فلا يعودان ، وكأنهما نسيا الفندق . يجلسان فى البار حتى ينصرف كل من فيه وقد نسيا أنهما فى بار ، أو حتى أنهما فى هذه الدنيا ..

وكانا يتهامسان بأى كلام .. همس فى أذنها آلاف المرات أنه يحبها ، وأنه يريدها ، وأنه سيتزوجها وأنها حياته ..

وكان أحيانا يهمس فى أذنها ، أنه سيقتلها ويتخلص منها، وأنه يكرهها ، وأنها تعذبه وأنها تقتله . فتسمعه وتبتسم ، ولا تفهم من كلماته سوى أنه يحبها .

حتى عندما ألح عليها مساء أحد الأيام وهما يجلسان فى البار بأنه لابد أن يتزوجها لم تفهم ماذا يعنيه ، كل ما فهمته هو أنه يحبها ، وربما لم يفهم هو أيضا ماذا يعنيه ، وكل ما أراد أن يقوله هو أن يعترف لها بحبه .. بكلمة أخرى غير كلمة .. أحبك ..

لم تعد للكلمات سوى معنى واحد ولم تعد للتصرفات سوى معنى واحد ، هو أنه يحبها ، وهى تحبه . أصابتهما

سيطرة الحب ، تلك الأنانية التى تجعل الناس ينظرون الى العشاق فيتهمونهم بالغباء ..

وجاء صباح ، وكان يوسف نائما فى غرفته ، عندما فتح عينيه ، وسمع أصواتا مألوفة تطرق أذنه .. سمع أصوات رجال يضحكون ويتكلمون .. كان أحدهم يقول « خد بالك يا على اوعى تبعد من هنا » .. وصاح آخر « يا ابراهيم البنت موش قدك » وارتفعت ضحكات ، وصوت أجش يهدر قائلا « بتقول اسمه يوسف منصور » ..

وقفز يوسف كالملسوع لسماع اسمه ، وأدرك لأول مرة ، ولدهشته الهائلة ، أن الأصوات تتكلم باللغة العربية ..

من هؤلاء .. من أين جاءوا .. ما هذه الأصوات .. أهو يحلم .. أهذا كابوس .. ما معنى هذا ؟ .

وأسرع الى الشرفة وأطل منها ليرى والفزع يملأ صدره، أكثر من عشرين رجلا ملتفين حول جوليا كلهم عرب .. كلهم يتكلمون باللهجة العامية المصرية ..

لم يصدق المنظر ، وظل جامدا فى وقفته ينظر الى الناس وجوليا فى غباء ، ثم قفز فى رعب الى داخل الحجرة ، وقد خطر له أنهم قد يرونه .. ووقف يرتعش من الانفعال ، والعرق البارد يتصبب من جسده .

ماذا يصنع ، أيعود الى فراشه وينام ويتجاهل الموقف ، أيحبس نفسه فى الحجرة حتى ينصرف هؤلاء الناس ، أيتسلل الى موظف الفندق ويسأله عنهم ..

وجوليا ؟

انها واقفة وسطهم ، ماذا تقول لهم ، وماذا يقولون لها ، لقد سمعهم يرددون اسمه ..

المجنونة .. الحمقاء ..

أتكون قد روت لهم كل شىء ·· أتكون قد فضحته ··

ما هذا الجنون ، أهو يتخيل أشياء غير حقيقية ، أم ان هؤلاء الناس قد جاءوا فعلا الى هذا المكان ··

أى مصيبة جاءت بهم ؟

وعاد الى الشرفة ، يختلس منها فى حذر ·· ويطـــرق بأذنيه الى ما يقولون ·· كان أحدهم يأخذ صورة لجوليا وهى تقف باسمة مطمئنة مستسلمة له ··

ثم صاح المصور بانجليزية ركيكة ··

ـ هل تسمحين بصورة مع الزملاء ··

قالت جوليا فى مرح :

ـ بكل سرور ··

وتقدم رجل بدين وسأل جوليا :

ـ وأين مستر يوسف منصور ليشترك معنا فى الصورة ··

وتراجع يوسف رغما عنه ، وهو يسمع صوت جوليا تقول :

ـ انه مازال نائما ··

وارتفع صوت حاد يقول فى سخرية :

ـ طبعا ·· كان بيحارب طول الليل ·· مصيبتى دمه يابنت الايه ··

وتعالت ضحكاتهم ·· فغلى الدم فى عروق يوسف ، لم يعد يدرى ماذا يفعل ، كل ما يريده هوأن يخلصها منهم فى الحال ·· أن يمنعها من سماع ألفاظهم البذيئة ، وتعليقاتهم الساخرة التى لا تفهم معناها ··

واندفع يرتدى ملابسه بسرعة ، وهبط اليهم وهو لا يكاد يرى شيئا أمام عينيه ··

هتفت جوليا وهى تراه قادما :

ـ أوه ·· يوهسيف ·· أخيرا استيقظت ·· انظر من معى ·· انهم من بلدك ·

وســـاد الجميع صــمت عميق · بينما تقـــدم يوســف حتى وصل الى جوليا ، ووقف الى جانبها ، ثم نظر فى وجوههم واحدا واحدا ·· كانت وجوههم مشحونة بالفضول ، والبعض ينظر اليه فى سخرية ، والبعض ينظر اليه فى ارتباك ·

وتقدم منه رجل بدين قصير ، وسأله فى صوت مؤدب :

ـ أنت عربى ··

قال يوسف فى وجوم :

ـ نعم ··

قال الرجل ضاحكا :

ـ واحنا كمان ·· أنا اسمى ابراهيم فايد محرر بجريدة الأهرام ، والزملاء كلهم صحفيون ، حضرنا فى وفد صحفى بدعوة من شركة طيران ··

قال يوسف وقد زاد وجومه :

ـ أهلا وسهلا ··

ـ وارتفع صوت يسأل يوسف فى سخرية :

ـ وحضرتك بتعمل هنا ايه ··

كاد يوسف أن يصيح فى الصحفى « مالك انت حتى تتدخل فى حياتى الخاصة وتسألنى ماذا أصنع هنا » ، لولا أن خاطرا كالالهام هتف به أن يتعقل فى معاملته لهؤلاء الصحفيين انه يعلم ماوراء سؤال هذا الصحفى فهو يبحث عن قصة يكتبها لصحيفته ·· فضيحة ينشرها على قرائه ، وهو يظن أنــه ضبطه متلبسا بفضيحته ·

لو أثار الآن وأظهر غضبه فسيؤكد لهم أنه ضعيف منهار أمام الفضيحة ، يجب أن يتصرف باتزان ويتحدث فى وقار ، حبه لجوليا ليس جريمة ، انه شىء طبيعى ، ومن حقه أن يواجه به كل الناس لن يهرب من حبه ، لن يهرب من جوليا ، لن يهرب من نفسه ··

هذا هو الامتحان الأول لحبه ، وعليه أن يثبت قدرته على أن يحب وأن يتحمل مسئولية هذا الحب أمام الجميع ··

نظر يوسف الى الصحفى دون أن يراه ، كان يرى أمامه جميـع النـاس ·· عمه وخادمه جمعــة ، وموظفى مكتب الاستيراد ، ونادية وسعاد وهدى ، وبوسفلت ، ويلمار زوجها وايف وكل معارفه ·

قال وهو يضغط على كلماته فى تحد :

ـ أنا باستريح هنا ·· ليه فيه حاجة ؟ ··

فضاقت عينا الصحفى ، وانفرجت شفتاه عـن ابتسامة خبيثة وقال :

ـ المكان ده مريح فعلا ·· مناسب جدا لعروسين فى شهر العسل ··

وأوشك يوسف أن يهجم على الرجل ويلطمه على وجهه ، ولكنه تمالك أعصابه ولم يقل شيئا ، والتفت الى جوليا وفى عينيه قلق وتساؤل ··

هل قالت لهم أنهما زوجان فى شهر العسل ، ماذا قالت لهم بالضبط لابد أن يعرف فى الحال ··

وتجاهل يوسف كلام الصحفى وقال لجوليا بصـــــوت خفيض :

ـ هيا بنا ··

فسألته فى براءة :

ـ الى أين ؟ ··

قال وغصة فى حلقه :

ـ نتناول افطارنا ··

هتف الصحفى الذى كان يسأله :

ـ تسمحوالله نأخذ لكم صورة مع بعض ··

فصاح يوسف فى انفعال :

ـ ليـــه بـأه ؟ ..

قال الصحفى وهو يبتسم فى زهو :

ـ دى صورة بالألوان ..

قالها ، وكأن الصور بالألوان لا تقاوم ، وتعطيه الحق فى أن يصور يوسف مع جوليا ، ثم التفت الى زميل له يحمل آلة تصوير ، وطلب منه أن يتقدم ليأخذ الصورة .

استسلم يوسف ، وقد زاد شعوره بالتحدى ..

ماذا يريدون ؟

فليصوروه ، فليكتبوا عنه ، فلينشروا قصة حبه ليقرأها كل مخلوق على هذه الأرض ، كل هذا لا يعنيه ، فليحدث ، فليتكلم الناس ماشاءوا من كلام ، هذا لن يمس ذرة واحدة من حبه لجوليا .

ولم يكتف المصور بصورة واحدة ، أخذ عدة صور فى أوضاع مختلفة ، طلب من يوسف أن يضع يده فى يد جوليا فامتثل له وطلب منه أن يحيط خصرها بذراعه وينظر فى عينيها ويبتسم فلبى طلبه ، قال له فى وقاحة أن يلصق خده بخدها ، فلم يعترض لم يرفض له رغبة واحدة ، وشجعه أن جوليا كانت سعيدة ، عيناها تشعان بالفرح وقد أحست بأهميتها ..

همست فى أذن يوسف والمصور راكع على ركبتيه ليأخذ صورة لوجهيهما مع السماء ..

ـ اتخدعنى ؟ ..

ـ مــــاذا ..

ـ لابد أنك رجل مهم فى بلدك .

ـ من قال لك هذا ؟ ..

ـ لست فى حاجة الى أن يقول لى أحد . انظر الى اهتمام الصحفيين بك ..

قال وهو يبتسم فى الم :

ـ انهم يهتمون بى من أجلك ..

همست والفرح يغمر صوتها :

ـ من أجلى أنا ؟

ـ نعـــم ..

سألت فى مرح صبيانى :

ـ لأنى أحبك ؟

فأومأ برأسه وقد فقد قدرته على الكلام ، كان يائسا مـن أن يجعلها تفهم الحقيقة ..

وقالت فى امتنان :

ـ أوه .. انى أحبهم ، كم هو لطيف منهم أن يظهروا كل هذا الاهتمام بنا .

ولما فرغ المصور من عمله ، شكرت له بحرارة وصـــدق مجهوده الكبير ، كأنه منحها شيئا ثمينا . وجذبها يوسف من يدها وهى مازالت تردد كلمات الشكر ، وأحنى رأسه فى وقار قائلا فى برود شديد :

ـ عن أذنكم ..

فهتف اكثر من واحد :

ـ انتو موش جايين معانا ..

وفوجىء يوسف بجوليا تقول وكأنها فهمت كلامهم ..

ـ سنعود لكم حالا ..

ثم قالت ليوسف فى مرح وهى تسير الى داخل الفندق :

ـ لقد دعونا للذهاب معهم الى « قصر السينور » وقبلت دعوتهم .

قال يوسف فى غير فهم محاولا ان يكبت شعوره المتزايد بالضيق :

— السينور .. ما هذا ..؟

قالت ضاحكة :

— انك نسيت مثلى .. هذا شئ لايمكن تصديقه ..

— ماذا نسيت ؟.

هتفت تذكره :

— الم أقل لك أن بالقرب من هنا قصر « السينور » الذى كان يسكنه هاملت ·· هل من المعقول أن يحدث هذا ؟··

قال فى دهشة :

— يحدث ماذا ؟.

قالت وقد انتقلت اليها دهشته :

— لابد أننا عشنا فى غيبوبة لم نفق منها حتى اليوم ، كيف نسينا وجود هذا القصر بالقرب منا ·· لقد اخترت هذا المكان بالذات لأزور القصر ، ولكن تصور أننا نسينا كل شىء كنا نعيش ذاهلين عن الدنيا ..

وصدمته طريقتها فى الكلام ، أفزعه أن تصف أيامهما معا، بالغيبوبة والذهول ، أتدرك معنى ما تقول ؟ ··

قال بصوت ضعيف :

— أيهمك القصر الى هذا الحد ؟.

فهتفت :

— قصر هاملت ؟ .. وكيف لايهمنى . الا تريد أن تراه ؟..

ووقفت عن السير ، وقد اتسعت عيناها من الدهشة ، وسألته :

— الا تعرف هاملت .. الم تقرأ شكسبير .. اليس معروفا عندكم ؟

قال فى حيرة :

— نعم أعرفه ..

فصاحت فى حماس :

ــ وهذا هو قصره .

فقاطعها :

ــ ولكن ماسر حماسك المفاجىء ؟

وكأنا قد استأنفا السير ووصلا الى صالة الافطار ، فوقفت عند بابها ، وأمسكت بذراعه ، ورفعت وجهها اليه وقربته من وجهه ، وحدقت فى عينيه هامسة بصوت مفعم بالحب :

ــ ما سرك ايها الساحر ، حتى انسيتنى قصر هاملت ..

قال فى أسى وعلى شفتيه ابتسامة شاحبة :

ــ لم يعد لى سر .. لقد ضاع السحر ..

همست وشفتاها تقتربان من شفتيه :

ــ ماذا تقول ؟ ..

ــ ضاع السحر .. فقد تذكرت القصر ..

واختطفت منه قبلة سريعة .. وهمست وهى تغمض عينيها فى نشــــوة :

ــ سحرك لن يتركنى أبدا .

ودخلا الصالة ، وجلسا الى مائدتهما وطلبا الافطار ، ثم غرقا فى صمت طويل ، كان على لسان يوسف سؤال لايريد ان يخرج من فمه .. يريد أن يسألها كيف قابلتهم ، ومـــاذا قالت لهم ، ولكنه يشعر بارهاق شـــديد يجعله عاجزا عـن مجرد الكلام كان يشعر بالارهاق لمجرد محاولته التفكير ، لقد مضى عليه وقت طويل وعقله فى أجازة ، عقله الآن يحتـــج ويتمرد عليه ويرفض أن يطاوعه ويفكر له ، كل مافى رأســـه هو هذه الرغبة فى التحدى وهذا الفزع الذى تركته كلمـات جوليا فى نفسه وهى تقول له أنهما كانا طوال الأيام الماضية فى غيبوبة وذهول ..

نفسه تحدثه بأن التحدى لا يكفى لابد أن يصنع شـــيئا ، يستقر على رأى ، تكون له خطة ، ولكن أى شىء يصنع ، أى رأى يستقر عليه ، أى خطة يتخذها ؟..

انه لا يدرى .. عقله كسول بطىء لا يريد أن يسعفه ..

وسمع جوليا تسأله :

— ماذا يشغلك ؟

فقال بلا تردد

— لماذا لا نذهب وحدنا ..

قالت محتجة :

— ونتركهم .. لماذا نتركهم ؟

قال فى ارتباك

— لنرى القصر على مهل ..

وأحس أن كلامه لا يقنعها فاستطرد قائلا :

— أريد أن أراه معك وحدك ..

قالت باسمة .. بلهجة تأنيب

— كنا وحدنا طوال الأيام الماضية .. اننا فى حاجـــة الى الاختلاط بالناس ..

قال فى ضيق ..

— أتشعرين بالملل معى ؟

وأحس أن سؤاله سخيف ، وزاد من شعوره هذا أنهـــا ضحكت قائلة :

— مالك هذا الصباح .. ان كلامك غريب ..

قال معتذرا

— لست أدرى .. ماذا بى .

ثم أطلق السؤال الحبيس ..

ـ كيف تعرفت عليهم ؟.

فانطلقت تحكى له فى حماس.

ـ فتحت عينى هذا الصباح فوجدتك مازلت نائما كعادتك. ونظرت اليك بشغف كبير. وفكرت أن أقبلك فى أذنك، ولكنى خشيت أن تستيقظ وأنت فى حاجة الى النوم ثم سمعت صوت سيارة، كان صوتا غير عادى كأنه صوت سيارة نقل، فقمت من السرير ونظرت من الشرفة، فرأيت « أوتوبيس » كبيرا يهبط منه عدد ضخم من الرجال يتصايحون بلغة غريبة، ولست أدرى ما الذى جعلنى أشعر وكأنى سمعت هذه اللغة من قبل وخطر لى أنها قد تكون نفس لغتك، وأثارنى هذا الخاطر، وتمنيت لو كان صحيحا، فقررت أن أوقظك من النوم لأسألك هل هذه لغتك، وهل هؤلاء الرجال من بلدك.. صدقنى كان قلبى يحدثنى بالحقيقة قبل أن أعرفها، أليس هذا شيئا غريبا وذهبت اليك وقبلتك فى أذنك، وهمست « يوهسيف » ولكنك كنت غارقا فى نوم عميق، فأشفقت من ايقاظك، واحترت ماذا أفعل، وانتابنى أحساس قوى بأن هؤلاء الرجال يعرفونك، ولم أستطع ان أقاوم احساسى، فارتديت ملابسى على عجل، وهبطت اليهم.. حملقوا فى جميعا، وتهامسوا فيما بينهم، فتقدمت من أحدهم وقلت له..

ـ هاللوه..

فارتبك وتلفت حوله قبل أن يرد تحيتى، ولكن الجميع التفوا حوله ينظرون الى فى فضول شديد شعرت وكأنهم يتفرجون على كمخلوق غريب لم يروا مثله من قبل. وخاب أملى فى أن يكونوا من بلدك، ولكنى سألتهم..

ـ هل أنتم من مصر.

ولك أن تتصـــور كم كانت دهشـــتهم ، وأجابوا جميعا فى وقت واحـــد .

ــ نعم .. نعم .. أننا من مصر .

ولم أعد أستطيع أن أسمع شيئا ، كانوا جميعا يتكلمـــون ويضحكون وقد غمرهم انفعال شديد ، يلوحون بأيديهـــم ، ويتدافعون بأكتافهم حتى أصبحوا حلقة أنا محبوسة داخلها .

وأخيرا استطعت أن أسمع أسئلتهم .. سألنى أحدهم :

ــ أتعرفين مصر ؟

أجبت :

ــ نعـــــم ..

وسألنى آخـــر

ــ هل كنت هناك

قلت

ــ لا ..

فصاح أكثر من واحد ..

ــ اذن كيف تعرفينها

قلت وأنا أشـعر بزهو كبير

ــ انى أعيش هنا مع واحد من بلدكم

صـــاحوا

ــ من هـــو

قلت

ــ يوهسيف منصور

وارتفعت ضجتهم من جديد ، كانوا يسألون بعضهم بعضا عنك ، واندفع وسطهم الرجل الذى معه آلة التصوير ، وأخذ لى عدة صور ، وعنـــدئذ سألتهم ، فقالوا لى انهم صحفيون ويريدون نشر صورى فى صحفكم ، أتعرف أنهم سألونى متى تزوجنا ؟

وقاطعها يوسف فى عصبية :

ـ وماذا قلت لهم ؟

ضحكت ثناء :

ـ قلت لهم اننا لم نفكر فى الزواج بعد ..

ثم تطلعت اليه بعينين متسائلتين وقالت

ـ أليس كذلك ؟

قال يوسف بصوت جاد

ـ ابدا .. لقد فكرنا فى الزواج ، وحدثتك عنه ..

قالت على الفور

ـ ولكننا لم نبحث الموضوع جديا

فقال فى انفعال كأنه يدافع عن نفسه ضد اتهام موجـــــه اليــــه :

ـ ألا يكفى أن اقول لك سأتزوجك ؟

فقالت ضاحكة

ـ ولكنى لم اقل شيئا ..

وبهت يوسف ، لم يصدق ما يسمعه ، وحملق فى وجـــوم .. بينما قالت هى :

ـ لماذا تريد ان تتعجل كل شىء ، مازال أمامنا وقت طويل للتفكير ..

وسكتت برهة ثم قالت وفى عينيها شقاوة ..

ـ سأتزوجك على نار بطيئة .. ليكون زواجنا لذيذا ..

ولم يحاول يوسف أن يعلق على كلامها بشىء ، كان عاجزا تماما عن فهمها ، وقد تحول شعوره بالتحـــدى للمثقفين ، الى شعور بالغيظ منهم ومن جوليا ومن نفسه ومن الحياة كلها .

www.library4arab.com/vb

الفصل التاسع

www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

قطع **الفصل التاسع**	**الأتوبيس المسافة بين « كريستي برلى » وقصر « السينور » في نصف ساعة ، ولو كان قطعها في يوم أو عام أو في لحظة واحدة لما شعر يوسف بفارق الزمن ،**

كان يجلس واجما،غارقا فى دوامة من الانفعالات وحاولت جوليا أن تتبادل معه الحديث لتخرجه من صمته ، ولكنها شغلت عنه بالصحفيين الذين يوجهون اليها الكلام من كل جانب فى الأتوبيس • ونسيت يوسف فى غمار حديثها معهم فانصرفت عنه ، وتركت مقعدها ، وذهبت الى مقعد فى آخر الأتوبيس حيث التفوا حولها يثرثرون معها ..

كان يوسف يسمع صوتها ، ويسمع أصواتهم ، ثم تنطلق الضحكات ، دون أن يعى ماذا يقولون أو يدرى سرضحكاتهم•

كان رأسه يدوى بحديث آخر .. اذن فهى لا تريد الزواج تقول انها تريد أن تفكر ، ايصدقها ، أليست تراوغه ، ألم يخطىء فى فهم هذه المرأة على حقيقتها • من قال انها تبحث عن الحب ، أو تؤمن بالحب ، انها زوجة خائنة ، ملت الحياة مع رجل عجوز ، وتريد أن تتمتع بشبابها ستقضى معه بضعة أيام أخرى ، ثم تتركه وتبحث عن شاب آخر .. شاب سويدى هذه المرة ، وتتزوجه ..

هذه هى خطتها ، كيف لم يدرك هذه الحقيقة من قبل ، لن تتزوجه أبدا ، انه مغفل • ضحكت عليه ، أوقعته فى حبها لمجرد أن ترضى أنانيتها ، ثم تهجره .. ترك عمله ، وضحى به

وعرض نفسه لضياع مستقبله ، وأضاع سمعته .. فقد كل شىء من أجلها ، وهى لا تفكر الا فى نفسها ..

أممكن أن تقضى امرأة بهذه البساطة على حياة رجل ، أممكن أن تصل القسوة فى قلب المرأة الى هذا الحد · تبيعه كله ، حاضره ومستقبله ، من أجل لذة عابرة ·

لماذا يسأل نفسه هذا السؤال ؟
آن الأوان لأن يفيق ، ويفكر فى نفسه ·

ترى ماذا يقولون عنه الآن فى مكتب الاستيراد ·· هل أرسلوا له برقيات ·· هل عرفوا أنه أهمل العمل ·· هل فصلوه ··

هذه المهزلة يجب أن تنتهى فى الحال ، ويعود الى السويد فورا ، وسيفكر فى قصة يخترعها لبوسفلت سيقول له ان مكتبه فى القاهرة أمره بالسفر فورا لعقد صفقة عاجلة فى الدنمرك ، وقد أتم عقد الصفقة ، وها هو يعود ليستأنف عمله·
سيصدقه بوسفلت ، اذ كيف يخطر بباله أنه أقدم على مثل هذه الحماقة وهرب مع امرأة ، تاركا عمله فى استهتار شنيع ·

وماذا يقول لهم فى القاهرة ؟ ·· سيرسل لهم برقية عاجلة يقول لهم فيها ان مفاوضاته مع بوسفلت قد تعثرت ، وأنه وجد أثمان الورق مرتفعة فى السويد فاضطر الى السفر الى الدنمرك والنرويج لبحث عروض جديدة تقدمت بها الشركات هناك ، وبعد يوم أو يومين يكون قد عقد الصفقة فعلا مع بوسفلت ، فيرسل برقية أخرى الى القاهرة ، ويقول لهم ان المناورة التى قام بها ، بسفره من السويد قد أثمرت ، فجعلت بوسفلت ينهار ، ويقدم له عرضا جديدا بأسعار مخفضة ·
نعم انه يستطيع أن يحول الكارثة الى نجاح شخصى له ،

كـل ما عليه هو أن يعمل بسرعة قبـل فـوات الأوان ، وأن يصادفه بعض الحظ ، ولابد أن يقف الحظ فى صفه بعد كل هذه التعاسة التى مر بها ٠ لا يمكن أن تقسو عليه الحياة أكثر مما قست ٠٠ هذه المصيبة التى وقع فيها وهذه الفضيحة التى جلبها الصحفيون معهم هى نهاية الكابوس الذى أفاق منه ٠ ولكن كيف يمنع الصحفيين من نشر قصته ؟ ٠٠ لابد أن هناك طريقة ما لاسكاتهم ، سيحاول أن يتظاهر أمامهم بأن علاقته بجوليا علاقة عابرة ، مثل أى علاقة قد تقع بينهم وبين أى فتاة يصادفونها فى رحلتهم ٠ سيطلب منهم أن ينشروا صورها كما يشاءون ، ويرجوهم أن ينقذوه من نشر صوره ، أيوافقون ؟ حتى لو وافقوا ، فهو لن يثق بكلمتهم ٠

انه فى مأزق ٠٠ وقد زاد الموقف سوءا بسبب غبائه وبلادة تفكيره ٠٠ كان يريد أن يتحداهم بحبه ، يريد أن يتحدى العالم كله بجوليا ٠٠ ما هذا الجنون ٠٠ ما هـذا التخـريف كيف وصل به الحال الى أن يفكر على هذا النحو ؟

وتفرقت الأفكار من رأس يوسف بظهور رجل طويل أشيب الشعر أسمر البشرة ، يضع نظارات سميكة عـلى عينيه الجاحظتين من شدة قصر نظرهما ٠

جلس الرجل الى جانب يوسف فى المقعـد الذى تركته جوليا ٠٠ وقال وهو يحدج يوسف بنظراته الجاحظة :

ـ الأستاذ مقيم هنا ؟ ٠

فأجابه يوسف فى وجوم :

ـ لا ٠٠

ـ فى أجازة ؟

ـ أيوه ٠

قال الرجل مترددا :

ـ ولا مؤاخذة الست دى تبقى خطيبتك :

ـ أيوه ٠٠

نطق يوسف بالاجابة رغم ارادته ودهش من نفسه ، فزع قلبه ، كان يجب أن ينكر صلته بجوليا ، كان يجب أن يبدأ خطته الجديدة ، ولكن عقله الذى فكر ودبر له ، نسى أنه قادر على التنفيذ ٠

كان يظن أنه يستطيع النجاة من الهوة التى سقط فيها ، وعند أول محاولة ثبت له عجزه ٠

ولم يغضب ٠٠ وزالت دهشته ، وذهب فزعه ، وانتابته موجة جارفة من الحنان والحب واللهفة على جوليا ٠٠ انه يحبها ٠٠ يحبها ٠٠ يحبها ، لسانه لن يقول كلمة واحدة سوى « أحبك » لم ينس وعوده ، لم ينس السعادة التى غمرته بها ، لن ينسى أنها ضحت بزوجها وأهلها وكل من تعرفهم فى السويد من أجله ٠٠ انه هو الأنانى الذى لا يفكر الا فى نفسه، نسى ظروفها ، نسى ما عانته من زوجها السابق ، من حقها أن تفكر قبل أن تتزوجه ٠ وهى لم ترفض زواجه ، كل ما قالته هو أنها ستتزوج على نار بطيئة ليكون زواجهما لذيذا ٠ أيريد أن يسمع أجمل من هذا ـ لماذا وجم اذن ، ما الذى دفعه الى هذا التفكير الأسود ، فلتحرق صفقة الورق ، فليفصلوه من عمله ٠٠ يصنعوا أى شىء به ، ولكنه لن يتخلى عن جوليا ٠٠ حياته بغيرها ليست حياة ، هى الفرصة الوحيدة ، لأن يعيش مع العاطفة التى حرم منها فى حياته ٠٠ هى الفرصة الوحيدة لأن يعيش ٠ جوليا معه ستجعله يبنى مستقبلا أكبر من وظيفته فى مكتب الاستيراد لقد أخطأ بكتمان مشكلة عمله عنها ، سيروى لها القصة كلها عند عودتها الى الفندق ، وسيستشيرها وهو واثق من أنها ستفكر له فى المخرج السليم٠

ووجد يوسف نفسه ، وجها لوجه مع جوليا ، كان قد قام من مقعده ، وترك الرجل الذى جاء ليبادله الحديث وهو

لا يدرى ، لم ينتبه الى نفسه ، حتى وصل الى مؤخر السيارة وصافحت عيناه وجهها .

ووقفت جوليا فى مرح مشيرة الى المنظر خارج النافذة :

ــ يوهسيف ·· انظر ، ها هو قصر « السنيور » ، تماما كما فى الصورة .

يقع قصر « السنيور » على ركن من الشاطىء يحده ماء البحر من جانب ويحيط به خندق عميق من الجوانب الأخرى ، وهناك عبر الأفق يبدو شبح شاطىء بعيد .

أمسكت جوليا بذراع يوسف ، وجذبته بعيدا عن الصحفيين ووقفت عند صخرة ناتئة فى سور القصر الخارجى، وأشارت الى الشاطىء البعيد وهمست فى تأثر .

ــ هذا هو شاطىء بلادى ··

وخفق قلب يوسف ، وود لو أنه حملها بين ذراعيه وعبر بها البحر الى هناك ، انها تشعر بوحشة الى بلدها ، واقسم بينه وبين نفسه ، أن يجعلها تعود الى السويد كل عام بعد أن يتزوجها ويعيشا فى القاهرة لن يحرمها أبدا من أن تقول : « انظر هذه هى بلادى » .

قال لها باسما فى حنان :

ــ أتودين أن أحملك الى هناك ؟ فى خمس دقائق أصل بك ·· قالت والتأثر مازال فى صوتها :

ــ انك تستطيع فعلا أن تحملنى الى هناك ·· أتعلم أن هذه المنطقة كانت جسرا يعبره رجال المقاومة أيام الحرب عندما احتل النازى الدنمرك · انهم يكرهوننا لأننا لم نشترك فى الحرب معهم ، ولكننا ساعدناهم بحيادنا ، كانوا يفرون الينا ، وينظمون المقاومة السرية فى بلدنا ويحصلون على التموين من عندنا ، والألمان لا يستطيعون مطاردتهم ، لأنهم يسبحون فيصلون الى مياه السويد ويحتمون بها .

قال يوسف :

ـ يجب أن يسمعك الصحفيون ..

فأجابت وهى تمثل دور من سيدلى بسر خطير .. تلفتت حولها فى حذر ثم قالت بصوت خفيض :

ـ لا داعى لأثارة مشكلة دولية مع الدنمرك .. لقد دعوا الصحفيين ليستمعوا الى وجهة نظرهم ، لا وجهة نظرنا ..

ثم أردفت ضاحكة :

ـ على أى حال نحن شعبان توأمان كثيرا الشجار ، ولكننا سنعيش معا الى الأبد .

قال يوسف :

ـ لا تقولى انك تفهمين فى السياسة أيضا .

هتفت :

ـ أوه .. أنت لا تعرف عنى أشياء كثيرة .. ما زالت أمامنا سنين طويلة من الحديث حتى تعرف كل ما أعمله وأعرف أنا كل ما تعلمه .. أليس هذا شيئا مثيرا .

وكفا عن الحديث ، فقد اقبل عليهما فوج الصحفيين بأكمله يتقدمهم الدليل ، وفوجئا بالدليل يقول ان الصخرة التى يقفان عليها هى نفس الصخرة التى مثل عليها لورنس أوليفيه مشهد هاملت الذى يتأمل فيه حياته قائلا : « أكون أو لا أكون هذا هو السؤال ؟ .. »

وهمس يوسف فى أذن جوليا ، والزهو يملأه :

ـ لقد شاهدت الفيلم فى السينما ألم ترينه ؟ ..

قالت لدهشته :

ـ نعم .. ولكنه فيلم سخيف .

وقال يوسف لنفسه فى حيرة ، الأفضل أن أسكت ، حتى لا تكتشف أن ثقافتى أقل من ثقافتها .

ودخلا القصر ، وطافا مع الصحفيين بساحته الخارجية ، ثم طافا بالبهو الكبير الذى كان يستقبل فيه الملك زواره ، ويقيم الحفلات ، كانت جدران البهو مغطاة بعشرات الصور للملوك فى زى فرسان مدرعين ومدججين بالسلاح ، والدليل يشرح بافاضة تاريخ كل ملك ، ويوسف يستمع بانصات شديد ، كأنه يريد أن يعوض ما يشعر به من نقص ثقافته ولكنه لم يستمر فى الانصات ·

أحس بيد تربت على كتفه ، فالتفت وراءه ، فرأى الرجل الطويل الأشيب ينظر اليه بعينيه الجاحظتين وهمس الرجل :

ـ تسمح يا أستاذ يوسف ··

فترك يوسف الجماعة ، وسار مع الرجل الذى ابتعد عدة خطوات قبل أن يقف ويقول له :

ـ أنا عايز أكلمك ·· بس موش عايز حد يسمعنا ·

قال يوسف وقلبه يخفق قلقا :

ـ امتى ؟ ·

قال الرجل :

ـ دلوقتى ·· معندناش وقت تانى ·· احنا ح نكمل رحلتنا وانت راجع على اللوكانده ·

قال يوسف وهو يتوقع أن يسمع نبأ سيئا ··

ـ اتفضل ··

فوضع الرجل يده على كتف يوسف ، ودفعه بعيدا بضع خطوات وهمس :

ـ أولا أنا موش بأكلمك كصحفى اعتبرنى زى والدك ، أو حتى زى أخوك الكبير ، واحنا كانا لبعض ، وانت هنا لوحدك بعيد عن أهلك وأصحابك ·

وزاد خفقان قلب يوسف ، وسرت فى جسمه رعدة باردة ·· بينما استمر الرجل يقول :

ـ الواحد منا بيعمل حاجات كتيرة من غير ما يفكر فيها .

وبعدين يندم عليها ..

واكتشف يوسف أن الرجل يحدثه عن جوليا ، فتنهد وقد ارتاح لأنه فهم غرضه ، ولكن ثورة غضب بدأت تحتدم في صدره ..

وأردف الرجل :

ـ يعنى البنت دى .. أنا آسف اللى بأكلمك فى حاجة تخصك .. لكن أنا متأكد انك ح تفهم حسن نيتى .. لازم تفكر يا أخى قبل ما تتجوزها .. احنا اتكلمنا معاها وعرفنا ان كل ده حصل من كام يوم بس .. علشان ايه تورط نفسك فى جواز .. كفاية لحد كده .. بدل ما تندم بعدين .. ولا حد يعرف من أهلك ، ح تقول لهم ايه .. ح تعيش معاها ازاى فى مصر .. اسمع الكلام اللى قالوه الزملا هنا .. محدش منهم موافق .. شايفين انك غلطان ..

ولم يحتمل يوسف . انفجر هامسا فى حدة ، لانه لا يستطيع أن يصرخ حتى لا يسمعه الآخرون .

ـ أرجوك يا أستاذ .. أنا متشكر لاهتمامك بى ، لكن أنا متعودتش انى أسمح لأى مخلوق يتدخل فى شئونى الخاصة .

قال الرجل دون أن يتأثر بحدته كأنه يتوقعها :

ـ بس هدى نفسك .. وفكر فى كلامى .

ـ أنا خلاص خدت قرارى .. وأنا عارف ايه اللى بأعمله .

ـ معلهش .. عندك لسه وقت تفكر فيه .

قال يوسف متجهما :

ـ متشكر ..

وترك الرجل ، وعاد الى الجماعة واخترق حشدهم حتى وصل الى جوليا فوقف الى جانبها ينصت الى الدليل ولا يفهم شيئا مما يسمعه ..

وانتهت زيارة القصر ، فعادوا الى الاتوبيس الذى انطلق بهم الى كريستى برلى ، وتوقف لحظة حتى يهبط منه يوسف وجوليا ٠

صافحت جوليا الجميع ، وصاحت مهللة :

ــ سأراكم جميعا فى القاهرة ٠٠

ودعتهم فى تأثر وانفعال ٠٠ أما يوسف فحياهم فى وجوم وقفز من الأوتوبيس ، وكأنه ينجو من زنزانة تعذيب ، ولم تهدأ نفسه حتى مضت ساعات العصر ، وبدأ الغروب ٠٠

طغى عليه شعور غريب وهو يرقب الشمس تغيب ، شعر بأنه يفتقد الصحفيين ٠٠ ضجيجهم ٠٠ لغتهم ، وتمنى لو عادوا ٠ أو لو كانوا اختطفوه مع جوليا ولم يتركوهما وحيدين فى هــذا المكان ٠

ومنذ غادرهما وفد الصحفيين وهو ينتظر اللحظة المناسبة ليحدثها عن مشكلة عمله ٠٠

وكانت مهمته صعبة ٠٠٠

ليس من السهل أن يعترف لها بأنه كذب عليها وترك أعماله معطلة فى استوكهولم ٠٠ كيف يواجهها بكذبه وقد حرص دائما على أن يشعرها بحرارة صدقه ، الحب ليس فيه كذب ، القلب العاشق هو القلب الصريح ، هو القلب المفتوح على مصراعيه، أنه لا يستطيع أن يقول لها ٠ لقد كذبت عليك لأنى أحببتك ، كذبت عليك وأنت بجنابى ، كذبت عليك وأنا أنظر اليـــك ، وأتنفس عطرك ، وأسمع صوتك وألمس جسدك ، وأملأ حياتى بحبك ٠٠ ما يدريه أنها ستشك بعد ذلك فى كل كلامه ، وستظن أنه كذب عليها فى كل شيء ٠٠ كذب عليها وهو يحدثها عن حياته وحبه ، كما كذب عليها عن عمله ٠٠

كان يحس أنه سيحدث شرخا فى الصورة التى رسمها لها عن نفسه ، سيكشف لها عن نقطة ضعف فيه ٠٠ ستعلم أنه

ليس صادقا دائما ، وستتوقع منه مفاجآت أخرى تزعزع ثقتها به ، فتأخذ حذرها منه ، وتفكر بعقلها ، قبل أن تحبه بقلبها .

وبعد أن تسمع اعترافه ستدرك أنه ليس ملك نفسه تماما كما يبدو من تصرفاته .. سيتحول فى نظرها من ساحر شرقى مسيطر على نفسه ، الى مجرد موظف مهدد بالطرد من شغله ، وستعرف أنه خائف من هذا المصير ، فعمله هو مصدر رزقه الوحيد ، ولو ضاع منه فلن يجد عملا آخر ، اذ من يجازف بالحاقه بأى عمل بعد أن يعرف الجميع عنه أنه مستهتر لا يقدر المسئولية ، سيسلخونه بألسنتهم ، وسيتخلون عنه ، حتى عمه سيرفض مساعدته ، وسيتهمه بأنه أساء اليه وسود وجهه أمام النـاس ..

انه يتمنى لو وقعت معجـزة ، تعفيه من عبء الاعتراف لجوليا ..

ولكن أية معجزة ؟ أنتهبط عليه ثروة من السماء ، أنيقف الزمن فلا تأتى الأيام المختبئة فى المستقبل .. أن يفتح عينيه فاذا بكل ما حدث حلم ، فلم يسافر الى السويد ، ولم يقابل جوليا ، ولن يقع فى حبها ، أن يكون هو نفسه شخصا وهميا فليس فى الدنيا أحد اسمه يوسف منصور ... كلها معجزات مريرة مستحيلة ، لا يمكن أن تتحقق ..

ليس أمامه مجال للاختيار ، لابد مما ليس منه بد ، لابد أن يعترف لجوليا .. هى ملاذه الوحيد ، هى الأذن الوحيـــدة الحانية التى ستصغى اليه ، ولقد قالت له أنها تحبه حتى ولو كان لصا أو قاتلا هاربا من بلده .. سيسلم أمره لهـــا ، وسيتركها تتصرف به كما تشاء ، لو طلبت منه أن يبقى معها فى السويد فسيبقى ، وربما وجـد عمـلا فى تدريس اللغـة العربية ، أو فى أى شىء آخر .. انه لا يستطيع أن يفكر الآن ،

ولكنه حتما سيعرف كيف يعيش ، لن يترك الدنيا تهزمه لمجرد أنه وقع فى الحب .. ولمجرد أنه ارتكب نزوة فأهمل عمله ، كل ما كان يتمناه ، هو أن يكون قادرا على اسعاد جوليا ، انها مليئة بالحيوية ، مليئة بالرغبات .. ولقد هجرت زوجها لأنه لم يحقق لها بعض رغباتها ، لم يرقص معها فى سوليدن ، ولم يذهب معها الى « كريستى برلى » ، وجاء هو وحقق لها ما تريد ، ولكن هل يستطيع أن يمضى بعد ذلك فى تحقيق كل رغباتها ..

هل يستطيع .. هل يستطيع ..

واذا لم يستطع .. هل تبقى معه .. ألن تتركه بعد أن تكتشف حقيقته .. وتشعر بأنه عبء عليها .. أترضى بالزواج منه لتعيش معه فى حجرة حقيرة ، تكنسها بيدها ، وتطهو فيها الطعام ، وربما اضطرت الى العمل والانفاق عليه ..

آه لو كانت معه ورقة يانصيب تربح مائة الف جنيه .. تربح ألف جنيه .. تربح مائة جنيه ..

لو معه مائة جنيه أخرى ، لأجل اعترافه ، وعاش معها أسبوعا آخر قبل أن يفكر فى كل هذه المصائب التى ستلحق بـــه ...

أقبل الليل وهو مازال حائرا ، لا يعرف كيف يبدأ اعترافه لها ، وكانت تصرفاته قلقة ، لا يستقر فى مكان ، اقترح عليها أن يشربا كأسا فى البار قبل العشاء ، وهو يعتقد أنه سيحدثها أثناء الشراب ، ولكنه أفرغ كأسه بسرعة ثم طلب منـــها أن يخرجا ويسيرا على الشاطىء .. فوافقته دون أن تدرك قلقه ، ظنت أنه نشيط منفعل مثلها بعد مقابلتها للصحفيين وزيارة قصر الملك ، وكانت لا تكف عن الثرثرة مبدية اعجابها بأهل بلده ، وتسأله عن القاهرة ، وحياة الناس فيــها .. وهـــو يشاركها فى ثرثرتها ، ويفيض فى وصفه وشرحه ليعطى لنفسه

فرصة أطول فى تأخير الاعتراف ..

ورجعا من الشاطىء ، وتناولا العشاء دون أن يعترف لها ، وتضخمت المشكلة ، كانت الكلمات على لسانه ولكن شيئا ما يمنعه من النطق بها ، خانته شجاعته ، كأنه مقدم على الانتحار ، ورغم ذلك ظلت الكلمات تحتشد على لسانه ، وضرورة الاعتراف تلح عليه ، وعقله يؤكد له ، ألا نجاة له بغير الاعتراف ..

وصعدا الى غرفتهما ، وكانت أمامه الفرصة الأخيرة لأن يعترف قبل أن يأويا الى السرير ، وتنام هى ، ويظل هو مؤرقا طوال الليل .. فاستجمع شجاعته وقال بصوت متحشرج :

ــ جوليا .. هناك شىء هام لابد أن أحدثك عنه ..

كانت قد خلعت فستانها ، وأمسكت بجاكتة « البيجاما » لترتديها .. فالتفتت اليه وقد فاجأتها لهجته الجادة ، وقالت:

ــ ما هو ؟

فنظر اليها ، وأوشك أن ينفجر معترفا ، ثم خشى من الانفجار ، فابتسم ، وتقدم منها . ومد ذراعيه يريد أن يحتضنها ويقبلها ..

وتركته يقبلها على وجنتها وهى تحاول ارتداء الجاكتة ، ولكنه نزعها من يدها ، واحتضنها بقوة ، وقبلها فى عنقها وكتفها .. ثم اقترب بشفتيه من شفتيها ، فهمست :

ــ ألا تتركنى أرتدى ..

وقطعت قبلته كلماتها .. كان يقبلها بنهم وقسوة ، يقبلها كأنه يفرض عليها قبلاته ، ودون أن يشعر بأنها تبادله القبلات ، ودون أن ينتظر منها أن تبادله القبلات ..

ونزعت شفتيها من شفتيه ، وقالت لاهثة :

ــ أتركنى أرتدى ملابسى ..

قال بغير وعى :

ــ لن ترتديها ··

قالت فى دهشة :

ــ يوهسيف ··

ولم تكمل كلماتها ، أطبقت شفتاه على شفتيها من جديد ، ودفعته هذه المرة بشدة ، كأنها كادت تختنق ، وصاحت فى انفعال :

ــ ماذا تريد ؟

قال بصوت كالفحيح :

ــ تعـــالى ·

وجذبها من يدها ناحية السرير ··

فصاحت :

ــ لا ·· أنا متعبة ··

قال فى غباء :

ــ لمـــاذا ؟ ··

قالت :

ــ طول اليوم ونحن فى الخارج ··

ولم يفهم اعتراضها ، وقال بصوت غريب فيه بلادة :

ــ ألا تحبيننى ··

واستمر يجذبها ··

فصاحت فى غضب :

ــ أليس عندك شىء تفعله غير هذا ؟

فابتسم غير مكترث بغضبها ، وقال فى لهفة المحروم :

ــ لا تضايقينى ··

قالت فى حــدة :

ــ لا تضايقنى أنت ··

وفرت منه الى الحمام ، وأغلقت البــاب عليـها ، فوقف جامدا وســط الحجرة ، ينظر الى بــاب الحمــــام فى بلاهة ، ويعجب من نفسه ..

لماذا أصبح يريدها فجأة ، لماذا يحتضنها ويقبلها .. هكذا بلا مقدمات ، وحتى دون أن يشعر برغبة حقيقية فى أن يضم جسده الى جسدها بالعكس ، انه بعيد تماما عن هذه الرغبة، ليس فى جسمه عرق واحد ينبض بالشهوة ، أيريد أن يتخلص من عجزه عن مخاطبتها بالكلام ؟ ..

انه يريد أن يفعل أى شىء ، يريد أن يهرب من حيرة نفسه الى طمأنينة جسدها ، من حقه أن يلجأ الى جسدها ، فعندما يلتصق الجسدان تذوب المشاكل ، ويرتفعان فوقها ، وتتغير نظرتهما للأشياء ، وتبدو الحياة أجمل بكثير مما هى عليه الآن ..

سيطلب منها باسم الحب ، أن تأويه ، تأويه بقلقه ومتاعبه ومشاكله ، وتنسيه ماضيه ومستقبله بل تنسيه حاضره ، يريد أن يغرق ، يسكر ، ينتشى ، يتوه ..

وخرجت من الحمام ، ورمته بنظرة لوم ، فوجدته جالسا على طرف السرير ، ويده على خده ، ومنظره غلبان مسكين .

وابتسمت لمنظره .. وقالت بصوت ساخر :

- مالك .. أتريد أن تعتذر لى ؟

قال متظاهـــــرا بالاعتذار . وعقله يفكر بسرعة ، كيف يقنعها بأن ترضخ له :

- أنا آسف .. لأنى أظهرت حبى لـــك ..

- أظهرته فى وقت غير مناسب ..

- كنت أظن أن الحب ليس له وقت مناسب ووقت غيــر مناسب ..

- من قال هذا ؟ ..

ـ لم أتعود أن أرسل لك خطابا أستأذن فيه كي أحبك ٠

فقاطعته ساخرة :

ـ أنت فى حالة غير طبيعية ٠٠

ـ أنا كما أنا ٠٠ حالتى طبيعية جدا ٠٠

واقتربت منه ، وجلست الى جواره وهى تقول :

ـ أتدرى كيف كان تصرفك الآن ؟ ..

ـ ماذا فعلت ؟ ..

ـ قلت لى اسمعى سأحدثك عن شىء هام .. ثم هجمت على تقبلنى .. هكذا بلا مقدمات ، ماذا تظننى .. قطعة حجر ، أو مثل هذه العروسة ، لك الحق أن تفعل بها ما تشاء ، كيفما تشاء .. ما هو الشىء الهام الذى كنت تريد أن تحدثنى عنه ؟ ..

ـ لا شىء .. كنت أريد أن أقول لك انى أحبك ..

فضحكت ثم قالت فى تأثر :

ـ انى أعذرك .. أنت مازلت منفعلا بعد مقابلتك للصحفيين .. هل تشعر بالحنين الى بلدك ؟..

وأتاح كلامها الفرصة له ، فاندفع قائلا :

ـ نعم أشعر بحنين لها ٠٠

وصداقته ، فضحكت فى سعادة قائلة :

ـ لذلك هجمت على ، وكأنك ستحب بلدا بأكملها ..

ـ انى آسف ..

ـ وأنا آسفة ٠٠ كان يجب أن أفهم ٠٠ أتحقد على ؟ ٠٠

ـ لا ..

واقتربت بوجهها من وجهه ٠٠ وهمست :

ـ أتريد أن تقبلنى ؟ ..

قال على الفور :

ـ لا ..

ها هي تريد أن تحقق له غرضه وتمنحه نفسها ، ولكن العناد ركب رأسه ، أحس انه مقدم على عملية غش ، سيأخذ منها الحب ، ويعطيها الكذب . انها تظن انها تعوضه عن حنينه الى بلده ، وهو يريد أن يفر اليها من مشاكله فى بلده ، لا لن يقبلها .. انها تنظر اليه بعاطفة ورغبة .. وهو لا يحس الآن بأية عاطفة أو رغبة ..

قالت هامسة :

— اتكرهنى الى هذا الحد ؟ ..

— لا تقولى هذا ..

— لماذا لا تقبلنى ؟ ..

— فات الوقت ..

— لا تريد .. هه ؟ ..

— لا أريد ان افرض عليك نفسى ..

— ولكن أنا التى ادعوك الآن ..

قال فى انفعال :

— اسمعى .. أشعر كاننا فى دكان نساوم على شراء بضاعة ..

— لن تساوم معى ابدا .. ساقبلك أنا ..

وقبلته ..

ولم يستطع أن يستمر فى عناده ، ما كاد يحس بشفتيها بين شفتيه ، حتى كانت بين ذراعيه ..

وانساه جسدها مشكلته .. ولم يعترف الليلة ..

★★★

فتح عينيه فى الصباح ، فلم يجدها الى جانبه ، ولا فى الغرفة ، وأطرق بأذنيه ، وهو يتوقع أن يسمع صوت الصحفيين كما سمعه صباح أمس ، فلما لم يسمع شيئا ، ذهب الى الشرفة واطل منها ، كأنه مازال يتوقع عودتهم ، وبحث عن جوليا فلم يجدها ، ودخل الحمام وهو مكتئب ..

مضت ستة أيام منذ أن نزلا بهذا الفندق ، وفى اليومين الأخيرين فقط ، كان يستيقظ فى الصباح ولا يجدها ، فى الصباحين الأولين كانا يتأخران فى النوم ، ويستيقظان معا فى وقت واحد ، كأنهما جسد واحد ، يستيقظ وينام فى وقت واحد ..

وفى الصباحين التاليين ، كان يستيقظ بعدها ، وكان يجدها راقدة الى جواره ، متيقظة ولكنها لا تريد ترك الفراش ، حتى يستيقظ هو الآخر ويقبلها ..

وبالأمس استيقظ فلم يجدها فى الغرفة · كانت قد ذهبت للصحفيين ، واليوم يتكرر نفس الشىء .. ترى ما السبب، لماذا لم تنتظره ؟ ..

ونظر الى وجهه فى مرآة الحمام ، كان وجهه متجهما ، وعيناه تحيطهما هالة زرقاء ، كأنه لم ينم منذ شهر وقال لنفسه .. « هذا وجه رجل تعيس » وتذكر فى نفس اللحظة اعترافه الذى يجب أن يدلى به لجوليا ·· الوقت يمر بسرعة ، والأسبوع أوشك أن ينتهى ، وهو مفلس ، ليس عنده رصيد من الوقت ، ولا رصيد من المال ، لو تركا الفندق اليوم فسيدفعان حوالى أربعين جنيها ستدفع جوليا نصفها .. لحسن الحظ أنها ستدفع نصفها .. وسيتبقى معه ستون جنيها ، يجب أن تكفيه فى عودته الى السويد حتى ينهى صفقة الورق ثم يعود الى القاهرة ·

ماذا يقول ؟..

ما أدراه أنه عائد الى صفقة الورق ما أدراه متى يعود الى القاهرة .. كل شىء يتوقف على جوليا ، وما ستقوله له بعد أن تسمع اعترافه ·

ومد يده ليفتح صنبور الماء ، فانتبه الى وجود قطعة معدن فى شكل أسطوانة تبرز من الحائط الى جانب الصنبور،

ورأى منقوشا عليـــــها كلمة باللغة الدنمركية ، كأن يراها لأول مرة ، رغم أنه دخل الحمام ووقف أمام الحوض وفتح الصنبور عشرات المرات ..

وتحسس الأسطوانة بأصابعه ، وضغط عـــلى طرفهـا ، فاذا برغاوى صابون سائل تهبط من ثقب فى أســــفلها ، ودهش كيف لم ينتبه الى كل هذا حتى الآن ، وتساءل هــل تعرف جوليا بهذه الاسطوانة ، وافرغ ما فى داخلها مــن رغاوى .. وهو يفكر .. اين ذهبت جوليا ؟ ..

وفرغ من الحمام على عجل ، وارتدى ملابسه ، وهبط يبحث عنها ، فلم يجدها ، وبينما يدور فى أنحاء الفندق ، وجد بابا خلفيا يفضى الى الغابة ، ودهش مرة أخـــرى لأنه لم ير هذا المدخل الثانى للفندق من قبل ..

عيناه اليوم تقعان على أشياء جديدة باستمرار ، كأنه يدخل الفندق لأول مرة ، كأنه يفتح عينيه لأول مرة ، وأدرك أن عقله يعمل بشدة ، وأن حواسه منتبهة متحفزة ، ذهب الكسل والوخم عن عقله ، وأحس بنشاط ذهنى هو فى أشد الحاجة اليه ليواجه به حبه ومصيره ..

وذهب الى موظف الفندق ليسأله عن جوليا ، وابتسم الرجل مرحبا به كأنه يعرفه من زمن طويل ، فعجب لأنه لم يبادل الرجل أى نوع من الصداقة ، هذه أول مرة يتفـــرس فيها فى وجهه الشاحب وشاربه الأصفر الكث ، لا شـــك أن الرجل كان يرقبه وهو مع جوليا ، ويعرف عنه الكثـــير .. وضايقه أنه كان يعيش فى غيبوبة ، لاهيا عـــن الناس ، والناس غير لاهية عنه ، كان على وشك أن يشرح للرجل أن معه سيدة وأنه يبحث عنها ، ولكن الرجل يعرف كـل هذا ، ولم ينتظر سؤاله ، بل قال له والابتسامة لا تغـــادر شفتيه ، أنها تناولت طعام افطارها وذهبت الى الغابة ..

وقرر ألا يلحق بها ، لن يتبعها ، لمـــــاذا لم تنتظره حتى يستيقظ وتتناول افطارها معه . كيف تخرج وحدها وتتركه دون أن يعلم أين ذهبت ٠٠ لن يذهب اليها حتى لو أرســـلت فى طلبه .. ان تصرفاتها أصبحت غريبة .. لم تعد تهتم به كما كانت تفعل من قبل ، كان هو كل شيء ، فأصبح له أكثر من منافس ، اهتمت بالصحفيين ، وبقصر هاملت ، وغضبت بالأمس ٠٠ قالت له أنه اختار لحظة غير مناسبة ٠٠ أتتذكر يوم بادلها الحب فى الغابة .. كان من المحتمل ان يراهما أى عابر وهما راقدان تحت الشجرة فى العراء ، لم تقــل له أن المكان غير مناسب ، وكانا مجهدين بعد سفر كوبنهاجن ولكنها لم تعترض ، كانت راغبة فى الحب مثله وأكثر منه ، كانت لا تزال فى غيبوبة الحب ، ثم أفاقت منها ، كما أفاق هو، آه .. من المستحيل أن يعودا الى هذه الغيبوبة من جديد .. وقعا فيها بغير عمد ، ولا يمكنهما أن يعودا اليها عامدين ..

كانا فى ذلـك الوقت تحت سيطرة عاطفتها ، بـلا عقل ولا تفكير ، تسأله جوليا عن موعد انتهاء أجازته فيجيبهــا ذاهلا أن أجازته لن تنتهى ، وكان يصـــدق اجابته ، وهى تصدق اجابته ، كانا يتكلمان دون أن يعنيا مايقولان ٠٠ كان الكلمات ليست للفهم ، وانما هى شيء يخرج من الجسد الى الجسد ٠٠ كلمات تتحسس كلمات ، وتتلامس كما تتلامس بشرة وجهيهما وتتشابك أيديهما وتختلط كما تختلط أنفاسهما ٠٠ وما عدا ذلـك فكل شيء سهل ميسور مـن الممكن تحقيقه ٠٠ أجازته أبدية وماضيه ومستقبله هما هـذه اللحظة التى يقضيانها معا ..

أيعود هذا الحال بعد أن تحرك عقله .

مستحيل .. مستحيل ..

الآن يجب أن يحبها بعقله كما يحبها بقلبه ٠٠ عقله بـدأ يتدخل ويملى ارادته ، وينبش ويفتق المشاكل ويبدد الأحلام

ويحول الكلمات العاطفية الى اوهام ساذجة لا معنى لها..
الكلمات العاطفية أصبحت ثقيلة مرهقة ، لم يعد لسانه يتحمل مذاقها .. طعمها فى فمه غريب ..

عقله يقول له ، اذا كنت تحبها ، فليكن حبك بذكاء ، لقد أضعت أيامك وأنت تلهث وراء تفاصيل جسدها ، وتشغل نفسك بألوان ملابسها ، ونوع عطرها .. أنت تستطيع الآن أن تغمض عينيك وتذكر كل قطعة من ملابسها الداخلية ، تذكر لونها ، ومتى ارتدتها ، ومتى خلعتها ، وأين تضعها فى الدولاب .. فمتى تفكر فى تفاصيل حياتك معها .. اغمض عينيك وحاول أن ترسم صورة مستقبلك معها ..
ولم يحتمل الاسترسال مع أفكاره .. ولم يعد يصبر على تركها وحدها فى الغاب ، فخرج من الفندق واتجه الى الغابة باحثا عنها ..

ووجدها حيث كان يتوقع ، تجلس تحت الشجرة التى تبادلا عندها الحب ، وفى يدها كتاب تقراه ..
صاحت مهللة :
ـ أخيرا استيقظت ..
ماكاد يراها ويسمع صوتها حتى شعر بأنه يريد أن يعود الى الفندق ، وقد اطمأن لرؤيتها ، وارتاح لأنها تجلس تحت هذه الشجرة بالذات ..
قال لها :
ـ ماذا تقرئين ؟
ـ كتاب اقترضته من الفندق ..
ـ قصة ؟
ـ انه عن رحلة فى القطب الشمالى ..
ـ أيعجبك ؟
ـ جدا .. اظن انى سأفرغ منه هذا المساء ..

قال فى هـــدوء :

ــ استمرى فى القراءة .. أنا عائد الى الفندق ..

قالت فى براءة :

ــ ولماذا لا تجلس معى .. سأترجم لك ما أقرأ ..

ــ عندى بعض الخطابات سأكتبها الى القاهرة ..

فهتفت :

ــ اسألهم ان يرسلوا لك الصحف التى تنشر صورنا ..

فابتسم ولم يقل شيئا ..

واردفت بعد تفكير :

ــ انت لم تقل لى أبدا متى تنتهى أجازتك ..

قال بعد تردد ..

ــ مارأيك ؟

فسألته فى دهشة :

ــ أتستطيع أن تحدد أجازتك كما تشاء .. أظن أنك لابد أن تعود بعد شهر على الأكثر ..

وكاد أن يعترف لها بكل شىء .. ولكنـــه قـــال بعـــد برهـــة :

ــ سأذهب الآن .. سنتحدث فى هذا فيما بعد ..

وعاد الى الفندق .. وذهب الى منضدة للكتابة ، وجلس عليها ، وهو يشعر انه يجب ان يكتب فى الحال الى القاهرة .. يكتب ماذا .. يكتب لمن .. هذا ما يجب أن يفكر فيه الآن ..

وفكر فى أن يكتب لعمه خطابا يشرح فيه قصته ، ويخبره أنه تزوجها فعلا .. حتى يضعه أمام الأمر الواقع .. ويضطره لأن يرسل له بعض النقود .. ان كتابة خطاب لعمه ، اسهل من مواجهته فى القاهرة ، وأمسك بالقلم .. وبدأ يكتب .. « عمى العزيز .. » ثم توقف القلم فى يده ، ولم يكتب حرفا

واحدا .. احس ان قصته الحقيقية لا يمكن ان يعبر منها في خطاب ، الكلمات على الورق تافهة حمقاء ، لاتعبر عن حبه لجوليا لاتصور كيف حصل منها على الحنان الذى حرم منه طوال حياته .. هناك أشياء لا يستطيع ان يبوح بها لأحد ، حتى ولو كان عمه .. انها سر بين حبيبين ، وجوليا وحدها هى التى من حقها ان تعرف هذا السر ، فقد سمعت أحزانه ، وذكرياته عن أمه وأبيه ، وفهمت أنه وجد فيها الحب الذى افتقده بعد موت أمه .. لقد عرى نفسه أمام جوليا ، ولكنه لا يستطيع أن يعرى نفسه أمام أى مخلوق سواها .. ان الذى يحب ، يكفيه أن يقول للناس انه يحب، ولا يبرر حبه ولا يعرى نفسه امامهم ..

هو فى نفس الوقت لا يستطيع أن يكتب لعمه ، يخطره بانه أحب وتزوج ، كأنه يخطره بعقد صفقة تجارية ، ثم يطالبه بأن يرسل له بعض النقود .. سيكون خطابا وقحا يدل على حماقته وجنونه ..

وعدل عن كتابة الخطاب لعمه ..

ثم عاد وفكر فى أن يكتب له ، يطالبه بارسال بعض النقود لأن نقوده نفدت . دون أن يذكر له شيئا عن جوليا .

وفاجأته مشكلة .. كيف يرسل الخطاب من الدنمارك ، والمفروض انه فى السويد ، وسيتصل عمه بمكتب الاستيراد ويخبرهم بأنه مفلس فى الدنمرك ، فينكشف امره ..

لابد أن ينقذ الموقف أولا مع مكتب الاستيراد ، لقد فكر فى حل معقول بالأمس ، فلماذا لا ينفذه ، سيخطرهم بانه مسافر الى الدنمارك والنرويج لمناقشة عروض جديدة فى صفقة الورق وسيطلب منهم أن يرسلوا له النقود بالتلغراف ..

يرسلوها الى اين ؟

فليرسلوها الى النرويج .. وليسافر الى النرويج ، فمادام يكذب فلابد أن يتقن الكذبة ، ولابد أن يضخمها حتى يصدقوها

والدنمارك ليست مشهورة بمصانع الورق ، ولكن هذه المصانع متوافرة فى النرويج ..

وأعجبته الفكرة ، فترك المكتب ، وذهب الى موظف الفندق وسأله عن مواعيد الطائرات المسافرة الى النرويج ..

قال له الرجل مبتسما :

— ستقوم يا سيدى برحلة الى القطب الشمالى ؟ ..

سأل فى عجب :

— لمــــــاذا ؟

— لأن المدام اخذت هذا الصباح كتابا عن القطب الشمالى .. ثم جئت تسأل عن مواعيد الطائرة للنرويج ..

قال كأنه يعتذر :

— لا .. انى ذاهب الى هناك فى عمل ..

— ولماذا لا تنتهز الفرصة .. ان الرحلة من أوسلو الى القطب الشمالى لن تكلفك اكثر من خمسة وعشرين دولارا .. اننا فى موسم شمس منتصف الليل ..

وفحص الرجل جداول سفر الطائرات ، ثم قال له أن هناك طائرتين تغادران كوبنهاجن الى اوسلو هذا المساء ..

وتركه يوسف وقد اشتد انفعاله وخرج الى الغابة قاصدا جوليا ليخبرها بأن تستعد للسفر الى النرويج ..

وجدها غارقة فى القراءة ، فجلس الى جانبها وقال بصوت هادىء محاولا أن يكتم انفعاله ..

— مارأيك فى السـفــــر الى النرويج ..

نظرت اليه فى دهشة وهتفت :

— لمــــــاذا ؟

— النرويج ..

— وما السبب ؟

— عندى عمل هناك ..

— متى ؟

— الليلـــة ..

صاحت فى دهشة .. وهى تضحك فى انفعال ..

— ولماذا لم تقل لى قبل الآن ..

— ايضايقك هـــذا ؟ ..

وتحولت دهشتها الى مرح ، وقد استسلمت للفكـــرة .. ونهضت واقفة وهى تصيح كالطفلة ..

— هيا بنـــا ..

وشعر بسعادة غامرة ، لأنها لم تسأله اسئلة كثيرة ، ورضيت بأن تتبعه بلا مناقشة .. وكان قلبه يحدثه أنه سيجد فى النرويج حلا لجميع مشاكله .. ربما عقد هناك صفقـــة الورق ، وتزوج جوليا ، وحصل على النقود من القاهرة ، وجاءته برقية من عمه تهنئه بالزواج ..

كان ينظر الى جوليا ، فيقول له وجهها الطيب الحنون ، انها ستجلب له الحظ والسعادة .

وأسرعا الى الفندق ، وقلبه يثب بين ضلوعه ، والتفاؤل يزداد فى صدره .. حتى صاح فى نشوة قبل أن يدخل الفندق :

— جوليا .. ما رأيك لو زرنا القطب الشمالى ونحن فى النرويج .. ووقفت جوليا تنظر اليه فى غير تصديق ، تود لو انها قبلته بعينيها .. وهتفت ..

— أوه .. أنت مدهش ..

وقذفت بالكتاب فى الهواء ، صائحة وهى تلتقطه بيديها .

— لست فى حاجة الى قراءة هذا الكتاب ..

الفصل العاشر

www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

وصلا

الفصل العاشر

أوسلو عاصمة النرويج بعد منتصف الليل ، وكانت الشمس قد غابت منذ ساعة واحدة ، والمدينة هادئة غير ساهرة ، أضواؤها القليلة تنعكس على أسفلت شوارعها المبللة ..

كل المدينة تبدو مبللة غسلها المطر ، وهى راقدة تنتظر طلوع الشمس لتجففها .

وذهبا الى فندق «فاينكنج» وصعدا الى حجرتهما فى الطابق السابع .. حجرة ضيقة ، جدرانها مطلية بالوان الأخضر ، كأنها غرفة فى مستشفى ، ولها نافذة صغيرة تطل على ميدان شكله غير منتظم ، لا هو مستدير ولا هو مستطيل .. ميدان منبعج ، تنبعث منه رائحة غريبة رطبة .. رائحة شىء مغسول ، مختلطة بنسمات البحر وأنفاس النائمين فى الليل .

وتحمسا أول الأمر . فقررا أن ينطلقا الى مكان يقضيان السهرة ، فهبطا من حجرتهما وخرجا الى الشارع ، وطافا بالمدينة فوجداها مهجورة تركها أهلها بلا حراسة .. وناموا .

وانتقلت اليهما عدوى الهدوء ، وتثاءب يوسف ، ثم تثاءبت جوليا ، وتبادلا النظرات وضحكا .. وسمعا المدينة تردد صدى ضحكاتهما دون أن تستيقظ ، فعادا الى الفندق ، وناما فى الحال ، كأنهما تناولا مخدرا ..

واستيقظ يوسف فى الصباح على صوت جوليا وهى تخاطب الخادم الذى أحضر لهما طعام الافطار ، وجلس فى السر يهرش رأسه ، ثم نهض من الفراش وهجم على الافطا وشعور غريب يراوده ، بأنه كان مريضا وشفى .. شفى تماما

الصباح فقط ، فهو جائع يريد ان ياكل ، وهو نشيط يريد ان يتحرك ، وهو يشعر بصفاء فى ذهنه ، وتركيز فى أفكاره ، ووضوح فى مشاعره . وكل هذا لم يحسه منذ زمن طويل .

كان يأكل بسرعة ، ويفكر بسرعة .. ويتخذ القرارات بسرعة .. كأنه يملك عصا سحرية ، تشق له أى طريق ، وتتغلب على أية عقبة .. كان يحس بالخطر ، ولكنه لم يعد يخشاه، ولم يعد قلقا منه .. كان يشعر انه أصبح فوق الخطر وفوق المخاوف . وكأن الأيام الماضية قد استنفدت كل ما كان عنده من قلق ومخاوف وانفعالات .. لقد نضج ، ومر بأزمة الاضطراب وأصبح مسيطرا على نفسه ، متمالكا لأعصابه ..

كان يقول لنفسه فى هدوء مثير .. « هنا النهاية » هنـــــا القرار الأخير .. لقد ارسلت برقية الى القاهرة من مطـــــار كوبنهاجن ، وطلبت من مكتب الاستيراد ان يتصل بى تليفونيا فى هذا الفندق اليوم .. سألقى عليهم اكذوبتى ، وسأوهمهم بأنى هنا من أجل صفقة الورق ، وسأطلب منهم ان يرسلوا لى بعض النقود .. لو صدقونى فقد تخطيت نصف الأزمة .. وبقى أن أواجه نصفها الآخر .. بقى ان أعرف ما هو مصيرى مع جوليـــــا ..

اما أن أتزوجها أو نفترق الى الأبد ، وعليها أن تقرر .. سأقول لها .. جوليا ، انا لم اتم عملى فى السويد .. اهملته من اجلك .. كذبت عليك لانى اردت ان اكون معك .. اردت أن أصحبك الى تلك الأماكن التى كنت تحلمين بها .. وأنا الآن معرض لأن أفقد عملى واخسر مصدر رزقى .. جوليا .. هذه هى الحقيقة .. وأنا أحبك .. هل مازلت تحبيننى رغم كل هذا .. هل تتزوجين احمق مثلى ؟ ..

هكذا .. ببساطة ، وبلا مقدمات ، سيعترف لها ، ويتركها تقـــــرر ..

ولكن قبل أن يعترف .. لابد أن يحقق هذا الخاطر الجنونى الأخير .. لابد أن يقوم معها برحلة القطب الشمالى ..

انه فى حاجة الى هذه الرحلة الختامية مع جوليا .. قد تكون هذه الرحلة هى ختام الحب قبل الزواج ، وقد تكون ختام الحب قبل الافتراق .. انها على اية حال رحلة وداع لأيام المرح بلا مسئولية ، لأيام نسيان الواقع ، لأيام تجاهل فيها مشاكل عمله وحياته ..

يريد أن يقدم على هذه المغامرة عن عمد .. يريد أن يحبها بجنون وهو فى قمة عقله . يريد أن يزيد من لحظات الخطر وهو فى أقصى درجات وعيه .. يريد أن يستمر فيما لا يمكن أن يستمر فيه .. يريد أن يمضى معها الى نهاية النهاية ..

سيأتى يوم ، يذكران فيه معا ، وقد تقدمت بهما الأيام ، أن الحب قد منحهما قوة خارقة ، جعلتهما لا يكتفيان بالسير كالمحبين فى الطرقات والحدائق وعلى شاطىء البحر .. وانما جعلتهما قوة الحب ، يسيران عبر حدود الدول .. عبر الجبال .. عبر الغابات .. عبر الجليد .. الدنيا كلها تحت أقدامهما .. الطبيعة كلها طوع حماقاتهما وطيشهما ..

فرغ يوسف من افطاره ، دون أن تغادر وجهه بشاشة تعبر عن حالته النفسية المطمئنة ..

وقال لجوليا ضاحكا :

ـ أريد أن أقول لك شيئا هاما ..

قالت ساخرة :

ـ أعرفه .. ستقول انك تحبنى ..

قال يبادلها السخرية :

ـ ما أريد أن أقوله .. ليس هاما الى هذه الدرجة ..

ـ اذن ما هـــو ؟

ـ كنت افكر .. لو ..

وسكت مترددا .. فقالت تشجعه على الكلام :

ـ لو .. مـــاذا ؟

ـ لو حدث أننا افترقنا .. لأى سبب .. ثم تقابلنا بعد ذلك صدفة .. تقابلنا فى الطريق مثلا .. فهل تقفين وتردين على تحيتى ؟ ..

ـ طبعا .. لماذا تقول هــــذا ؟

ـ كنت أخشى الا تردى على تحيتى ..

فضحكت وسألته فى انفعال :

ـ وكيف وصلت بأفكارك الى هذه النهاية ؟

ـ لســـت أدرى ..

ثم قال بسرعة :

ـ ربما لأنى سأطلب منك أن تتركينى الآن .. وتذهبى الى شركة الطيران وتسألى عن تذاكر الطائرة للقطب الشمالى

قالت :

ـ وماذا تفعل أنت ؟

ـ سأنتظر تليفون القاهرة ..

وذهبت جوليا الى شركة الطيران ، وجلس هو فى بهو الفندق فى انتظار مكالمة القاهرة ، فى ثقة وهدوء غريبين ، كأنه تحول الى شخص بليد لا ينفعل ، ولا يثيره شىء ..

كان يدخن سيجارة ، ينفث دخانها فى تكاســـل ، وقد وضع ساقا على ساق ، وشغل نفسه بمتابعة الشقراوات اللاتى يدخلن ويخرجن من الباب الدوار الكبير .. غير مهتم بتأخر المكالمة ، وغير مهتم بتأخر جوليا فى مكتب الطيران .. كأنه مطمئن الى أن كل شىء سيتم كما يريد ..

وعادت جوليا قبل أن تتصل به القاهرة ، وقالت لـــه أنها قطعت تذكرتين فى طائرة المساء ، ستغادر الطـــائرة «أوسلو» فى الساعة السابعة مساء وتصل الى بلدة « بودو » بالقطب الشمالى قبل منتصف الليل بنصف ساعة .

ومضت جوليا تثرثر بالمعلومات التى سمعتها فى مكتب الطيران .. لن يناما هذه الليلة ، سيشاهدان الشمس فـــى منتصف الليل ، ويتناولان طعام العشاء فى كوخ خشبى ثم يعودان فى نفس الطائرة مع الصباح .

استمع اليها يوسف ، وقد بدأ القلق يهاجمه .. خشى الا تتصل به القاهرة ، فتتركه نهبا للظنون .. اكتشف أن كل اطمئنانه قائم على شيء واحد ، هو اتصاله بالقاهرة .. أن يسمع صوتا من هناك .. وأن يسمعهم صوته ويلقى اليهم بأكذوبته ..

ورفض أن يستسلم للقلق ، فذهب الى عاملة التليفون ، وطلب منها أن تعرف سبب التأخير ، ولم يتركها حتى أخطرته أن القاهرة ستتصل به فعلا بعد دقائق ..

قالت له جوليا بعد أن فرغ من مكالمته :

ـ لماذا كنت تصرخ ؟ ..

فضحك قائلا :

ـ حتى تسمعنى القاهرة ..

قالت له بصوت جاد :

ـ هل رفضوا طلبك ؟ ..

ـ أبدا ، سيرسلون لى كل ماطلبته من نقود ..

فقالت وهى تتنهد :

ـ ظننت من صراخك أنك تشاجرت معهم ..

صاح فى سعادة :

ـ جوليا .. انى أتفاءل بك .. لقد خرجت من أكبر مأزق وقعت فيه ..

سألته فى دهشة :

ـ أى مأزق ؟ ..

صاح :

ـ سأرويه لك .. هناك .. فوق .. فى القطب الشمالى .

★★★

وركبا طائرة صغيرة ذات محركين وكان يشاركهما فى الرحلة فوج كبير من السياح الأمريكيين أغلبه من السيدات العجائز ، وحلقت بهما الطائرة فوق أرض ممتدة من الغابات والجبال والبحيرات المتجمدة .. أرض وقورة داكنة خشنة ، مناظرها تثير الرهبة والوحشة ، مناظر تدفع العين الى أن تتخطاها وتتجاهلها وتنظر الى الخيال .. سرح يوسف بعينيه وراء السحاب والضباب ووراء قمم الجبال : المناظر هنا تختلف تماما عنها فى مصر .. هنا لاشىء يدعوك الى الوقوف كل منظر يدعوك الى أن تتحرك وتتقدم بقدميك خطوة أخرى ، هنا أنت محاصر دائما ، تريد أن تنجو من الحصار ، تعترضك هضبة أو قمة جبل أو واد سحيق .. أو يعترضك ضباب أو مطر أو جليد ، هنا لاتستطيع أن ترى الأفق غير المحدود .. الأفق دائما مجهول .. دائما مختبىء وراء الهضبة التالية ، أو وراء القمة العالية .. وتقول لنفسك فلأتقدم خطوة أخرى لعلى أخرج الى الأفق الفسيح .. وتظل تتقدم وتتقدم الى مالانهاية ..

في مصر الأفق مكشوف ·· لا شيء يحجبه عن العين ·· لا شيء يعترض المسير اليه ·· لو وقفت في أول الصحراء أو في منتصفها أو في آخرها لو كنت في حقل أو في طريق ·· لو كنت في مدينة أو في قرية ·· فعيناك تريان دائما الى آخر المدى ·· فتصبح الحركة بلا فائدة ·· والخطوات بلا معنى ·· لا شيء جديد يصادفك ، والمناظر لا تتغير سواء مشيت خطوة أو مشيت آلاف الخطوات ··

طافت هذه الخواطر برأس يوسف ·· فالتفت الى جوليا وسألها :

ـ ما هو شعورك وأنت ذاهبة الى القطب الشمالى ؟ ··

فسألته بدورها :

ـ ما هو شعورك أنت ؟ ··

قال لها باسما :

ـ أنا في حالة فلسفة ··

ـ فيم تفكر ؟ ··

ـ أفكر في الفرق بين طبيعة هذه البلاد وطبيعة بلادى ··

فسألته في اهتمام :

ـ ما هو الفرق ·· حدثني عنه ؟ ··

قال يروى لها ما كان يفكر فيه :

ـ هنا ·· مع كل خطوة تشاهدين أفقا جديدا ·· مع كل خطوة تتغير صورة العالم ·· قمة جبل تظهر ·· غابة تختفى ·· واد يصادفك · هنا الطبيعة مليئة بالمخابىء والأسرار ·· يخيل الى وأنا مسافر أني أبحث عن ملجأ في الطبيعة ·· أبحث عن مأوى ·· أو أريد أن أفر من مأوى ·· هذا الشعور لن تجديه أبدا في مصر ·· الطبيعة هناك مكشوفة متجردة ، ولا يمكنها أن تأويك ·· أو تحاصرك ·· انها عراء بلا خبايا ·· بلا أسرار ··

فسألته جوليا هامسة :

ـ وإذا أردت أن تهرب .. فإلى أين ؟

فـــال :

ـ المهرب الوحيد .. داخل نفسك .. فى بلدى تسقط الناس فى آبار عميقة داخل نفوسهم .. كل الخبايا والأسرار والضباب الذى تجدينه فى الطبيعة هنا .. تجدينه داخـل النفوس فى بلـــدى ..

ـ حتى أنت ..

قال وهو يملأ رئتيه بالهواء :

ـ حتى أنا ..

وأردف يقول فى حرارة :

ـ أنت لا تعلمين كم أنا معقد .. كم أنا ملىء بالمشاكل .. كم أنا خائف من نفسى ..

فنظرت اليه فى استنكار .. وأحس أنها غير راضية عن طريقته فى الكلام عن نفسه .. ولكنه استمر يقول :

ـ أتعلمين أنى كذبت عليك ؟ ..

ونظر اليها .. كان الانفعال يتوثب فى نظراتها وأنفاسها ..ولكنها ظلت صامتة لا تقوى على الكلام ..

ومضى فى اعترافه .. روى لها كل شىء .. كيف لم يتم صفقة الورق مع بوسفلت .. كيف أنه معرض للطرد من عمله .. كيف ظل أياما يعذبه القلق والخوف من أن يبــوح لهــا بالحقيقة ؟ ..

ثم ختم اعترافه قائلا :

ـ هل مازلت تحبيننى ؟ ..

ـ هذا هو أنا .. بكل ما فى من ضعف وخوف وجبن ..

همست فى تأثر وقد ضاع صوتها من الانفعال :

- أنت لست ضعيفا .. أنت أقوى مما تظن .. أنت قادر على أن تعترف .. قادر على أن تفكر فى نفسك .. تفهمها وتراجعها وتواجه أخطاءها ..

وتهدج صوتها تأثرا وهى تقول :

- ثن أنت يا حبيبى قادر على أن تضحى بكل شىء .. بحياتك من أجل حبك .. كيف تسمى هذا ضعفا .. كيف تنتظر منى أن أكف عن حبى لك بعد هذا .. ألا تعلم أنه قد تمضى آلاف السنين دون أن يحدث شىء مثل هذا لفتاة سويدية .. الرجال فى بلدنا لا يضحون بشىء من أجل المرأة التى يحبونها .. هذا لا يحدث أبدا .. انه مستحيل .. معجزة .. لقد فهمت الآن لماذا ترضى المرأة أن تكون جارية لسيدها الشرقى .. لأنه يدفع لها حياته .. لأنه على استعداد لأن يموت من أجلها لأنه يضعها فوق كل شىء فى حياته .. أوه .. يوهسيف .. أنا عاجزة عن أن أعبر عما أشعر به .. كيف استطعت أن تصل بى الى هذه الدرجة من الانفعال ..

وتحركت فى مقعدها فى قلق .. وقالت بعصبية :

- أتدرى فيم كنت أفكر عندما سألتنى عن شعورى نحو هذه الرحلة .. كنت أفكر فى يلمار ..

وجم يوسف لسماع الاسم ، ولكنه لم يغضب ، وقدر حالتها النفسية ، وانفعالها السريع المفاجىء بعد أن سمعت اعترافه ، وفكر فى أنه معرض لأن يسمع اسمه بين حين وآخر .. قد يسمعه فى أية لحظة ، فى أية مناسبة .. وقرر أن ينبهها الى أن تراعى شعوره ، ولا تتحدث عن يلمار بهذه البساطة ، أو تعترف له بأنها كانت تفكر فيه .. ولكنه لن ينهاها الآن .. انه يريد أن يعرف أولا لماذا كانت تفكر فيه ..

واستمرت جوليا تقول :

ـ كنت أفكر فى كلامك هذا الصباح وأنت تسألنى ·· هل سيأتى يوم نتقابل فيه صدفة بعد أن نفترق لسنين طويلة ·· وماذا يحدث لو تقابلنا ·· عندئذ تذكرت يلمار ·· وسألت نفسى ماذا سيحدث عندما أراه ثانية ·· وفكرت متى سأراه ·· وهل من المحتمل ألا أراه أبدا ؟

ثم فكرت فى حياتى معه ·· وقارنت بينه وبينك ·· كنت أشعر مع يلمار كأنى أقف على أبواب قلعة غير مسموح لى بدخولها ·· قلعة فى داخلها فنه ·· وموسيقاه · وتجاربه وحكمته التى اكتسبها بعمره ·· وجللت شعره بالمشيب ·· كان يلمار دنيا مغلقة بالنسبة لى ، كنت أحس أنه يحبنى ·· وكنت أنا أحبه ·· ولكنه حب من الخارج ·· حب يبدو الآن وكأنه حب سطحى ··

أتعلم ·· انى أتساءل ·· هل عرفت يلمار على حقيقته ·· هل فهمته ·· كما فهمتك ·· معك ·· أشعر كأنى أعيش فى داخل قلبك ·· أحس بروحك ·· أشعر بكلماتى ·· بنظراتى ·· تصل الى أعماقك ·· أما يلمار فكان بينى وبينه حاجـز سميك صـلد ·· كنت أظنه قويا ·· مقاتلا صلبا ليس بـه ضعف ·· أما الآن فقد تغيرت نظرتى الى يلمـار ·· انه مسكين ·· لقد تركته وتبعتك لأنك القوى وهو الضعيف ·· القلعة التى كان يتحصن داخلها ليس فيها تجارب ولا شخصية قوية ·· كل ما فيها فن وطفولة ·· وأنتبمظهرك الضعيف بانفعالاتك ·· بقلقك ·· بمخـاوفك واعترافاتك ·· أقوى منه ·· أقوى منه بكثير ·· أنت قادر على المغامرة بروحك ·· أن تندفع نحو ما يؤلمك وما يعذبك ·· وتلقى بنفسـك فى الخطر ·· وأنت واثق من النجـاة ·· يلمار لم يكن يفعل هذا ، لم يعرض نفسه لأية مغامرة · حريص على نفسه ·· لا أذكر ان البرد اصابه مرة واحدة منذ تزوجته ·· أيمكن أن

يصل الخوف بأحد حتى انه لا يصاب بالبرد أبدا ..

وقطعت كلامها فجاة .. ونظرت الى يوسف فى ارتبـــاك وكأنها تعجب من نفسها ، وتورطها فى هذا الحديث ..

وفوجئت بيوسف يهمس فى هدوء يخفى انفعالا حزينا :

ـ أنت مازلت تحبينه ؟

قالت فى دهشة :

ـ لماذا تقول هذا ؟

ـ طريقتك فى الكلام عنه ..

قالت فى شبه حدة :

ـ لا تكن سخيفا .. أنت تعلم جيدا أنى سأظل أذكره .. انه يمثل شيئا كبيرا فى حياتى .. شيئا لا يمكننى أن أنساه .. ولكنك يجب أن تفهم هذا .. أنا أحبك أنت ، وسأتزوجك أنت .

قال فى دهشـــــة :

ـ قررت أخيرا أن تتزوجينى ..

قالت فى صوت جاد :

ـ نعم .. انت رجل أحبه وأستطيع أن أعتمد عليه .. انك لا تعـــرف الكذب .. أنت أقوى من أن تكذب وأقسى من أن تكذب ..

قال ساخرا :

ـ وأغبى من أن أكذب ..

وقطعت حديثهما احدى العجــــائز الأمريكيات ، كانت تراقبهما منذ فترة طويلة ، وقد تملكها فضول شديد ، وحاولت أكثر من مرة أن تقتحم حديثهما ، وتخرجهما من عزلتهما عن بقية ركاب الطائرة .. ولكنها كانت تعدل عن محاولتهـــا ،

كلما اقتربت منهما ، ولاحظت الهمس الحار المتبادل بينهما ، وقد غابا تماما عن كل من يحيط بهما ··

وأخيرا هجمت عليهما العجوز الأمريكية ، ومن خلفها عجائز من زميلاتها فى الرحلة ، كان منظرهن مسليا ، كأنهن أطفال فى رحلة ، ينتقلن فى الطائرة ، وكأنها أتوبيس خاص ·

صاحت الأمريكية العجوز وهى تحدق فيهما من خلف نظارتها السميكة وقد أضاء وجهها بهالة من الشعر الأبيض يحيط بوجهها المكرمش المليء بحبوب سوداء ··

ـ هذه رحلة شهر العسل ··

هتف يوسف فى مرح تشوبه لهجة ساخرة ··

ـ نعم ··

فارتفع صراخ العجائز يتأوهن :

ـ أوه ·· أوه ·· أوه ··

وانتشرت التأوهات فى الطائرة الصغيرة ·· وتناقلت الصيحات ·· انهما عروسان ·· انهما عروسان ··

وضغط يوسف على يد جوليا ·· ونظر اليها فى حنان ·· يرجوها ألا تكذبه ·· يرجوها أن تعتبر هذه الرحلة ·· شهر عسل حقيقى ··

ولاحظ أن جوليا توافقه على شعوره ، بل هى سعيدة به ·· ومالت على أذنه وهمست :

ـ نحن فعلا فى شهر عسل ··

همس فى امتنان :

ـ أحبك يا زوجتى ··

همست والشقاوة فى عينيها :

ـ عندما نتزوج لن أطالبك بشهر عسل آخر ··

وضحكا ··

وهتفت الأمريكية العجوز :

– انظروا كيف يتهامسان .. ما أجملهما .. أليس هذا رائعا .. أوه .. لن أغفر لماكس أنه لم يأت بى الى هنا فى شهر العسل ..

وصاحت صديقة لها فى مثل سنها :

– أين ذهبتما ؟

قالت فى ندم :

– لم نذهب الى أى مكان .. بقينا فى لوس انجلوس ، واحتفل بنا زملاء ماكس فى حفلة كبيرة أقاموها فى شقتنا .. جاءوا بزجاجات بوربون وشمبانيا وبيرة .. وشربت كثيرا ، ولكنى لم أسكر .. ولم يسكر ماكس ولا أحد فى الحفل كله .. كنت أحذر كل من يقرب كأسه من شفتيه من أن يسكر .. حتى لا تهتز يده ، ويسقط الكوب ويحطمه .. كنت أصرخ فيهم .. لن تحطموا أكوابى الجديدة .. فظل المساكين منتبهين ، مسيطرين على أعصابهن طوال الليل ..

وضحكت العجائز .. وسألها يوسف ضاحكا :

– ولماذا لم يأت ماكس فى هذه الرحلة ؟ ..

صاحت العجوز :

– أوه .. لقد مات منذ خمس سنوات ..

واستمرت تصيح بصوت جهير :

– لو لم يمت .. لما استطعت أن أرى بلدا واحدا فى العالم .. كنت سأظل مكانى فى لوس انجلوس ..

فهتفت تقاطعها عجوز أخرى :

– كنت مازلت تحافظين على الأكواب ..

ولم يكف الجميع عن الضحك .. حتى ارتفع صوت قائد

الطائرة يتحدث اليهم فى الميكروفون .. كان صوتا وقورا فيه نغمــة أسى ..

وقال القائد :

ـ يؤسفنى سيداتى وسادتى .. اننا ســنتأخر قليلا عن موعد الوصــول الى « بودو » .. والتقــارير الجوية التى وصلتنا من هنــاك تقول أن حــالة الطقس تنبىء عن وجود سحاب منخفض كثيف .. ورياح سريعة ..

كان الجميع ينصتون فى وجوم ، وقد حبسوا أنفاســهم ، ونظر يوسف الى جوليا فى قلق .. فابتسمت له فى عصبية .. بينما استمر القائد يقول :

ـ وأخشى سيداتى وســادتى ، ألا نستطيع رؤية الشمس فى منتصف الليل ..

واجتاحت الركاب موجة من الاحتجاج فى صورة تأوهــات وصيحات قصــيرة .. وهمس يوسف « لا يمكن .. لابد أن نراها .. » وأطرقت جوليا برأسها كأنها تفكر فى مشكلة معقــدة ..

ومضى القائد فى كلامه :

ـ ان الســـحاب الكثيف سيمنعنا من رؤية الشمس فى « بودو » ، ولكنا لحسن الحظ نستطيع أن نراها من مكاننا فوق السحاب .. أنتم تلاحظون أن الساعة الآن الحادية عشــرة والربع مساء .. ومع ذلك فالسماء مضيئة بنور الشمس .. ان الشمس أمامى الآن مباشرة .. وقبيل هبوطنا الى « بودو » سأنحرف بالطائرة ، ليرى الشمس الركاب الذين يجلســون فى الجانب الأيمن من الطائرة .. ثم سأنحرف بهــا ليرى الشمس الركاب الذين يجلسون فى الجانب الأيسر ..

وبذلك ســترون الشمس بأعينكم فى نفس الوقت الذى تقترب فيه عقارب الساعة من منتصف الليل ، أكرر أســفى

لكم .. كنا نتمنى أن تروا الشمس وأنتم فى « بوردو » على الأرض لتروها على مهل .. ولكن أرجو أن تقدروا أن الأحوال الجوية شاذة هنا .. فنحن فى منطقة القطب الشمالى ..

وسكت الميكرفون ، ومرت فترة صمت ، ثم انفجر الركاب جميعا فى التعليق على حظهم السيىء ..

صاحت واحدة من الركاب :

– رؤية الشمس من الأرض أفضل ..

وصاحت ثانية :

– كنت أريد أن أحصل على عدة صور ..

ومالت جوليا برأسها على كتف يوسف وقالت فى أسى :

– هل تضايقت ؟ ..

قال فى وجوم :

– لا ..

فقالت وعلى شفتيها ابتسامة حزينة :

– لا تنكر .. الضيق يبدو فى عينيك ..

وتنهدت ثم قالت :

– شيء سخيف .. ألا نستطيع رؤية شمس منتصف الليل .. الا ونحن معلقان فى السماء ..

فضحك يوسف قائلا فى ألم :

– لو استطعت لأزلت لك السحاب المنعقد فوق الأرض .

★★★

بدت شمس منتصف الليل من خلف زجاج نافذة الدائرة ، وكأنها منظر خرافى مسحور .. كان الجميع ينقلون عيونهم بين قرص الشمس المستدير بلونه الأصفر الوهاج وبين قرص الساعة فى معاصمهم .. أممكن هذا ؟ .. هل هذا معقول ؟ ..

عقارب الساعة تقترب من الثانية عشرة فى منتصف الليل ، والشمس ساطعة فوق الأفق ٠٠ هناك تحت الطائرة ٠٠ ترسل أشعتها الصفراء كغلالة من الحرير الشفاف تنسدل على رأس الدنيا ثم تنحدر الى بقية أنحاء العالم حتى تصل الى البلاد النائية فى آخر أطراف الأرض ٠٠

شعر يوسف كأن يد الله قريبة جدا منه ٠٠ هى التى تمسك بقرص الشمس ، وهى التى ترفعه وسط الليل ٠٠ أدرك أنه يرى معجزة ، وأدرك أنه حقق شيئا عظيما ، كأنه أصبح يملك قدرة خارقة ، كأن الله رضى عنه ، فأطلعه على هذا المنظر الفريد ٠

كان الصمت يسود الطائرة ، حتى الأنفاس غير مسموعة ، حتى هدير محركات الطائرة قد ذاب فى هذا الهدوء ، كل شىء خاشع ٠٠ كل شىء يبتهل ٠٠ كل شىء ناصع ، باهر ، جليل ٠

السحاب وقمم الجبال وقبة السماء وخط الأفق ٠٠ الطبيعة كلها تبتهل وقد أضاءت بنور الشمس ٠٠

وابتهل قلب يوسف ٠٠ ابتهل بغير كلمات ٠٠ بغير معانى ٠٠بغير أمنيات ٠٠ كان يبتهل لمجرد الابتهال وقد طغت السكينة على صدره وعقله ولم يعد يفكر فى شىء ، أو يرغب فى شىء ، انه احساس عجيب ذلك الذى يحس به ٠٠ انه قادر ولا يريد ٠٠ يقظان يرى حلما ، حى ولكنه صامت ساكن كأنه ميت ، انسان يتوهم أنه فى حضرة اله ٠٠

ومالت الدائرة فجأة ، فغطى جناحها قرص الشمس ، وانحرفت هابطة وسط السحاب ٠٠

واختفت المعجزة ٠٠

وفجأة ، ضج كل شىء بالحركة والأصوات ٠٠ ارتفع صوت محركات الطائرة ، وارتفعت أصوات الركاب ، ودوى صوت

الميكرفون يعلن أن الطائرة ستهبط فى مطار « بودو » بعد دقائق ..

ونظر يوسف الى جوليا ، فلما رآها ابتسم ، كأنه لم يكن يتوقع أن يراها ..

وأوشك أن يسألها : « هل رايت الشمس » ولكنه تذكر أنها كانت تنظر الى جانبه من نفس النافذة ، وأنها كانت تلصق خدها بخده ، وتحيط عنقه بذراعها .. لقد رأت شمس منتصف الليل معه ، شاركته تلك اللحظات السحرية ، مثلت معه أمام معجزة الله ..

وزادت ابتسامته اتساعا ..

سألته فى حنان :

ـ أنت سعيد ؟ ..

فهمس فى حنان أكثر :

ـ أحبك ..

وضحك ..

سألته :

ـ لماذا تضحك ؟ ..

فأجاب فى مرح ..

لأننى لا أكاد أصدق كل ما يحدث لنا .. تصورى أنى أحبك فى القطب الشمالى .. لو قلت لك هذا ونحن فى القاهرة أو حتى فى السويد .. لظننت انى أسرح بك مع الخيال .. وأردد كلاما عاطفيا يقوله العشاق ولا يحققونه أبدا .. ولكننا حققناه .. لم يعد هناك شىء خيالى فى حبنا .. كل شىء تم .. كل شىء حدث ماذا بقى ؟ .. أن أصعد بك فى الفضاء .. وأحبك فى القمر .. وأحبك فى المريخ ؟ ..

قالت بصوت مفعم بالطيبة والرقة :

ـ لا يا حبيبى .. يكفينا هذا .. فلنذهب بحبنا الى بيت صغير فى القاهرة ونعيش فيه ..

فامسك بيدها ، ورفعها الى شفتيه ، وقبل أطراف اصابعها ، وهو يقول :

ـ كم أنت متواضعة فى طلباتك ..

★★★

ركبا السيارات مع بقية السياح ، وانطلقت بهما فى شوارع « بودو » .. قرية صغيرة ، بيوتها من الخشب ، ويسودها صمت ثقيل ..

وصاحت فجأة أمريكية عجوز تجلس الى جوارهما .. قالت وهى تشير من نافذة السيارة .. الى أطفال يلعبون فى احد الشوارع :

ـ يا الهى .. أطفال يلعبون فى هذه الساعة .. أنظروا ..

والتفتت العجوز الى جوليا كأنها تنتظر منها تفسيرا لهذا المنظر الشاذ ..

فقالت جوليا :

ـ يبدو أنهم لا يفرقون بين الليل والنهار ، مادامت الشمس لا تغيب ..

ولم تقتنع العجوز بهذه الاجابة ، فوجهت سؤالها الى السائق ولكن الرجل لم يفهم لغتها الانجليزية ، واضطرت جوليا الى الترجمة بينهما فلما فهم السائق السؤال .. هز كتفه وقال ان بودو تستيقظ وتنام حسب مواعيد وصول مراكب الصيد ..

وارتفعت السيارة فوق هضبة عالية ، فكشفت عن وديان متسعة من الأرض الداكنة تنبت فيها حشائش خضراء ، وترتفع غابات كثيفة من أشجار الصنوبر ، تحدها جبال يكسوها

الجبلى ، وانحرفت السيارة فظهر خليج كبير فيه ميناء تزدحم فيه مراكب الصيد ·· واستمرت السيارة فى صـــعودها حتى وصلت الى قمة الهضبة ، ووقفت عند كوخ خشبى كبير ، قائم وحده ، يشرف على القرية والبحر والوديان ··

قالت جوليا ليوسف وهى تصعد معه درجات سلم الكوخ

ــ ما رأيك ·· أتريد أن تعيش فى هذا المكان ؟ ··

قال فى حماس :

ــ هذا أجمل مكان رأيته فى حياتى ··

ــ ألن تشعر بالملل ؟ ··

ــ معك ·· أبدا ··

قالت وهى تدخل من باب الكوخ :

ــ وأطفالنا ·· نتركهم يلعبون فى منتصـــف الليـــل فى الشارع ؟ ··

فوجىء يوسف بكلمة « أطفالنا » وقفز الى رأسه منظر مئات الأطفال ، كأنه سيصـــــبح أبا لجميع أطفال الدنيا ، وتذكر بوسفلت وهو يحدثه عن مشكلة الأطفال غير الشـــرعيين فى السويد ·· انتابه خاطر أقلقه ··

أتكون جوليا حاملا منه ؟ ··

ودخل وراء جوليا الى قاعة واسعة ·· أعدت فيها موائد العشاء على شكل مستطيل ، وجلس الى جانبها ، والخاطر يتضخم فى رأسه ·· وسمعها تسأله من جديد :

ــ لم تقل لى ·· أترضى لأطفالك أن يعيشوا هنا ؟

قال فى حيرة وقلبه يخفق

ــ لا ·· طبعا ··

ثم نظر اليها فى ارتباك وقال :

ــ ولكن أمامنا بعض الوقت قبل أن يكون لنا أطفال ··

قالت له :
ـ وعملك ؟
ولم يفهم من اجابتها ما كان يريد أن يفهمه ، كان يتوقع أن تقول له أنها حامل ، وانه ليس أمامها وقت ·· أو توافقه على أن الوقت مازال متسعا لأن يعيشـــــا معا فى أى مكان حتى فى القطب الشمالى ·· بغير أطفال ··
لماذا هى غاضبة ؟ ·· ما الذى جعلها تثير موضـــــــوع الأطفال ؟ أهى حامل وتخفى عنه النبأ ؟ ·· لقــد رضــيت بالزواج منه فجأة ، كانت تقول له أول الأمر انها تريد مهلة للتفكير ، ثم عادت وقالت له أنهــا قررت الــزواج منـــه ·· ما الذى جعلها تغير رايها فجأة ، وتتخذ قرارها !
لابد أنها حامل ··

ونظر خلسة الى بطنها ، كأنه يتوقع أن يراه منتفخا بالطفل ·· بابنه ·· وسرت رعدة فى جســـــده ، ولم يعد يدرى ماذا يقول ، أو كيف يتصرف ·· وتلفت حوله فى وجوه السياح ، وشعر برغبة جارفة فى أن يصرخ فيهم أن يصمتوا ويكفوا عن ضجيجهم وثرثرتهم ·· وتمنى لو عادت له تلك السكينة التى شعر بها وهو يرقب شمس منتصف الليل من نافذة الطائرة ·
كان يريد أن يفكر فى هذه الحقيقة الجديدة ·· يريد أن يفهم كيف أصبح أبا ·· يريد أن يصـــــدق أنه أب ، وهى أم ·· ولهما طفل ··
وتذكر يوســـــفلت من جديد ، وهو ينظر اليه ويبتسم فى خبث ، ويقول له « أخشى أن يزيد عدد الأطفال غير الشرعيين واحــــدا » ··
مســـــتحيل ·· لن يكون طفله غير شرعى ·· ابنه الذى فى بطنها شرعى ·· شرعى ·· شرعى ·· ســـيأخذها معه الى القاهرة فى الحال ، وسيتزوجها زواجا شرعيا ··

ولكنها مازالت زوجة ..

لا يهم .. سيحصل لها على الطلاق .. ولو حدثت عقبات فسيقنعها بأن تغير دينا ، حتى يتم طلاقها بسهولة .. وهو واثق أنها لن تعترض .. لا شيء يمكنه أن يقف أمام حبهما .. وأمام شرعية ابنهما ..

كان الخدم قد وزعوا صحون الحساء على الموائد ، وهبطت ضجة الأصوات ، وارتفعت ضجة الملاعق وهى ترتطم بالصحون .. ونبهته جوليا أكثر من مرة ليشرب الحساء ولكنه أمسك بالملعقة ، وغرق فى أفكاره ..

سألته فى دهشة :

ـ ألست جوعان ؟

نظر اليها متفحصا وسألها كأنه يمتحنها :

ـ أنت جوعانة ؟

صاحت :

ـ جدا ..

ووجد فى اجابتها دليلا على أنها حامل ، لم يتصور أنها جوعانة الا لأنها حامل . ولم يطق السكوت .. همس فى انفعال :

ـ جوليا .. يجب أن نتزوج فى الحال ..

قالت باستغراب :

ـ هذا هو الذى يمنعك عن الأكل ؟

قال بصوت خطير :

ـ لا داعى لتأخير الزواج لأى سبب ..

قالت فى غير فهم :

ـ أنا موافقه ، ولكن ما الذى جرى لك .. ما الذى تفكر فيه ؟

ـ أفكر فى العقبات ··

همست حتى لا يسمعها أحد غيره :
ـ تقصد الطلاق ··
ـ نعم ··
ـ سأبحث الموضوع مع أحد المحامين ··
ـ هذا هو رأيى ·· ولكن لو كانت الاجراءات طويلة ؟
ـ لا يهمنى ·· مادمت معك ··
ـ الأمر يهمنى أنا ·· لن أحتمل أى تأخير ··
ـ وماذا تقترح ؟
فسكت برهة ، ثم قال مترددا :
ـ عندى اقتراح ··
ـ ما هو ؟

ـ لو غيرت دينك ·· لكان من السهل أن تحصل على الطلاق ·

وقطبت جبينها ، كأنه صدمها بكلامه ، وخشى أن تكون قد غضبت منه ، ولكنه فوجىء بها تهمس :
ـ أنا على استعداد لأن أفعل أى شىء من أجلك ··
وكادت الدموع تطفر الى عينيه ، بل عيناه فى ضباب من التأثر ·· وهمس فى حرقة :

ـ جوليا ·· أنا آسف لأنى طلبت منك هذا ··
ـ لا تأسف على شىء ··
ـ أنا لا أقصد أن تغيرى دينك ··
همست :

ـ أنت دينى ··
فمد يده تحت المائدة ، وأمسك بركبتها وضغط عليها ··
وهمس :

ـ أنت آلهتى ·· ودينى ·· وسيدتى ·· أنت كـــل شيء بالنسبة لى ··

وجاء الخادم ، ورفع الحساء من أمامها ، وقدم لهما صحنا كبيرا من اللحم ··

وأخذت جوليا من الصحن ، ورفض يوسف معتذرا بأنــه لا يشعر برغبة فى الطعام ، فألحت عليه أن يأكل ، لأن هذا اللحم لن يقدم له فى أى مكان آخر فى العالم ·· انه لحـــم الوعل الذى يقطن القطب الشمالى ·· فاستسلم يوسف لها ، وأخذ قطعة من اللحم فى صحنه ·· وقال :

ـ كيف آكل ونحن نتحدث فى موضوع كهذا ؟!

قالت وهى تبتسم فى حنان :

ـ أنت الذى آثرت هذا الكلام ·· فلنؤجله حتى ننتهى من هذه الرحلة ··

فأومأ برأسه موافقا ، وبدأ يقطع فى الصحن بالســـكين والشكوكة ·· ثم عدل فجأة عن محاولته ، وهمس وقد نفـــد صبره :

ـ جوليا ، أريد أن أسألك ؟

ـ ماذا ؟

ـ شعور غريب يقلقنى ··

ـ ما هو ؟

ـ لاتسخر منى ·· ولكن يجب أن أعرف ··

ـ تعرف أى شيء ؟

ـ يخيل الى ·· أنك حامل ··

فأطلقت ضحكة مكتومة فى انفعال وهمست :

ـ أوه ·· هذا غير صحيح ··

ـ أواثقة أنت ؟

قالت فى حيرة :

ـ لقد احتطت لهذا .. ولكنى لن أثق تماما حتى الأسبوع القادم ..

همس فى ارتباك :

ـ لست أدرى كيف انتابنى هذا الشعور ؟

فهمست :

ـ يوهسيف .. أنت فى حالة غير طبيعية ..

ـ نعم .. انى قلق ..

ـ لماذا

ـ لست أدرى .

ـ حاول أن تخرج من هذه الحالة .. انها لا تعجبنى ..

ـ أضايقتك ؟

ـ لا أحب أن تشعرنى باضطرابك .. أريد أن أطمئن اليك .. ألست رجلى الذى أطمئن اليه ..

همس فى أسى :

ـ آسف ، لأنى أتصرف كالأطفال .

قالت فى رقة :

ـ لا تأسف .. أنا أيضا مضطربة .. ولكنى أحاول أن أتمالك نفسى ..

فسألها فى دهشة :

ـ ولماذا أنت مضطربة ؟

ابتسمت فى مرارة وقالت :

ـ أتظن أنه من السهل أن أترك بلدى ، وأقرر أن أعيش معك فى بلد غريب عنى .. هناك أشياء كثيرة غامضة .. مجهولة .. لا أعرف عنها شيئا .. ولكنى لا أكترث بشيء لأنى واثقة من حبك .. انه شيء عجيب .. لم أكن أتصور أبدا أن الحب يفعل بى كل هذا .. لا شيء فى الدنيا يهمنى سوى أنت ..

www.library4arab.com/vb

ولذلك قلت لنفسى ٠٠ أتركى التفكير فى المستقبل له ٠٠ هو الذى سيعد لك كل شىء ٠٠ هو الذى سيشرح لك مالاتفهمينه ٠٠ سيكون دائما بجانبك ٠٠ يحميك ، ويساعدك ٠٠ ألاترى كيف يزعجنى بعد هذا أن أراك مضطربا أو قلقا ٠٠

فهمس بصوت قاطع حازم :

ـ أنت على حق ٠٠

وضغط بيده على ركبتها ثم قال :

ـ لن أشعرك بأى قلق فى حياتك ٠٠ هذا وعد منى سأموت قبل أن أخالفه ٠٠

وخرجا من حديثهما ، على صوت مضيفة الطائرة ، وهى تقدم للحاضرين زميلها ٠٠

وتقدم شاب فى ملابس الطيران الزرقاء ، له عينان تشعان بالذكاء ، وعلى فمه ابتسامة عذبة ، وأعلن أنه سيوزع شهادات على الجميع ، تثبت أنهم عبروا منطقة القطب الشمالى ، وعليها توقيع قائد الطائرة ٠٠ كما أعلن أنه سيوزع صورا لشمس منتصف الليل بالألوان ، وهدايا أخرى ٠٠

وبدأ الشاب يوزع الشهادات ، ويوزع معها نكاته وابتسامته التى بهرت العجائز الأمريكيات ، وساد جو من المرح داخل القاعة ، انتشل يوسف من حالته النفسية ، فأشترك فى الضحك على النكات التى يسمعها ٠ وأقبل على الطعام فأتى عليه ٠٠

واستلم هو وجوليا شهادتيهما بعبور القطب ، وصور شمس منتصف الليل ، وأعطى الشاب لجوليا منديلا حريريا ملونا ، أخذته بفرح شديد ، وربطته حول عنقها ٠٠

تأملها يوسف ، وهى تتباهى بالمنديل ، فبدت فى عينيه جميلة الى حد غير معقول ، وشعر بضعفه أمام جمالها ، وخيل اليه أنها أقوى منه ، وأن شخصيته ضعيفة الى جانب

شخصيتها وندم على حديثه معها ، وأحس برغبة عنيفة فى أن يحتويها بين ذراعيه ، ويسيطر عليها بجسده ٠

وفكر فى أن هذا اليوم الثانى الذى يمضى دون أن يلتقى جسداهما ٠٠ قضيا نهار الأمس فى السفر الى أوسلو ، وناما فى المساء متعبين ، ومر صباح اليوم ، وها هو الليل الثانى يمضى بلا حب ٠٠

أيكون هذا هو السبب فى قلقه واضطرابه دون أن يدرى ، يكون هذا هو السبب فى شعوره بضعف شخصيته ٠٠ على أية حال أنه يريدها ، لن تعود اليه ثقته بنفسه حتى يحصل عليها٠

ومد يده الى ركبتها ولم يضغط عليها ٠ تحسسها ، وتحسس فخذها ، فمدت يدها الى يده تبعدها وهى تنظر اليه فى تأنيب فرماها بنظرة راغبة ، وفهمت ما يريد ، فابتسمت ، ونهضت من مقعدها قائلة فى سخرية :

ــ أنت مازلت فى حالة غير طبيعية ٠٠

فنهض وتبعها وهو يشعر بالغيظ نحوها ، ورأتهما مضيفة الطائرة ، فطلبت منهما أن يدخلا الى قاعة أخرى ، ليشاهدا بعض رقصات شعبية لسكان المنطقة ٠٠

شاهد يوسف الرقصات ، تؤديها امرأة عجوز قصيرة القامة ويشاركها رجل أطول منها قليلا ، جسمه ملىء ، ووجهه مربع غليظ القسمات كأنه منحوت من الصخر ٠٠

وسألته جوليا :

ــ أعجبك الرقص ؟ ٠٠

قال فى غيظ :

ــ رقصات سخيفة ٠

فاحتجت قائلة :

ــ أنت تظلمهم ٠٠

فقال فى برود :

ــ بدأت أشعر بالملل ..

قالت ساخرة :

ــ وكنت تريد أن تعيش هنا ..

قال فى ضيق :

ــ متى نعود الى أسلو ؟ ..

ــ أتشعر بالتعب ؟ ..

قال وهو يكذب :

ــ نعم ..

كان يريد أن يعود الى أوسلوا ، ليخلو بها فى حجرتهمـــا بالفندق ..

وطال جلوسهما فى القاعة ، فقام يوسف فى عصبية ، وذهب الى المضيفة يسألها عن موعد العودة ، فقالت له انه مازال فى البرنامج زيارة كنيسة « بودو » ثم تقوم الطائرة فى السادسة صباحا .. وعاد الى جوليا وهو ثائر ، كأنه محبوس رغـم أنفه فى هذا المنفى ، وجلس واجما لا يكلمها ولا ينظر اليها ، كأنه قرر تأجيل أى صلة بينه وبينها ، حتى تتاح لجسده الفرصة لأن يتصل بجسدها ..

وصدقت جوليا أنه متعب ، يريد أن ينام ، فلم تشـــغله بالحديث .. وتركته فى حاله يتعذب فى صمت ، وأخيرا أعلنت المضيفة أن الوقت قد حان لزيارة كنيسة « بودو » ، وقالت ان لهذه الكنيسة أهمية خاصة ، فقد دمر الألمان كنيسة « بودو » القديمة فى الحرب الماضية ، وبعد انتهاء الحرب تبـــرع النرويجيون لبناء الكنيسة الجديدة واشترك النرويجيون الذين يعيشون فى أمريكا فى التبرعات فأرسلوا مليـــون دولار .. ولذلك هى ترحب بالسياح الأمريكيين وتدعوهم لزيارة الكنيسة التى شاركوا فى بنائها ..

قام يوسف متكاسلا ، وقد بدا الوخم يدب فى جسده ، وركب السيارة مع جوليا وهو يتثاءب ، ولما وصلا الى الكنيسة رفض فى عناد أن يهبط من السيارة ، فتركته جوليا ودخلت الكنيسة وحدها ..

وجلس وحده ، ينظر الى الشارع الخالى الا من السيارات التى تركها السياح ، ورمى بناء الكنيسة بنظرة نعسانة ، وتثاءب ثم أغمض عينيه وحاول أن ينام ، كأن تعيسا فى قرارة نفسه يتمنى لو ينام وينسى تعاسته ، لقد كان سعيدا منذ ساعات كان فى قمة سعادته ، فماذا حدث له ؟ .. كلمات جوليا هى السبب ، وهى تحدثه عن رجولته ، وعن رغبتها فى رجل يحميها .. رجل لا يضطرب ولا يقلق .. منذ تلك اللحظة أحس أنه ضعيف ،، ولازمه هذا الشعور ، ولم يستطع الخلاص منه ..

أحسن شىء يصنعه الآن هو أن ينام ..

وألقى برأسه الى الخلف ، يدعو الى عينيه ، ويرحب بالظلام الذى يزحف داخل جفونه ويطمس كل شىء ..

وسمع صوت باب السيارة يفتح فلم يفتح عينيه ، ولكنه سمع صوتها :

ـ يوهسيف .. لا يمكنك أن تنام الآن ..

أيفتح عينيه ، أم يتجاهل صوتها .. وسمعها تصيح :

ـ يوهسيف .. استيقظ ..

وجذبته من يده ، ففتح عينيه ونظر اليها متصنعا أنه استيقظ فجأة وهتفت فى غضب كأنه طفل تنهره :

ـ لابد أن ترى مبنى الكنيسة .. انها أجمل مما كنت أتصور .. تعال ..

وشدته من يده ، فتتبعها ، ودخل وراءها الكنيسة ، ينظر أمامه فى غباء ، وهى تكاد تدير رأسه بيدها ، ليرى الأرغن

الجديد ، وزجاج النوافذ الملون بصور القديسين ·· وتمثال العذراء تحمل بين يديها المسيح ··

كانت تشرح له بحماس ، وتنظر اليه فى يأس ، لأنهـــا لا تستطيع أن تنقل اليه حماسها واعجابها بالكنيسة ·· كان منظره غبيا ، وكان يشعر بغبائه ، ويعلم أنه يفسد عليها لحظة جميلة فى حياتها ·· ولكنه كان عاجزا عن أن يفعل أى شىء ، كأنه تناول مخدرا اسلمه لهذه الحالة الذاهلة الواجمة ··

وتقدمت جوليا من المذبح ، وركعت أمام تمثال العذراء ، ورسمت الصليب على وجهها وصدرها ، وعادت اليه ، وجذبته من يده وخرجت به من الكنيسة صامتة ··

قالت له قبل أن يركبا السيارة :

ـ كنت سأندم طوال حياتى اذا تركتك لا تشاهد هـــذه الكنيسة ·· انها مرة واحدة فى العمر التى تأتى فيها الى هذا المكان ··

قال معتذرا :

ـ آسف ·· أخشى أن أكون مريضا ··

قالت فى هدوء كأنها تقرر حقيقة لا خلاف عليها :

ـ لا شك أنك مريض ·· والا ما غفرت لك هذه التصرفات

فنظر اليها فى ألم ، كأنه يستعطفها أن تترفق به ·· وأحست بأنه يتألم أو لعلها شعرت بأنها قست عليه ، فمدت يدها الى رأسه ، وداعبت شعره ، قائلة فى حنان :

ـ يوهسيف ·· اغفر لى أنا ··

ولم يفهم يوسف ، ما الذى تريده أن يغفره لها ·· ولكنه لـم يسألها ··

★★★

تحولت الطائرة خلال رحلة العودة الى عنبر نوم ـ الستائر مسدلة على النوافذ لتحجب ضوء الشمس ، والجميع نيام على

مقاعدهم ، وصوت شخير متقطع يرتفع من هنا أو من هناك ، دون أن ينتبه اليه أحد ·· حتى المضيفة جلست فى مقعدها ، لا عمل لها سوى مغالبة النعاس ·

ولم يستيقظ يوسف وجوليا من نومهما ، حتى حركتهما يد المضيفة ، وهى تقول بابتسامة عذبة :

ـ سنهبط فى أوسلو بعد دقائق ··

وتركا الطائرة ، وهما بين النوم واليقظة ، والتعب والاجهاد يسيطران عليهما ··

قالت له جوليا وهما يصعدان الى غرفتهما فى الفندق :

ـ أريد أن أنام أسبوعا كاملا ··

قال لها وهو يوشك أن يتثاءب :

ـ لا توقظينى ·· أريد أن أنام حتى أستيقظ وحدى ··

وعندما دخلا الغرفة ·· تذكر أنه كان يريدها ، وكان يتمنى لو يعود بسرعة الى هذه الغرفة ليحصل على جسدها ··

وابتسم فى مرارة ·· وتثاءب ·· ولكنه قرر أن يقبلها قبل أن ينام فذهب اليها وهو يترنح ، وهوى على شفتيها بقبلة مفاجئة ، ولم تفهم معناها ، وجعلتها تدفعه بعيدا عنها قائلة فى ضيق :

ـ أوه ·· ماذا تريد ··

قال كالنائم :

ـ أقبلك قبل أن تنامى ··

قالت محتجة :

ـ بهذه الطريقة ·· أنت أحيانا تبدو كرجل همجي ··

قال وهو يرتمى على السرير :

ـ ربما ··

وأعطاها ظهره ·· ونام ··

الفصل الحادى عشر

www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

لايدرى
الفصل الحادي عشر

كم من الوقت مضى قبل أن يشعر بيدها تهزه بعنف ، وصوتها يصيح فى انفعال :
ـ يوهسيف ٠٠ يوهسيف ٠٠ أتسمعنى ٠٠

كان فى صوتها رنة فزع ٠٠

قال وهو يفرك عينيه :
ـ مـاذا ؟
قالت فى انفعال وصوتها يشبه الصراخ :
ـ انه تحت
ـ من ؟
ـ انه فى بهو الفندق ٠٠ هنا ٠٠
ـ من ؟ ٠٠
ـ يلمار زوجى ٠٠
ـ ماذا ؟
ـ كان يحدثنى الآن فى التليفون ٠٠ يريد أن أهبط اليه ، أو يصعد هو الى ٠٠
يوهسيف ٠٠ كيف أتصرف ؟

سمع يوسف نبأ وجود يلمار ، وفى داخله احساس كاليقين أنه سمع هذا النبأ من قبل ، لم يدهش ، ولم يرتبك ، لكنه وجم محاولا أن يفكر فى شىء يصنعه ، وكلما فكر زاد شعوره بأنه كان يعرف أنه سيجىء كأنه حلم بمجيئه ثم رأى الحلم يتحقق ٠٠

قال لجوليا بعد أن نهض من فراشه ووقف وسط الحجرة متحفزا لأن يسمع صوت طرقات يلمار على الباب ٠٠

ـ قال لك أنه صاعد ..

قالت فى انفعال :

ـ لا .. انه ينتظر أن أهبط اليه أو اطلب منه الصعود .

قال كأنه يحدث نفسه ..

ـ ترى ماذا يريد ..

قالت فى حيرة :

ـ لست أدرى ..

وسألها كأنه يفكر بصوت مرتفع :

ـ ومن أخبره بمكاننا ، وما الذى جعله يترك استوكهولم؟

ثم التفت اليها وسألها فى اهتمام :

ـ ماذا قال لك بالضبط ؟ ..

ـ قلت لك .. انه ينتظرنى ..

ـ لم يقل شيئا آخر ..

ـ لا ..

قطب جبينه وسألها بصوت شارد :

ـ ستهبطين اليه ؟

ـ ما رأيك ؟ ..

قال بصوت حاد كأنه وصل الى قرار :

ـ سأهبط أنا اليه ..

ـ ماذا ستقول له ؟ ..

ـ سأسأله ما الذى جاء به ، سأطلب منه أن يبتعد عنك ..
ا كان هناك شيء يريد أن يقوله فليقله لى .. لا شأن له بك ..

ثم أردف بعد برهة :

ـ وسأطلب منه أن يطلقك ..

سكتت جوليا كأنها موافقة على قراره ، ولعلها ارتاحت لأنه سيوفر عليها هذا اللقاء الصعب ..

ودخل يوسف الحمام ، وغاب برهة ثم خرج منـه ، وبدأ يرتدى ملابسه ٠٠

قالت جوليا فجأة :

ـ يوهسيف ٠٠ ألا يحسن أن أقابله أنا ٠٠

سألها فى حدة :

ـ لمــــاذا ؟ ٠٠

قالت فى هدوء :

ـ أفضل هذا ٠٠٠

فقال بصوت قاطع :

ـ لا ٠٠

ثم سألها فى غضب :

ـ لماذا تريدين مقابلته ؟ ٠٠

قالت محتفظة بهدوئها :

ـ أنى أعرف يلمار ، وأنت لا تعرفه ٠٠ أخشى أن تكلمه فى الطلاق فيغضب ويعقد لك الأمور ، انه عـلى الأقـل لا يجيـد الانجليزية كما أجيدها أما أنا فأستطيع اقناعه ٠٠

أحس أن كلامها معقول ، وكان فى أعمــــاقه مترددا فى مواجهة يلمار ، كان يدرك مدى الوقاحة فى تصرفه وهو يقدم له نفسه ويقول له أنه يحب زوجته ويطلب منه طلاقها ، ولكنــه سيقدم على هذه الوقاحة ، لأنه لا يقبل أن تذهب هى اليه ٠٠

ولاحظت جوليا صمته فاستأنفت تقول :

ـ هناك شىء آخر ٠٠ سيدهش اذا لم أذهب اليه ، وسيفسر ذلك بأنى غير قادرة على مواجهته ، وأنى نادمة على مافعلت ٠٠ أنا لا أريد هذا ٠٠ لن أتركه يفكر على هذا النحو ، ولن أترككما تتحدثان عنى وأنا حبيسة فى هذه الحجرة ٠٠ ليس هناك ما أخشاه حتى أمتنع عن مقابلته ٠٠

قال مترددا أمام كلامها الحاسم :

ـ لكنى لن أسمح لك بالذهاب اليه وحدك ٠٠

قالت بصوتها الهادىء محاولة أن تخاطب عقله :

ـ ولكن هذه هى فرصتنا لأن نحصل على طلاق سريع .

قال بعد تفكير ، بلهجة قاطعة :

ـ سنذهب اليه معا ..

★★★

هبطا الى بهو الفندق وتلفتا حولهما باحثين عنه ، ورأته جوليا فهمست فى انفعال :

ـ هاهو ..

فهمس بصوت مبحوح وقلبه يدق بشدة وعيناه زائغتـــان لا تريان شيئا غير صور مختلطة من ناس كلهم متشابهون ..

ـ أين هو ؟

همست فى انفعال شديد :

ـ لقد رآنا .. انه قادم نحونا ..

ورآه يوسف ..

كان قادما نحوهما بقامته المديدة ورأسه المرفوع الوقور يمشى فى خطوة ثابتة ، وعلى وجهه طيف لهفة وفى عينيه رقة حزينة وفى مظهره كبرياء ..

التفت عينا يوسف بعينيه ، فلم تحتمل العيون هذا اللقاء حول يوسف عينيه بعيدا ، أما هو فقد نظر الى جوليا ، وتقدم منها وخاطبها بصوت أجش فيه لهفة وأسى ..

كان يتكلم بالسويدية ..

سمعه يوسف ينطق باسمها فى تأثر .. جوليا ..

كان يتكلم بلهجة الأب الذى فقد ابنته ، وجزع عليها ، ثم عثر عليها بعد بحث طويل أرهقه وعذبه ..

ثم سمع جوليا تخاطبه بصوت رقيق مفعم بالتأثر ..

مزقت الكلمات السويدية أذنه ، أحس بطنينها غير المفهوم يدوى فى رأسه ، وأدرك أنه لن يحتمل هذا الموقف ، وقع فى مصيدة لاخلاص منها ، وكاد أن يجذبها من يدها ويبعدها عنه ،

ويصرخ فى وجهه أن يتركهما ·· لكنه عجز عن النطق بكلمة واحدة ، وظل جامدا يتألم ويتقبل العذاب وهو لا يدرى كيف يدافع عن نفسه ··

كانت الكلمات السويدية تقول له انهما زوجان ، عاشا معا سنين طويلة ، لهما لغة واحدة لا يفهمها وبلد واحد وجنسية واحدة وأنه دخيل متطفل عليهما ··

وصرخ فى أعماقه يحتج ، هذا غير صحيح ·· ان حبنا فوق كل هذا ، فوق الجنسيات والذكريات واختلاف الأديان ، لا أنا عربى ولا هى سويدية ، لا أنا مسلم ولا هى مسيحية ، لا أنا أعزب ولا هى متزوجة ·· اننا حبيبان ·· عاشقان العالم كله شهد حبنا ، المدن التى زرناها تشهد ، الفنادق التى سكناها تشهد ، الشوارع التى قطعناها تشهد السماء التى حلقنا فيها تشهد ··

شمس منتصف الليل تشهد ··

لكن صرخاته ظلت حبيسة فى أعماقه ، كانت الكلمات السويدية التى يسمعها ترهبه وتسيطر عليه ، وتمنعه من الكلام ··

نظر يلمار اليه ، بينما قالت جوليا بالانجليزية فجأة بلهجة رسمية :

ــ يوهسيف ·· أقدم لك السيد يلمار جونارد ··

ثم نطقت باسمه بنفس اللهجة الرسمية :

ــ السيد يوهسيف منصور ··

والتقت عيونهما من جديد ، كانت عينا يلمار فيهما وقار وكبرياء وأسى وعينا يوسف فيهما تحد وانفعال وغضب ·· وأحنى كل واحد رأسه دون أن يمد يده للآخر ··

وقال يلمار بانجليزية ركيكة :

ـــ إنى آسف يا سيدى لإزعاجك ..

ثم أردف وهو يضغط على الكلمات .

ـ ولكنى أظن أن من حقى أن ازعاجك قليلا فى هذه الظروف

أجاب يوسف بصوت مرتفع غريب عنه :

ـ أنت لم تزعجنى أبدا ..

قال يلمار وهو يهز رأسه فى وقار وبلهجة تشوبها سخرية مريرة :

ـ حقا أنا لم أزعجك يا سيدى .. بالعكس جعلتك تمضى وقتا سعيدا ..

قال يوسف فى تحد :

ـ أنا سعيد لأننا متحابان ..

نظر اليه يلمار فى ترفع وقال فى اشمئزاز :

ـ أيها الشباب أنت لا تعرف ماذا تتحدث عنه ..

وجدت جوليا ان مشادة توشك أن تقع بينهما فتدخلت قائلة :

ـ أنا لاأحب أن أقف بينكما كامرأة بين رجلين .. كأننا فى رواية على المسرح .. لايعجبنى هذا ..

ثم التفتت الى يلمار قائلة بصوت جاد :

ـ يلمار .. أرجوك .. أتركنا ولا تحرجنى أكثر من هذا .

فنظر اليها متفحصا وقال :

ـــ لا يعجبك هذا .. هيه .. ولا يعجبنى .. جوليا ..

أرجو أن تصفحى عنى ..

قالت فى إنفعال :

ـ ليس هناك ما أصفح عنه ..

قال فى بطء وبصوت عميق :

ـ لا .. اصفحى عنى لأنى جعلتك تتركيننى لأننى جعلتك تحبين غـــيرى ..

قالت فى حدة :

ـ يلمار .. لا أرضى لك هذا الضعف ..

فصاح :

ـ ضعف .. من قال لك أنه ضعف .. أين الضعيف الذى يقوى على أن يقول مثل هذا الكلام .. الضعيف لا يتذلل لمن يحب .. كلنا ضعفاء ، اننا لا نصبح أقوياء الا عندما نكشف عن ضعفنا ..

ونظر الى يوسف ، وقال :

ـ لا تظن أنى ضعيف يا سيدى .. ولا تظن نفسك قويا لأنك أخذت زوجتى منى ..

ثم التفت الى جوليا وقال :

ـ الطائرة تقوم بعد ساعتين .. أرجو أن تستطيعى اللحاق بها .. واذا لم تستطيعى فسأنتظرك فى طائرة الليل بعد أن أفرغ من المسرح واذا لم تحضرى فى هذه الطائرة ، فهناك طائرة فى الصباح .. سأنتظرك فيها ..

وسكت برهة ، ورماها بنظرة فيها حنان وقال :

ـ جوليا .. سأنتظرك ، ولا بد أن تعودى ..

ثم التفت الى يوسف وأحنى رأسه قائلا :

ـ الوداع يا سيدى ..

وأدار لهما ظهره ، ومضى بخطواته الثابتة المسرعة الى باب الفندق وخرج منه ..

وقفا مكانهما صامتين ، ينظران الى الباب ، كأنه سلبهما قبل ذهابه قدرتهما على الحركة والكلام .. وأخيرا تحركت جوليا ، ومشت الى داخل البهو ، فتبعها ، وهو لا يدرى الى أين هى ذاهبة ..

ووصلا الى الحائط ، استدارت ورأته ، فابتسمت فى ارتباك وسألها بصوت قلق :

ـ ماذا حدث ؟ ..

قالت وهى تتصنع الابتسام :

ـ لا شىء ..

قال فى انفعال :

ـ انه ينتظرك ..

فأجابت وقد تحولت ابتسامتها الى ضحكة عصبية :

ـ اذا أراد أن ينتظر .. فلينتظر .. لقد كلمته بصراحة.

ـ ماذا قلت له ؟ ..

ـ قلت له كل شىء ..

ألح فى لهفة ؟

ـ ماذا قلت ؟

قالت فى ضيق وقد ضاعت الابتسامة وحل مكانها مسحة من الألم :

ـ أنت تعرف ..

فسألها :

ـ طلبت منه الطلاق ؟ ..

قالت فى اقتضاب وكأن الكلام يعذبها :

ـ نعم ..

ـ ماذا قال ؟ ..

قالت فى عصبية :

ـ يوهسيف .. لا تسألنى الآن ..

عرف أنها تتألم .. لم يكن لقاؤها بيلمار سهلا ، وخشى لو تمادى وألح عليها فقد تثور عليه ، لقد طردت زوجها ، طردته أمامه ، ورفضت أن تعود معه .. يكفيه هذا ، لن يسألها عن شىء ، سيبذل كل جهده حتى يخفف عنها الأزمة النفسية التى تمر بها .. انه يقدر هذه الأزمة ويحترمها فما أصعب القرار الذى اتخذته ..

تصورها شهيدة ، وأعجبته الصورة انها شهيدة من أجله ، ضحت بكل شىء من أجله ، كان يريد أن يخلصها من آلامها ، وهو راض فى نفس الوقت عن هذه الآلام ، فرح لأنها تشعر بالضيق وتتعذب .. فكل ذلك من أجله ولأنها تحبه ..

همس فى حنان وثقة :

ـ آسف ياحبيبتى .. لن أسألك عن شىء ..

ثم أردف بعد برهة :

ـ ما رأيك فى الخروج من هنا ؟

قالت فى شرود :

ـ لا .. سأصعد الى الغرفة ..

أدرك أنها تريد الاختلاء بنفسها حتى تهدأ ، ولكنه قال :

ـ هل أصعد ؟

فقالت تتوسل اليه :

ـ لا تزعج نفسك من أجلى .. سأستريح قليلا ثم أعود اليك ..

تركها تصعد ، وبقى وحده فى البهو وكان قد ازدحم بفوج من السياح لا يدرى متى جاءوا ، فوقف يتفرج عليهم ..

كانوا يتكلمون الألمانية ، ويسودهم مرح غير عادى .. وتذكر الوفد الصحفى .. ترى أين هم الآن ، هل أرسلوا قصته الى القاهرة ، هل نشرت الصحف القصة وصوره مع جوليا ، من حسن حظه أنهم لا يعلمون أنها متزوجة .. ونظر الى الباب الذى خرج منه يلمار .. واتجه اليه ، ونفذ منه ، ونظر الى الشارع ، يتفحص الناس ، كأنه يتوقع أن يراه واقفا فى أحد الأركان ينتظر خروج جوليا ، مسكين .. كان موقفه ذليلا ، الغريب أنه كان قويا فى ذلته ، ما نوع هذا الرجل الذى تخونه زوجته وتهجره ثم يبحث عنها ويتوسل اليها أن تعود .. هل هذا رجل .. هل فى عروقه دم .. العجيب أنه عاد الى عمله فى المسرح .. اكتفى بأن طلب منها أن تعود .. انه نوع غريب من الرجال ، جوليا على حق فى أن تهجره ، انه بارد ، لا عاطفة فى قلبه ، لو كان يحبها حقا لثار وهاج .. لحاول أن يقتلها ويقتله .

وعاد يحدق فى الناس من جديد ،وخطر له أن يذهب الى دكان ويشترى لجوليا هدية .. باقة ورد ، أو أى شىء يعثر عليه ، وتقدم خطوتين ، ثم وقف مكانه وقد أصـــابه رعب مفاجىء .. لم يقو على الابتعاد عن الفندق ، هاجمه شعور غامض بالكآبة .. ثم اندفع مسرعا الى داخل الفندق .. وذهب الى المصعد واقتحم حشد السياح الألمان وانحشر بينهم وقلبه يخفق بشدة ، وجسده بارد كأن سما يسرى فيه ، وترك المصعد وجرى الى الغرفة وفتح الباب ووقف يحدق أمامه وهو يلهث بصعوبة ، كأنه يحتضر ..

رأى ما كان يتوقعه ويخشاه .. رأى جوليا تعد حقائبها .. لم تلتفت اليه ، ومضت فى صمت تضع ملابسها فى حقيبتها كأنها لا تشعر به ..

سألها بصوت متهدج يائس :

– ماذا تفعلين ؟

قالت فى هدوء قاتل :

– سأعود ..

صرخ بصوت مجروح :

– تعودين ؟ .. كيف ؟

لم تجبه ، كأنه لم يصرخ ، كأنها لا تسمعه ..

اقترب منها وهتف وهو يحدق فيها بنظرات مجنون :

– كفى عن هذا .. وتكلمى ..

قالت فى صوت خفيض :

– يوهسيف .. أتركنى .. لا فائدة من الكلام ..

صرخ :

– لن أتركك ..

قالت فى برود :

– قررت أن أعود ..

– أجننت ؟

– ربما ..

– لن تعودى .. مستحيل ..

– كن عاقلا ..

ضحك وهو يكاد يبكى مرددا بصوت محموم :

– عاقلا .. لا .. لن أكون عاقلا ..

وهجم على الحقيبة وقذف بها وسط الحجرة .. ثم هجم عليها وأمسك بيديها بقوة وهو يصرخ :

– ماذا جرى لك ..

أحنت رأسها ، وهى تزم شفتيها من الألم ، كادت أصابعها تتكسر فى قبضته ، لكنها لم تحاول أن تخلص يديها منه .. وبكت ..

نظر اليها فى غير تصديق ، ونفسه تحدثه بأن يضربها ، يفتك بها ، يقذف بها على الأرض الى جانب الحقيبة ويدوسها بقدميه ..

قالت وهى تبكى :

ـ دعنى .. سأقول لك ..

وخلصت يديها من قبضته ، وذهبت الى النافذة وأسندت ظهرها اليها ، وقالت وهى تنشج والدموع تنهمر من عينيها :

ـ لن أستطيع .. لن أستطيع ..

استمع اليها فى ذهول ، ومضت تقول :

ـ قال لى انه فى حاجة الى .. لم يعد قادرا على التفكير فى عمله .. نوتته الموسيقية غير مرتبة ، « زراير » قمصانه تسقط ولا يجد من يصلحها له ، كوب اللبن الذى كان يشربه قبل أن ينام لم يعد يشربه ، التراب يتراكم على أثاث البيت ، انه وحيد .. تائه ..

صرخ محتدا :

ـ ألا تحبيننى ؟

أطرقت برأسها والبكاء يهزها فى عنف ..

صرخ :

ـ أجيبى على سؤالى .. ألا تحبيننى ..

قالت والبكاء يخنق صوتها :

ـ منذ سمعت كلماته لم أعد أفكر فى الحب .. كل ما أفكر فيه هو بيتى .. وحاله الذى وصل اليه ..

قال فى أنين :

ـ نسيت كل شيء .. هكذا .. فى لحظة ..

قالت فى حرقة :

ـ أنا متعبة .. لا أريد الذهاب الى فندق آخر لم أعد أحتمل .. كنا نحلم .. الأحلام لا تدوم ..

قاطعها فى ثورة عارمة :

ـ حلم .. أحلام .. أتريدين أن أقتنع بهذا الكلام .. أنسيت ما كنت تقولينه منذ ساعة .. أممكن أن تتغيرى بهذه السرعة ؟

ـ انه عاجز عن العمل ..

ـ وأنا الذى ضحيت بعملى ..

انفجرت صارخة :

ـ يوهسيف .. أريد أن أعود الى استقرارى .. أريد أن أعود الى اطمئنانى .. أخطأت كانت حماقة منى أن أتركه .. لن أجد رجلا يمنحنى الطمأنينة مثله ..

واندفعت الى رأسه صورتها وهى فى بيتها فى استوكهولم عندما ضربها لأول مرة ، وتذكر ندمه بعد ذلك ، فلوى رأسه بعيدا يريد أن يفر من الصورة التى يراها ، وجرى الى الباب وخرج منه لا يلوى على شيء ..

لا يدرى كم من الوقت سار فى شوارع أوسلو ، هائما على وجهه ، يخاطب نفسه ، يهذى بصوت مرتفع ، غير مهتم بالمارة الذين ينظرون اليه ويتهامسون ، ولم يفد الى الفندق حتى أوغل الليل .. وصعد الى غرفته وهو على يقين أنه لن يجدها ونظراته رغم ذلك تبحث عنها ، وأذناه تطرقان لتسمعا صوتها وكلمات الاعتذار والحب على لسانه يوشك أن يخاطبها بها ..

وركب طائرة الصباح عائدا الى استوكهولم ، وهو يجمع قواه بصعوبة .. واتصل بيوسفلت ، وقابله وتحدث معـــه فى صفقة الورق ، وهو يشعر أنه شخصان يعيشان فى جسد واحد .. شخص يتكلم ويتحرك ويتظـــــاهر بأنه طبيعى ، والآخر محموم يهذى ، ينهشه المرض ، يفتته اليأس ، يعذبه الحب .

وذهب فى ليلته الأولى الى المسرح .. لكنه لم يقو على الدخول وذهب الى بيتها فى شارع برنادوت ، ولم يجرؤ على الصعود .. مشى فى الشوارع حتى كاد يصرعه البرد ، فعاد الى الفندق وقضى بقية الليل مؤرقا ..

فى اليوم الثانى ذهب الى بيتها بمجرد انتهاء عمله مـــع يوسفلت ووقف فى الطريق ينتظرها ، ومضت ساعات وهـــو واقف مكانه ذاهلا عن كل شىء عيناه لا تغـــادران بـاب العمارة ..

ورآها خارجة ســاعة الغــروب .. فانتفض جســمه ، واندفع نحوها ، فلما رأته تجهم وجهها ، ومضت فى طريقها متجاهلة أنها رأته ..

ناداها :

ـ جوليا .. جوليا ..

فلم تلتفت اليه ، فأسرع وراءها واستوقفها ..

قالت فى حدة :

ـ ماذا تريد ؟ ..

هتف متوسلا :

ـ جوليا .. اغفرى لى .. أنا أحبك .. لا تعاملينى بهذه القســوة ..

قالت فى غضب :

ـ أتركنى يا سيدى ·· والا ناديت رجل البوليس ··
ففغر فاه ·· غير مصدق انها جوليا ·· وشعر برغبة فى أن يجثو عند قدميها ، ويقبل الأرض تحتها ، علها ترضى عنه وتعود له ·

ولكنها تركته وواصلت سيرها ·· وظل ينظر اليها حتى اختفت وهو جامد مكانه كصنم لا حياة فيه ···

ولما عاد الى الفندق ، وجد رسالة من يلمار فى انتظاره ·· قرأ سطورها القليلة ، فعلم أنها أخبرته بمحاولته وهدده يلمار بأن يشكوه لسفارته ، وبأن يطلب طرده من السويد ··

وفى اليوم التالى أتم الصفقة ، وركب الطائرة الى القاهرة وهو يسبها ، يلعنها ، يحقد عليها ·· يتمنى لو يسمع بموتها·
ولكن قبل أن تصل الطائرة الى القاهرة ، انخرط فى بكاء صامت ، وخجل من نفسه ، كانت الدموع تنهمر من عينيه بلا ارادة منه ، فقام على عجل قبل أن يلاحظه أحد من الركاب ، ودخل « تواليت » الطائرة ، وترك نفسه على سجيتها ، تبكى فى حرقة وألم ، ويده تخبطان على صورة وجهه فى المرآة ، وقلبه يردد ·· جوليا ·· أحبك ·· أحبك ·· أحبك ··
وعاش فى القاهرة معذبا لأيام وأسابيع ، يعاوده البكاء المفاجىء ، واعتزل الناس ، مرض فى بيته ، وقال له الأطباء انه مصاب بانهيار عصبى ··

حتى جاء يوم تسلم فيه خطابا منها ·· من جوليا ··
وقرأ ··
عزيزى يوسف ··

أظن أنك ستنسانى بمجرد عودتك الى بلدك ، أما أنا فلم أنساك ·· لن أنساك أبدا ·· لقد أحببتك ·· وربما لن أحب أحدا غيرك ·· ولكن ··

لو كنت زوجا مثلى لعرفت أن الحب مهما كان كبيرا رائعا مثل حبنا فهو لا يعدو أن يكون مغامرة اذا كان على حساب زواج ..

أرجو ألا تسىء الظن بى ، فلم يكن أمامى حل آخر ، كان على أن أختار بين حبى ومسئوليتى كزوجة ، ولقد اخترت مسئوليتى ، لأنى قد أعيش بعذاب الحب ، ولكنى لن أستطيع أن أعيش وأنا أفكر فى الاساءة التى وجهتها لزوجى .. ان اللحظة التى جاء يطلب فيها الصفح لأنى هجرته ، كانت لحظة حاسمة ، واجهت ما هو أقوى من الحب ، واجهت زوجا تخليت عنه .. يطلب منى أن أتحمل مسئولية بيتى .. يطلب منى أن أرتب أوراقه وأصلح قمصانه . وأرفع التراب عن أثاث بيته وأعد له كوب اللبن فى المساء ، كيف أهرب من كل هذا لأعيش مع حبى .. كنت سأظل أحتقر نفسى كزوجة .. حتى ولو أصبحت زوجة لك ، كنت سأقتل الزوجة فى نفسى ، ثم أتزوجك بعد أن أصبح غير صالحة لتحمل مسئوليات الزواج ..

ليتك تفهمنى .. تزوج لتفهمنى .. ولتغفر لى ..

« **جوليا** »

ثم قرأ سطرا أضافته بعد أن فرغت من كتابة الخطاب ، كتبت تقول :

« يوسف » ...

« عروستك معى ، لو كنت تريد أن تذكرنى ، فاذهب الى دكان لعب واشتر سيارة قدمها لنفسك هدية منى » ..

قبل أن يأتى المساء ، كان قد ذهب الى دكان اللعب ، واشترى السيارة ..

تمت

www.library4arab.com/vb

رقم الايداع ٧٣٣٩ / ٨٨
ترقيم دولى ٣ ــ ٠٠٦٢ ــ ١٢ ــ ٩٧٧

www.library4arab.com/vb

مكتبة

روز اليوسف

للصحافة والطباعة والنشر

www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

مطابع روزاليوسف

١٧٥ قرشاً